الكتاب: إنارة الدجى في مغازي خير الورى صلى الله عليه وآله وسلم
المؤلف: حسن بن محمد المشاط المالكي (المتوفى: 1399هـ)
الناشر: دار المنهاج – جدة
الطبعة: الثانية – 1426 هـ
عدد الأجزاء: 1
[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]

[مقدمة التحقيق]

إنارة الدّجى في مغازي خير الورى صلى الله عليه وسلم شرح العلّامة المحدّث الأصوليّ الفقيه القاضي حسن بن محمّد المشّاط لمنظومة أحمد البدويّ المجلسيّ الشّنقيطيّ في المغازي (ت 1220 هـ تقريبا)

هذا الكتاب سما كالشّمس في الأفق ... وقد وعى أهل هذا البيت فكرته
لأحمد البدويّ المجلسيّ به ... نظم المغازي الّذي قد شمت روعته
وشيخنا حسن المشّاط أوضحه ... بشرحه حقّق الرّحمن بغيته
أسماه باسم جميل علّ نيّته ... مقبولة فأتمّ الله رغبته
أنار فيه الدّجى بما الحبيب غزا ... أفادنا فجزاه الله جنّته
من اسمه حسن والحسن ديدنه ... كأنّ ربّ السّما أعطاه منيته
أم القرى شهدت والبيت والحرم ... بقدره والحجاز الرّحب أثبته
يقضي بمكّة عن علم ومعرفة ... بين العباد أعزّ الله رتبته
وزارنا في بلاد الشّام حين أبي ... رآه سرّ به بل كان بلغته
أجازه بعلوم كالحديث أضف ... فقها أذانا وبالإسناد أبحته «1»
وبيننا نسب ما زال متّصلا ... بالعلم يزكو فنل إن شئت نسبته
حفيده البارع المحمود طوبى له ... معي اعتنى طيّب الرّحمن وجهته
بطبعه وبنشر العلم محتسبا ... مولاي فامح ذنوبي واجل صفحته
وانفع إلهي بهذا السّفر قارئه ... هبه التّأسي بمن أيّدت بعثته
عليه صل على أصحابه مددا ... واخصص أحبّة هادينا وعترته
والحمد لله في بدء ومختتم ... يا ذا الجلال أعنّا نحي سنّته
محمد عبد الرحمن بن عبد العزيز عيون السّود، الشّيبانيّ

(1) البحت: الصرف، الخالص من كل شيء، وباحته الودّ: خالصه.

ترجمة الشّارح فضيلة الشّيخ حسن محمّد المشّاط «1»
1317– 1399 هـ ولد رحمه الله تعالى بمكة المكرمة، عام (1317 هـ) نشأ في أحضان أسرة علمية من أسر مكة العريقة (آل مشاط) «2» ، تلقّى تعليمه في رحابها المباركة بالمدرسة الصولتية، وبالمسجد الحرام على يد العلماء الأكابر «3» ، وقد أبدى أثناء تحصيله العلم تفوّقا ونبوغا في الدراسة، أهلاه لأن يكون معاونا في الدروس الابتدائية أثناء تعلمه «4» .
أقبل على العلم بكليته، شغف به صبيا، وشابا يافعا، وتضاعف شغفه وولعه به كهلا، وشيخا، فكان شريط حياته تعلما وتعليما، استفادة وإفادة.
شجعه على هذا التوجه والاتجاه والداه الكريمان، ومن بعدهما زوجه المصون رحمهم الله تعالى؛ إذ هيّؤوا له جوّا عائليا يعبق بالحب، ويشع بالطهر والصفاء، في رعاية أسرية حانية «5» .

---

(1) قد ترجم لفضيلته ترجمة موسعة في كتابه: «الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة» دراسة وتحقيق تلميذه عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، والمدون هنا رؤوس الموضوعات هناك، وتتم الإشارة بالهامش هنا عن مواطن وجودها في تلك الدراسة.
(2) انظر (الفصل الأول: مؤلف الكتاب: ولادته، ونشأته) من دراسة كتاب «الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة» (الطبعة الأولى، بيروت، دار الغرب الإسلامي، عام 1406) ، (ص 17) .
(3) انظر قسم الدراسة ل «الجواهر الثمينة» (ص 32) .
(4) انظر قسم الدراسة ل «الجواهر الثمينة» (ص 20، 26) .
(5) انظر قسم الدراسة ل «الجواهر الثمينة» (ص 18– 22– 24) .

حفّته العناية الإلهية سنوات تحصيله، فأوجدت منه محدثا كبيرا، فقيها مالكيا، وأصوليا نحريرا، عالما من علماء السيرة النبوية، متضلعا من العلوم العربية، متحققا بسلوك علماء الآخرة، كل هذا في خشية العالم وتواضعه، وورعه وتقواه، منصرفا عن الدنيا ومظاهرها، عفيف اليد واللسان، كثير الذكر والتأمل «1» .
رحل إلى كثير من البلاد العربية: مصر، والشام، وفلسطين، ولبنان، والسودان، فتعرّف على علمائها، فأجازوه وأجازهم، لم ينقطع عن إفادة الناس فيها، وعقد حلقات الدروس في مساجدها، فحلّ بين أهلها عالما مبجلا «2» .

أمّا تلاميذه النبغة العلماء.. فهم كثر، ليسوا في مكة وديار الحجاز فقط، بل في البلاد الإسلامية بعامة، وجزيرة العرب بخاصة، في أفريقيا، وجنوب شرق آسيا، ولهم نتاج علمي غزير، ومؤسسات علمية كثيرة، نشرت النور والمعرفة في أصقاع تلك البلاد.

أمّا حياته العملية والوظيفية.. فإنّ تاريخ مكة العلمي والتربوي يعتز به واحدا من كبار العلماء المدرّسين، الذين كان تعليم أبناء المسلمين هوايتهم، يبتغون به وجه الله، فتخرّجت بهم أجيال من العلماء والمفكّرين والمثقّفين «3» .

اشتغل بالقضاء بالمحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة زهاء خمسة عشر عاما، من عام (1361) إلى عام (1375) كان مثال النزاهة والعفّة والعدل، له مواقف قضائية تاريخية، تشهد له بسداد الرأي، والتوفيق- بفضل من الله- إلى الحكم الصواب «4» .

---

(1) انظر قسم الدراسة ل «الجواهر الثمينة» (ص 25) .
(2) انظر قسم الدراسة ل «الجواهر الثمينة» (ص 28- 32- 54) .
(3) انظر قسم الدراسة ل «الجواهر الثمينة» (ص 36- 44) .
(4) انظر قسم الدراسة ل «الجواهر الثمينة» (ص 45- 51) .

فلا غرو أن يكون علما بارزا بين العلماء المكّيّين، ذا مكانة رفيعة في الوسط العلمي، والمجتمع المكّي، رحمه الله رحمة الأبرار، وأدخله جنّته مع النّبيّين، والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما.

نشاطه العلمي:

درس بالحرم الشريف، والمدرسة الصولتية، وبمنزلة، لعقود طويلة، منذ شبابه حتى مرحلة شيخوخته ومرضه الذي انتقل بعده إلى جوار ربه، رحمه الله.

استمرّ يدرس بالحرم الشريف دروسا خاصة وعامة ببرنامج زمني، يكاد يكون نظام العلماء والمدرّسين في هذا المكان المبارك منذ قرون، أمّا العلوم.. فإنّها تختلف من عالم لآخر حسب تمكّنه واتجاهه «1» .

أمّا البرنامج العلمي والزمني لفضيلة الشيخ حسن محمد مشاط، وما دأب عليه تلاميذه وروّاده.. فهو كالآتي:

دروس ما بين المغرب والعشاء:

يخصّص النصف الأول لهذه الفترة لتدريس الفقه المالكي لمجموعة من الطلاب، محدودة العدد، وآخر مجموعة من الدارسين هذا المذهب قد تدرّج بهم من كتب المبادئ في المذهب، مثل: «متن الأخضري» في الفقه، و «منظومة ابن عاشر» ، و «متن الرسالة» ، حتى منتهيا بها بدراسة «متن سيدي خليل المالكي» .

يخصص النصف الثاني لما بين المغرب والعشاء لدرس عام، يحضره الخاصة والعامة لتدريس أحد كتب الصحاح الستة، دراسة علمية محققة للسند والمتن وفقه الحديث، وقد درسها مرات عديدة متكررة، والكتب بأيدي الطلاب يدونون عنه الفوائد والنكات العلمية.

(1) انظر قسم الدراسة ل «الجواهر الثمينة» (ص 52) .

والدرس بعد صلاة العشاء: يخص الليالي الثلاث الأولى من الأسبوع لتدريس اللغة العربية، والليلتين الأخيرتين– ليلة الأربعاء والخميس– لتدريس مادة أصول الفقه، وقد درس عليه الطلاب في هذه العلوم كتب البدايات حتى النهايات.
عدد الدارسين في هذه العلوم وهذه الفترة عدد محدود من طلاب العلم المداومين.
أمّا ليلتا الثلاثاء والجمعة من كل أسبوع.. فقد اعتاد علماء المجسد الحرام اتخاذهما إجازة أسبوعية.
وعادة ما يبتدئون الدروس ويختمونها بالدعاء مستقبلين الكعبة المشرفة، وما أن يرتفع صوت الحق بأذان العشاء.. حتى تتوقف كافة الدروس، وترتفع الأيدي بالدعاء إلى الله عزّ وجلّ.
هذه صورة تحكي واقعا يوميا مشهودا كل مساء في المسجد الحرام، ليس فيما يخص فضيلة الشيخ حسن محمّد المشاط، بل هو صحيح بالنسبة لكافة العلماء الذين كانت تمتلئ ساحات المسجد الحرام وأروقته بدروسهم وحلقاتهم العلمية، أمثال الشيخ محمد العربي التباني، والسيد علوي مالكي، والسيد محمّد أمين كتبي، والشيخ محمّد نور سيف، والشيخ عبد الله دردوم، والشيخ محمّد مرداد، وغيرهم كثير، حسب برنامج علمي من الدروس الشرعية واللغوية يختص به كل واحد منهم.

نشاطه التأليفي «1» :
مؤلفات الشيخ حسن محمّد المشاط رحمه الله شاهد حي، يحكي تمكنه في العلوم التي ألّف فيها، كما أنّها تدل أصالة على مقدار عمقه في علوم الآلة:
اللغوية، والبيانية التي لا تستقيم العلوم الشرعية بدونها.

(1) انظر قسم الدراسة ل «الجواهر الثمينة» (ص 57– 72) .

ألّف في أصول الحديث كتابي:
«رفع الأستار عن مخدرات طلعة الأنوار» .
و «شرح المنظومة البيقونية» .

وكلاهما كتابان معتبران، ينالان الاهتمام الدائم من الدارسين في معظم الأقطار الإسلامية، كما كان في الماضي عند ما كان المؤلف على قيد الحياة، وقد طبعا مرات عديدة نالا تدقيق المؤلف، ومراجعته وتحقيقه.

ألّف في الفقه على طريقة المحدّثين كتابين هما:

1- «إسعاف أهل الإيمان بوظائف شهر رمضان» .

2- «إسعاف أهل الإسلام بوظائف الحج إلى بيت الله الحرام» .

هما كتابا حديث وفقه في موضوعهما، وقد طبعا لعدة مرات، وكان لهما الحظ الوافر من مراجعة المؤلف وتحقيقاته، حظيا بتدريسهما لطلابه في مناسباتهم الدينية لمرات عديدة.

كان رحمه الله تعالى عالما من علماء الحديث المشهود لهم في هذا المجال، وعالما من علماء أصول الفقه، قد أنتج في هذا المجال العلمي كتابه:

«الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة» «1» ، وقد طبع طبعتين.

وحاشية موسعة على «لب الأصول» .

ألّف في العقيدة:

«البهجة السنية في شرح الخريدة في علم التوحيد» طبع بأندونيسيا، يدرس في معاهدها ومؤسساتها التعليمية.

---

(1) طبع طبعتين عام (1406) وعام (1412) بتحقيق تلميذه عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان.

درس بالحرم الشريف شروح «ألفية ابن مالك» كابن عقيل، والمكودي، وحواشيهما مرات عديدة، مدوّنا تاريخ تدريسه لها على صفحات النسخ التي درس فيها، وكذلك علوم البلاغة، غير أنّه لم يؤلف فيهما.

وقد ظهرت آثار هذه الدراسات العلمية المتنوعة واضحة في شرحه لهذه المنظومة.

تجلّت قدراته اللغوية رحمه الله في التحليل اللغوي للمنظومة عند ما يحتاج النظم إلى ذلك، حيث ضرورات النظم توجب تقديم ما حقه التأخير، وتأخير ما حقه التقديم، فيستوجب هذا بيان وضع كل عبارة أو جملة في موضعها الصحيح، ومن ثمّ إعرابها لتوضيح معناها.

إن اطّلاعه الواسع، وقدراته الرفيعة في علم الحديث سندا ومتنا.. أضاف إلى النظم من الوقائع والأحداث ما لا يوجد إلّا في كتب الحديث، وما لا يعرفه إلّا المحدث الضليع، فهو على ذكر ممّا هو مدوّن في هذه المدونات، وما يذكره علماء السيرة النبوية، وقد يتخلل هذا: تعارض الروايات، والأحداث، والوقائع، فيفحصها حسب القوانين العلمية الأصولية، وقد وفق رحمه الله تعالى في هذا الجانب كل التوفيق.

وملكاته الفقهية والأصولية قدمت للقارئ معلومات فقهية مهمة كلّما واتت مناسبة لذكرها.

شروح المنظومة:
يوجد شرح آخر لهذه المنظومة للعلّامة الشيخ حماد الأمين الشنقيطي، وقد ذكر الشيخ حسن محمّد المشاط هذا الشرح، واطّلع عليه، واستفاد منه، وذكر منهجه

(1/14)

وطريقته، وأنّه من جملة ما اعتمده في شرحه، ولكنه اتّخذ منهجا آخر مستقلا، هو ما وضحه بقوله:
(وقد اعتمدت في هذا الشرح على شرح العلّامة الشيخ حمّاد بن الأمين الشنقيطي ابن أخي الناظم على هذا النظم، وهو شرح على طريقة المتقدمين، غير مزج، يذكر جملة من أبيات النظم، ويتكلم عليها على عادة علماء ذلك القطر في الإسهاب، والولوج في كل فن وباب) «1» .

مصادر الشرح «إنارة الدجى في مغازي خير الورى» :
خصّ الشارح رحمه الله تعالى المقدمة الثالثة بذكر أشهر من ألّف في المغازي، وبيّن المصادر التي اعتمدها بشكل رئيس، وذكر من بينها شرح العلّامة الشيخ حمّاد بن الأمين الشنقيطي، وبيّن منهجه في شرح هذه المنظومة، وقد سلك المؤلف رحمه الله تعالى منهجا مغايرا؛ فقد كان الأول يعتمد وحدة موضوعية من الأبيات، ثمّ يتحدث عن موضوعها جملة، دون تعرض لتحليل الأبيات ومدلولاتها، في حين أنّ الشارح هنا يعتمد الأسلوب التحليلي لكل جملة وعبارة في النظم، وبيان مؤداها ومدلولاتها.
وقد ظهر اعتماده على أهم مدونات السيرة النبوية وأكثرها اعتمدا عند علماء هذا الفن، بل أكثر الاعتماد على ابن إسحاق، والحافظ اليعمري، و «روض النهاة» وهي مصادر أصلية ذات وزن كبير في هذا العلم، علما بأنّ الشارح رحمه الله تعالى قد أسعفته ملكاته العلمية، وعمقه في علم الحديث أن يكون من بين مصادره المنثورة في هذا الشرح: «الصحيحان» بشكل خاص، وبقية كتب الصحاح بشكل عام، وكتب شروح الحديث مثل «فتح الباري» وغيره.

---

(1) (ج 1، ص 6) .

(1/15)

فمن ثمّ أصبح الشرح موسوعة مصغرة للأحداث والوقائع النبوية من مصادر صحيحة موثقة.

صلة الشارح رحمه الله بمنظومة المغازي، وتحقيقه نصوصها:
علاقة الشارح رحمه الله تعالى بهذه المنظومة علاقة حفظ ودرس، وأكثر من هذا هي علاقة عشق

وهيام، فقد كانت من جملة محفوظاته التي اهتمّ بها في شبابه، واعتنى بها حفظا، ودرسا، وتدريسا، وكتابة، وشرحا على مدى مسيرة حياته رحمه الله، وقد أحبها لأسباب عديدة:
أولا: لموضوعها، فهي عرض أمين، وإبراز لمواقف البطولة شاخصة وممثلة في رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله تعالى عنهم.
ثانيا: سلاسة عبارتها، وسهولة حفظها.
وقد سجل إعجابه بها كتابة عندما ترجم لناظمها رحمه الله تعالى؛ إذ أثنى عليها، وسماها: «فصل الخطاب» في هذا الموضوع، وعدها متفوقة على سابقتها «الدرة السنية في المعالم السنية» من تأليف القاضي أبي عبد الله محمّد بن عيسى بن محمّد بن أصبغ الأزدي، المعروف بابن المناصف، الذي بلغ سبعة آلاف بيت من الرجز «1» .
وللحديث عمّا تميزت به هذه المنظومة يقول:
(قلت: ومنظومتنا هذه هي فصل الخطاب، والآية في الإعجاب، لا تدع شاذة ولا فاذة من عيون المغازي.. إلّا أتت عليها بأبدع أسلوب، وأسلس تعبير، فهي الفريدة في بابها، الممتعة لطلابها، وها هي ذي بين أيدينا ترفل في أبواب

---

(1) انظر «إنارة الدجى في شرح مغازي خير الورى» (ج 1، ص 69) .

حسنها، مدبجة بكلام الحفاظ والمهرة، من نقدة أهل هذا الشأن، فليحكم لها، أو عليها) «1» .
وقد كان لها النصيب الموفور من قراءته وتدريسه لها، وكثيرا ما كان يستشهد بها في دروسه ومجالسه، ويحث طلابه على حفظها.
قرأ هذه المنظومة، وصححها على يد شيخه الشيخ محمّد عبد الله زيدان «2» ، ولم تكن النسخة التي استنسخها الوحيدة، بل كانت هناك نسخة أخرى هي نسخة الشيخ حمّاد، وتختلف أحيانا عن نسخته، تعلق الشارح رحمه الله تعالى تعلقا شديدا بهذه المنظومة جعله يقارن بين نسخته وبين ما هو موجود في النسخة الأخرى، وقد ذكر بعض هذه المخالفات، ونوّه عنها في شرحه، من هذه المواضع:
1- أسماء الذين ثبتوا مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم في يوم هوازن (ج 2/ ص 241، 244) .
2- الاختلاف في صدر البيت، ففي نسخته يذكر أوّله:
ومعتب نجل قشير قالا ... وعدنا النّبي أن ننالا
وأن في بعض النسخ:
وابن قشير معتب قال أما ... وعدنا محمّد أن نغنما
وعقب على هذا قائلا: (والخطب سهل، والمعنى واحد) (ج 1/ ص 280) .
وهو بهذا التدقيق لنصوص المنظومة يبرهن على عنايته بتحقيق نصوصها تحقيقا علميا سليما.

---

(1) انظر «إنارة الدجى» (ج 1، ص 70) .
(2) انظر «إنارة الدجى» (ج 2، ص 244) .

(1/17)

منهج الشارح رحمه الله تعالى:
أوّلا: قدم الشارح رحمه الله لشرحه لمنظومة المغازي بمقدمات تعريفية مهمة، يحتاج إليها دارس هذا العلم، مبتدئا حسب الترتيب الآتي:
1- ترجمة الناظم، والتعريف بمكانته العلمية، وجهوده في التأليف في فن المغازي، والأنساب.
2- مشروعية الجهاد، وقد وضح هنا التدرّج التشريعي في هذه الشعيرة الإسلامية المهجورة.
3- في المغازي وفضل تعليمها.
4- في أشهر من ألّف في المغازي، وقد أتى على ذكر أهمها، منذ القرن الأول الهجري.. حتى القرن الحادي عشر الهجري.
ثانيا: من المعلوم أنّ النظم لا يتّسع لتفصيل الأحداث والوقائع، وأقصى ما يمكن هو التصريح إجمالا لأهم الأحداث، وما عدا هذا فيكتفى عنه بالإشارة والرمز، فمن ثمّ سلك الشارح رحمه الله تعالى لبيان التفاصيل والإسهاب فيها طريقتين مختلفتين:
أ- يسرد الحدث كاملا برواياته، وكافة وقائعه، في عبارة نثرية متسلسلة، وفي النهاية يذكر: أنّ هذا هو ما عناه الناظم من البيت التالي، أو الأبيات التالية، وبهذا يكون القارئ على إلمام بالمقصود، من كل حرف وكلمة في النظم، ثم يعرج بعد هذا على تحليل النظم، تحليلا لغويا بيانيا.
ب- وأحيانا يقدم تحليل النظم تحليلا لغويا، وبيانيا كاملا، وبعد هذا يأخذ في سرد موضوع النظم في عبارة نثرية متسلسلة، مترابطة الأحداث بعبارته، والاستشهاد لعرضه من كتب الحديث والسيرة النبوية.

(1/18)

والمعيار في هذا التراوح عند الشارح: هو علاقة الحدث بما ذكر قبله، أو ما يذكر بعده.
ثالثا: استكماله الأحداث والوقائع التي لم يتأتّ للناظم عرضها، والحديث عنها، من ذلك:
أ- عمرة القضاء: توقف الناظم عند عقد الصلح (ج 2/ ص 138) دون أن ينوّه عن عمرة القضاء، فرأى الشارح رحمه الله تعالى أنّ الحديث عن عمرة القضاء، وما جرى فيها من وقائع.. يعد جزءا مهما لاستكمال صلح الحديبية ونتائجه البالغة على المسلمين، فمن ثمّ تحدث عنها بالتفصيل.
كذلك لم يعرض الناظم للأحداث التي وقعت للمسلمين لما وصلوا إلى تبوك، (ج 2/ ص 294) وقد تنبّه لها الشارح رحمه الله فأكملها.
رابعا: عنايته بضبط أسماء الغزوات، والأماكن، والأسماء، ضبطا صحيحا، كتابة بالحروف حسب

طريقة الضبط عند القدماء، وذكر الأقوال عند الاختلاف، وترجيح الصحيح، معتمدا في هذا على دواوين اللغة ومعاجمها، وكتب السيرة والتاريخ المتخصصة.
انظر مثالا لهذا: (غزوة ذي قرقرة) (ج 1/ ص 132) .
خامسا: اختياره من المصادر الأحداث والوقائع التي تنمي في القارئ روح التضحية والفداء في سبيل الله، والتي من شأنها أن تستثير في القارئ نوازع الخير، وتضاعف في نفسه محبة النّبيّ صلى الله عليه وسلم، والصحابة الكرام.
سادسا: اهتمامه بتحديد موقع الغزوة، وتاريخ حدوثها، وحامل لوائها، وعدد أفرادها، وذكر اسم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة أثناء غيابه عنها.
هذه هي العناصر الرئيسة في منهج المؤلف، وقد يقف الدارس بصفاء ذهنه وملكته على جوانب أخرى في منهج الشارح رحمه الله، تضم إلى ما سبق عرضه.

منهج الشارح رحمه الله تعالى في التعبير عن رأيه:
من السّمات البارزة في حياة المؤلف فضيلة الشيخ حسن بن محمّد المشاط تواضعه الجم مع الكبير والصغير، حالا ومقالا، وهو مظهر من مظاهر سلوكه العام، وبنفس السلوك يتعامل مع العلماء وآرائهم وكتبهم، ولا تبدو منه كلمة يشتمّ منها رائحة الجرح، فضلا عن الصريح.
يلمس القارئ هذا بوضوح فيما يذكر من آراء خاصة به، أو ترجيح، بعبارة متواضعة يستهلها أحيانا بقوله: (قال العبد الضعيف) في أكثر من موضع، أو مناسبة. انظر (ج 1/ ص 125– 127) .
وأحيانا يستهل الجملة عند ما يريد التعبير عن رأيه بقوله: (واعلم) أو بكلمة:
(قلت) بضمير المفرد المتكلم.

خصائص الشرح:
اشتمل الشرح على مجموعة من الخصائص العلمية المهمة نتيجة اهتمام الشارح رحمه الله، وبذله جهدا كبيرا في إنجازه، يطول الحديث في استعراضها تفصيلا، ومن الأجدى عرض أهم تلك الخصائص، ونماذج منها:

أولا: تحديد موقع الأماكن التي جرت فيها الأحداث،
وتحقيق أسمائها بحسب اشتهارها في الماضي، وتسميتها في الحاضر مثال هذا:
هدا الشام حاليا بوادي فاطمة الذي يسمى في كتب السيرة ب (الرجيع) وتنسب إليه وقعة الرجيع، وسماه الإمام في «جامعه» ب (الهداة) ويعلق الشارح رحمه الله تعالى هنا قائلا:
(قلت: ويسمى اليوم ب (هدا الشام) ويعرف بهذا الاسم، وله طريق من مر الظهران، وادي فاطمة، بينه وبينها نحو ساعة بالسيارة، وبهذا الموضع مزارع

كثيرة، وهواء طلق، ونخيل، وعيون، وآبار عذبة جدا، جئته يوما من الصباح إلى المساء، فصليت في جامعه، وبه مدرسة ابتدائية، ويقال: إنّ عدد من يسكنها اليوم يقرب من الألف) (ج 2/ ص 51) .

ثانيا: تحقيقه للأحداث التي تتضارب فيها الروايات وتصحيحها:

ترد بعض الأحيان أحداث تختلف فيها الروايات فيفحصها الشارح رحمه الله بحاسة المحدث، المؤرّخ، الخبير بترتيب الأحداث، فيخرج برأي سديد.

من هذا ما ذكره نقلا عن كتاب «الروض الأنف» للسهيلي:

(أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه شيء عن أهل مسجد الضرار، وكان قد استخلف عاصم بن عدي العجلاني على قباء، والعالية، فرده لينظر في ذلك، وضرب له بسهمه مع أهل بدر) (ج 1/ ص 134) .

يقول الشارح رحمه الله تعالى في دراسة هذا وفحصه حسب الأصول العلمية:

(قلت: هكذا قالوا، ولم يكن إذ ذاك مسجد الضرار، وإنّما كان سنة تسع عند خروجه صلى الله عليه وسلم لتبوك، فيحتمل أن يكون استخلافه عليه الصلاة والسلام على أهل قباء والعالية من المدينة لشيء بلغه عنهم؛ ولذلك عدّ من البدريين، وضرب له بسهم، وهو المعتمد كما ذكره الحافظ في «الإصابة» أمّا ذكر مسجد الضرار.. فلا معنى له) . (ج 1/ ص 135) .

ويلجأ إلى التوفيق بين الروايات إذا أمكن، ما لم يؤدّ إلى تعارض أو تناقض، وذلك: بأن تنسب بعض الأحداث إلى بعض الصحابة، وفي روايات أخرى تنسب إلى آخرين سواهم، ولا يمنع العقل والواقع صدوره من كليهما، فيحاول الشارح رحمه الله تعالى بصفاء إيماني، وحب عميق، وإجلال وإكبار لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.. التوفيق بينهما بمنطق مقبول، ومن الأمثلة على هذا:

ذكر الشارح رحمه الله: أنّ الإمام الزرقاني ذكر في «المواهب» : (عن

عروة: أنّه لما وضع فيه- خبيب بن عدي رضي الله عنه- السلاح نادوه- المشركون من بني لحيان فقد كان أسيرهم-: أتحب أنّ محمدا مكانك؟ قال: لا والله، ما أحب أن يفديني بشوكة في قدمه) .

وذكر الزرقاني رواية أخرى فقال: (ويقال: إنّ ذلك لزيد بن الدثنة، وأنّ أبا سفيان قال له ذلك) .

ويعلّق الشارح رحمه الله تعالى على هذا التعارض موفقا بين الروايتين قائلا:

(أقول: ولا منافاة، فمن الممكن أن يقع ذلك لكل من الصحابيين، وغايتهم واحدة، هو الله ورسوله صلى الله عليه وسلم) (ج 2/ ص 53) .

ثالثا: اهتمامه بالروايات المتعددة:

إنّ الشارح رحمه الله تعالى معروف بدقته ويقظته الشديدة؛ لما بين مؤلفي السير من اتفاق أو اختلاف في الأحداث والوقائع، أو أسبابها، أو تعددها، وتعدد أسمائها.
من هذا ما جاء في (ج 1/ ص 169) في عرض أحداث غزوة بني سليم؛ إذ جاء تحت عنوان (تنبيه) ما يأتي:
(جعل الناظم غزوة بني سليم غير غزوة قرقرة الكدر؛ لما سيأتي، فهما غزوتان؛ تبعا لأصله «العيون» ، وجعلهما صاحب «المواهب» واحدة، وتبعه تلميذه الشامي) .

رابعا: مقارنته بين هذه المنظومة، وبين رصيفتها منظومة الشيخ غالي بن المختار في «تبصرة المحتاج» ، من هذا:
عرض الناظم رحمه الله لقصة العرنيين وسرية سعيد بن زيد رضي الله عنه في الأبيات الثلاث الآتية:
وبعدها انتهبها الأولى انتهوا ... لغاية الجهد وطيبة اجتووا

فخرجوا وشربوا ألبانها ... ونبذوا إذ سمنوا أمانها
فاقتصّ منهم النّبي أن مثلوا ... بعبده ومقلتيه سملوا
وبعد أن أتمّ الشارح رحمه الله تعالى تحليلها وبيانها، وفصل أحداث هذه السرية.. ذكر الآتي:
وقد أشار إلى هذه السرية الشيخ غالي بن المختار في «تبصرة المحتاج» بأبسط ممّا ههنا، وسماها بسرية كرز بن جابر الفهري بقوله:
فنجل جابر لنيف ذو العلا ... كرز بإثر نفر عدوا على
لقاح خير مرسل وقتلوا ... غلامه ومقلتيه سملوا
وإذ بهم أتى النّبي قطعا ... أيديهم ونعم ما قد صنعا
وقطع الأرجل ثمّ سملا ... أعينهم وردّهم ممتثلا
بجانب الحرة يستسقونا ... لما أصابهم فلا يسقونا
(ج 2/ ص 74)

خامسا: اهتمامه بالجوانب الفقهية:
الفقه الإسلامي أحد العلوم التي برع فيها الشارح– رحمه الله تعالى– وملك عنانها، فلا عجب أن يعطي الجانب الفقهي اهتماما كبيرا، خصوصا وأنّ المواقف النبوية في هذه الغزوات ذات طابع خاص.. تعد مصدرا لأحكام شرعية كثيرة لا مجال لإبرازها واستنباطها.. إلّا من خلال أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، وأفعاله، وتحرّكاته في هذه المناسبات بخاصة، وبحكم التفاعل العلمي الفقهي في نفس الشارح رحمه الله تعالى.. لم يأل جهدا أن يتحدث عن الجوانب الفقهية، والأحكام التشريعية إذا طرأت مناسبة لذلك، والأمثلة على هذا كثيرة، ومنثورة في صفحات الكتاب، وعرض الأحداث، ويكتفى هنا بالإشارة إلى عناوين بعضها، مثل:

1- حكم من دعا بدعوى الجاهلية في الإسلام، وأقوال الفقهاء فيه (ج 2/ ص 85) .
2- حرمة التسبب لإسقاط الأطفال، وحكم استعمال الحبل من أصله (ج 2/ ص 101) .
3- جواز الاجتهاد بحضرة النّبيّ صلى الله عليه وسلم (ج 2/ ص 50) .
4- حكم أخذ الأجرة على دخول الكعبة (ج 2/ ص 226) .
5- حكم النياحة على الميت، وإرهاق أهل الميت بعمل طعام للمعزين (ج 2/ ص 172، 173) .
6- هل يغسل الشهيد إذا كان جنبا (ج 1/ ص 233- 234) .
7- المعنى الذي ينبغي أن يحمل عليه حديث المغفرة لأهل بدر، وحكم ما إذا ارتكب أحدهم فعلا يوجب حدا شرعيا (ج 1/ ص 128) .

سادسا: استخلاص الفوائد والعبر من الأحداث:

من أبرز الجوانب التي يحرص عليها الشارح رحمه الله هو استخلاص الفوائد والعبر من الأحداث مما يفيد الأمّة الإسلامية، ويرفع من شأنها، ويعيد إليها أمجادها، قد يطول به الوقوف عند الحدث حسبما يمليه الموقف، وقد يقصر، وهو حريص كل الحرص على توجيه نظر القارئ بخاصة، والمسلمين بعامة إلى الإفادة من التجارب التي مرّ بها المسلمون في عصر النبوة، والخلافة الراشدة، والأخذ بالأسباب التي تقودهم إلى العزة والكرامة، وتباعد بينهم وبين أسباب الذل والانحطاط.

تتجلى هذه الروح منذ الصفحات الأولى من هذا الكتاب، ففي نهاية حديثه عن المغازي، وفضل علمها وتعلمها يقول:

(وإنّ في النظر إلى ما لأسلافنا الكرام القادة في الحرب والسلم، من المقدرة الفائقة، والبطولة النادرة، والتضحية بالمهج الغالية في سبيل العقيدة الحقة، والمبادئ الفاضلة.. ما يملأ القلوب إيمانا بفضلهم، وإعجابا بصنعهم، وإكبارا لجلائل أعمالهم، وحرصا على التأسّي بهم.

وفّق الله الأمّة للنظر فيما لسلفها الصالح؛ حتى تفيق من غفلتها، وتنهض من كبوتها، وتتذكر بذلك ما كان لها من عظمة ومجد، فتعمل لاسترجاعه، وتتبوّأ المكان اللائق بها، آمين) .

وهكذا تعامله مع كل حدث فيه تذكير واستحثاث لهمة الأمّة، وتوجيه نداء مخلص لأبنائها، والنماذج من هذه الوقفات للشارح رحمه الله تعالى كثيرة، منها:

ما ذكره من حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم في إمضاء شروط صلح الحديبية (ج 2/ ص 121) .

وفوائد قصة التحلل من إحرام العمرة بعد إبرام عقد الصلح (ج 2/ ص 127) وغيرها كثير امتلأت به صفحات الشرح.

سابعا: ربطه بعض الأحداث قديما بما هو جار في العصر الحاضر:
لا ينسى الشارح رحمه الله تعالى أن يقارن الأحداث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يجري في عالمنا المعاصر؛ لإذكاء الشعور الإيماني، وبيان الواقع الذي انحدرت إليه الأمة، أو بعض طوائفها، ومن الأمثلة على هذا:
1- حديثه عن مشروعية الوقف في الإسلام بمناسبة تحبيس النّبيّ صلى الله عليه وسلم سبع حوائط بأنّه:
(أحد الأدلة الكثيرة على مشروعية الوقف في الإسلام) .
ثمّ يعلّق الشارح رحمه الله تعالى على هذا قائلا:

(1/25)

(خلافا لبعض علماء العصر ممّن يريد حل الأوقاف الإسلامية تبعا للهوى، هدانا الله، وإيّاهم على الصراط المستقيم) (ج 1/ ص 231) .
2- توجيه شباب الأمّة ونصحهم بالاقتداء بالصحب الكرام (ج 1/ ص 219) .

ثامنا: استشهاده بالشعر:
والشارح رحمه الله تعالى يقول الشعر، ويحفظه، خصوصا الشعر الرصين، الرفيع المعاني، الرقيق الحواشي، البليغ العبارة، وقد نثر هذا في مناسبات عديدة من الشرح، بما يلائم الموقف الذي يتحدث فيه.
ففي عرض أحداث غزوة خيبر، وتطلّع الصحابة رضوان الله عليهم إلى أن يعطى كل واحد منهم الراية عندما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لأعطينّ الراية رجلا يحبه الله ورسوله» ، ثمّ أعطاها عليا رضي الله عنه، وكان متخلفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لرمد أصابه، ثم لحق بالنّبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكانت الراية من نصيبه، ويعلق الشارح رحمه الله تعالى على هذا الحدث العظيم في (ج 2/ ص 146) بقوله:
(وفي هذه القصة لطيفة، وهي: أنّ من طلب شيئا، أو تعرّض لطلبه..
يحرمه غالبا، وأنّ من لم يطلب شيئا، ولم يتعرض لطلبه.. ربما وصل إليه) .
ثمّ يستشهد على هذا بالبيت التالي:
والدهر يعطي الفتى ما ليس يطلبه ... يوما ويمنعه من حيث يطمعه
وإذا دعت المناسبة لذكر بعض الأشعار ذات المعاني الطريفة.. فإنّه يستشهد بها، مقدما لها بعنوان له مدلوله الرقيق (لطيفة) .
من هذا ما ذكره تحت هذا العنوان بعد الحديث عن أهل بدر وما خصّهم الله من مغفرة ورضوان قائلا:

اقتبس الحديث المذكور بعض الأدباء فقال في محبوب يسمى بدرا «1» :
يا بدر أهلك جاروا ... وعلموك التجري
وقبحوا لك وصلي ... وزيّنوا لك هجري
فليفعلوا ما أرادوا ... فإنّهم أهل بدر

تاسعا: استطراداته:
الاستطراد: عبارة عن إضافة معلومات إلى الموضوع الأساسي ممّا له علاقة به، لأدنى ملابسة، وقد حرص العلماء القدامى على هذا النوع من الإضافات في مؤلفاتهم، حتى إنّها كانت من حسنات التأليف وفضائله.
فليس عجبا أن يأخذ الشارح رحمه الله تعالى بهذا المبدأ جريا على عادة المؤلفين السابقين، فيمتلئ كتابه بالاستطرادات الكثيرة، والإضافات المفيدة، فيطيب له إذا وردت مناسبة لذكر فائدة، أو إضافة معلومة ذات علاقة بالموضوع أن يتحدث عنها.
ومن الاستطردات المهمة ما جاء في (ج 2/ ص 160) بعد الانتهاء من عرض أحداث أمراء جيش مؤتة رضي الله عنهم إسهابه في التعريف بكل واحد منهم:
زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة بدءا من (ص 164– 180) ، حتى وقد بدأ التعريف بهم بقوله رحمه الله تعالى:
(وحيث حدا بنا المقام إلى هؤلاء الأمراء الثلاثة.. فلا بأس أن نلم بشيء من التعريف بهم، تيمّنا بذكراهم، وإن كانوا في غنية عن التعريف؛ لشرفهم العظيم بالانتساب الحقيقي إلى الجناب النبوي رضوان الله عليهم، لكنا في شديد الحاجة إلى معرفة حياتهم في ذلك العصر النبوي؛ لنقتفي آثارهم، ونتيمن بآثارهم، ونعطر النواصي بأريج شذاهم ...) (ج 62 ص 164) .

---

(1) (ج 1/ ص 78) .

وبعد أن أطنب في ترجمة زيد بن حارثة رضي الله عنه.. ساقه الحديث إلى ذكر الأربعة الذين توالدوا صحابة (ج 2/ ص 169) .
وبعد أن عددهم.. ساقه الحديث إلى الكلام عن موالي النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وقدم لذكرهم بمقدمة مدخلا لإيجاد المناسبة لذكرهم قائلا:
(وبمناسبة ذكر سيدنا زيد لا بأس بإتمام مواليه صلى الله عليه وسلم تتميما للفائدة) (ج 2/ ص 169) .

ومن الاستطرادات المهمة التي أشبع بها الكتاب ذكره حدود الحرم، وتاريخ ترسيم الحدود، لدى عرض أحداث غزوة الفتح، وفتح النّبيّ صلى الله عليه وسلم لمكة المكرمة، وعفوه عن أهلها، وتحريمه لها، فذكر تحت عنوان (تاريخ أنصاب الحرم) (ج 2/ ص 197) اقتباسات مهمة عن مؤرخ مكة المكرمة أبي الوليد الأزرقي، فذكر أول من نصب أنصاب الحرم، وتابع بعد هذا الحديث عن من جددها حتى عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ج 2/ ص 197) .

وفي مناسبة أخرى لدى الحديث عن إسلام عبد الله بن أميّة القرشي المخزومي، وكان هو وأبو سفيان بن الحارث شديدي الإيذاء للنّبيّ صلى الله عليه وسلم بمكة، وبعد الهجرة، وما كان من إعراض النّبيّ صلى الله عليه وسلم عنه تأديبا، ثمّ شفاعة أخته أم سلمة رضي الله عنها فيه، ثمّ عفو النّبيّ صلى الله عليه وسلم عنهما، يقول الشارح تعليقا (ج 2/ ص 192) .

ولكن احتضنتهما السعادة، جعلنا الله ممّن سبقت له العناية، وكتب له السعادة:

رب شخص تقوده الأقدار ... للمعالي وما لذاك اختيار

غافلا والسعادة احتضنته ... وهو منها مستوحش نفار

والشارح رحمه الله تعالى يحفظ الكثير من الشعر العذب الرقيق، ويستشهد به

ما عنت له مناسبة.

وقد أبدع بعض الشعراء معنى بديعيا من قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرحبا اليهودي مستخدما الجناس التام في البيتين التاليين، هامش (2) (ج 2/ ص 149) يقول الشارح رحمه الله:

وأشار لذلك بعضهم وأجاد بقوله:

وشادن أبصرته مقبلا ... فقلت من وجدي به مرحبا

قدّ فؤادي في الهوى قدة ... قدّ علي في الوغى مرحبا

إلى غير ذلك من الاستشهادات العديدة للمعاني الرفيعة، والخيال البديع.

عاشرا: العرض الإجمالي لأهم الأحداث من عام ولادته صلى الله عليه وسلم إلى عام وفاته:

ختم الشارح رحمه الله تعالى هذا الكتاب بما اعتاده بعض المؤلّفين في السيرة النبوية الشريفة بعرض بعض الأحداث والتشريعات المهمة، التي وقعت من عام ولادته الشريفة صلى الله عليه وسلم الذي شرف الله به العالمين إلى عام وفاته صلى الله عليه وسلم.

ويلاحظ في هذا العرض أمور:

أولا: أنّه لم يكن متسلسلا سنة بعد سنة ترتيبا متتابعا، بل حسب وقوع الأحداث، السابق فالتالي، وإن تباعد ما بينهما؛ ولعله لم يوجد بينهما من الأحداث المهمة ما يوجب رصده، والاهتمام به.

بدا هذا واضحا منذ بداية العرض الموجز لقائمة الأحداث المهمة، حيث انتقل الشارح رحمه الله تعالى من سنة ولادته صلى الله عليه وسلم إلى السنة الرابعة مباشرة، ومنها إلى السادسة، وقد تتسلسل الأحداث زمنيا إذا حدث ما يستدعى ذكره من الأحداث.

ثانيا: لم يكمل الشارح رحمه الله تعالى عرض الأحداث حسب تاريخ ولادته صلى الله عليه وسلم حتى الأمد الذي حدده وهو وفاته صلى الله عليه وسلم؛ فقد استمرّ يؤرّخ حسب الولادة الشريفة، ثمّ توقف أن يؤرخ بها بعد البعثة النبوية، وتابع رصده التاريخي حسب البعثة النبوية بعد بلوغه صلى الله عليه وسلم الأربعين من عمره الشريف، وأول حدث دونه هو:
(وفي السنة الثالثة من النبوة: توفي ورقة بن نوفل) .
واستمرّ التاريخ للأحداث حسب البعثة حتى السنة الرابعة عشرة من النبوة، ثمّ توقف في التاريخ بها في السنة الأولى للهجرة.
ثالثا: استأنف بعد ذلك التاريخ للأحداث حسب هجرة النّبيّ صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنوّرة، وبالتفاوت في الرصد التاريخي للأحداث يحقق الشارح رحمه الله تعالى أمرين مهمين:
الأول: الرصد التاريخي حسب الحدث الأهم حتى يأتي ما هو أهم منه، فيكون له الأوّلية.
الثاني: إبقاء الحدث الأهم حيا في الذاكرة على مدار الفترة الزمنية التي يؤرّخ لها.

حادي عشر: النقد العلمي المهذب:

استدرك الشارح رحمه الله تعالى على الناظم نقاطا علمية عديدة، بأسلوب علمي موضوعي مهذب، من ذلك:
ذكر الناظم أنّ أبا ذرّ الغفاري رضي الله عنه استشهد على يد العصابة من بني غطفان الذين نهبوا لقاح النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وذلك قوله:
وأقبلت امرأة الغفاري ... قتيل نهب إبل المختار
فاستدرك عليه الشارح رحمه الله بالعبارة التالية:

(وفي كلامه نظر؛ فإنّه إذا كان الغفاري أبا ذرّ فكيف يصفه بأنّه مقتول للذين أغاروا على اللقاح، فإنّ المعروف عند أهل السير أنّ المقتول هو ابن أبي ذرّ الغفاري واسمه: (ذرّ) ، ولم يقل أحد: إنّ المقتول أبو ذرّ) (ج 2/ ص 64) .
وفي مناسبة أخرى عندما قدم الناظم رحمه الله الحديث: موت رفاعة بن زيد كهف المنافقين (ج 2/ ص 83) على حادثة الواردة، (وذلك أنّ أجيرا لعمر بن الخطاب من بني غفار يقال له: جهجاه بن مسعود جاء يقود فرسه في موضع الزحام على الماء فازدحم مع سنان بن وبرة الجهني فاقتتلا) (ج 2/ ص 84) .
يقول الشارح تعليقا على تقديم الناظم ما حقه التأخير ترتيبا:
(ولو أخر هذه الحادثة عن حادثة الواردة.. لكان أولى كما صنعه صاحب الأصل الحافظ اليعمري في

«سيرته» ، وكذا غيره) (ج 2/ ص 83) .
بمثل هذه العبارة المختصرة المهذبة يعبر الشارح عن نقده واعتراضاته: (وفي كلامه نظر) ، و (لكان أولى) ممّا ينم عن خلق إسلامي رفيع، هو من خصائص العلماء، وأهل الإيمان.
ويأخذ النقد عنده أحيانا صورة أخرى وهو اقتراح عبارات للنظم غير ما عبر به الناظم، من هذا قول الناظم:
خندق خير مرسل بأمر ... سلمان والحروب ذات مكر
يقول الشارح رحمه الله تعالى: (قلت: ولو أنّ الناظم قال:
خندق خير مرسل وقد أشار ... سلمان بالخندق نعم المستشار
.. لكان أليق بالأدب في حق الجناب النبوي) (ج 1/ ص 269) .
ويعتذر للناظم أحيانا، ومن الأمثلة على هذا: أنّ الناظم رحمه الله تعالى قدم مقالة سيدنا سعد بن معاذ في غزوة بدر على مقالة المقداد في تجاوبهم لنداء النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وطلب المشورة عليه، في حين أنّ المقداد رضي الله عنه قد

سبقه بمقالته المشهورة، ويعتذر الشارح رحمه الله تعالى عن الناظم بضرورة الشعر ويختم هذا قائلا: (والخطب سهل) (ج 1/ ص 92) .
وبعد:
فكتاب «إنارة الدجى في مغازي خير الورى» شرح العلّامة المحدث، الفقيه الأصولي، فضيلة الشيخ حسن محمّد المشاط المكي قبل هذا وبعده.. مرآة صافية للروح الإسلامية الشفافة، والحسن الإيماني القوي، ومشاعر الحب الصادقة الدفينة، التي يخفق بها قلب الشارح رحمه الله تعالى حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته وصحبه الأطهار، رضوان الله عليهم، وسلف الأمّة الصالحين؛ فقد كان حديثه عن السيرة النبوية حديثا يفيض إيمانا، يستجمع له مشاعره وإحساساته؛ إجلالا وإعظاما وخشوعا، حديث المتأثر المتفاعل بما يقول، يحسه سامعه، ويدركه على قسمات وجهه مغرورق العينين، وقد أخضلت الدموع لحيته، فيسري تيار من التأثّر والخشوع بين الحاضرين.
ولست بمحص، أو معدد خصائص هذا الكتاب وميزاته؛ فإنّ القارئ البصير، الصافي الفكر، سيقف على الكثير ممّا لم تتعرض له هذه الدراسة الموجزة؛ إذ استهدفت الإشارة إلى عرض إجمالي، محدد لخصائص هذا الشرح، ولم تكن تستهدف الحصر والاستقصاء.
والله أسأل– وهو خير مسؤول– أن يجزى فضيلة الشيخ حسن بن محمد مشاط شارح هذه المنظومة خير الجزاء؛ على ما بذله في سبيل إعلاء كلمة الدين، ونشر العلوم الشرعية؛ ابتغاء وجه الله، والفوز بالرضا والقبول، ونسأل الله أن يرحم ولده البار الشيخ أحمد حسن مشاط، الذي يسعى حثيثا إلى نشر تراث والده، والتضحية بكل ما يستطيعه في تعميم النفع به، وأن يجعل من ذريته خلف خير، يقتفون آثار الآباء والأجداد، يصلون الحاضر بالماضي، علما وعملا، إنّه سميع قريب مجيب الدعاء، لا يفوتني أن أشكر الآخرين الدكتور السيد قاسم بن محمد

(1/32)

الأهدل، والدكتور صبغة الله نبي قطب الدين تلميذي المؤلف على ما قدماه من جهد في تصحيح الكتاب، وأسأل الله لهما العون، أن يخرجا هذا العمل الجليل إخراجا محققا محررا، حسب أصول التحقيق والبحث العلمي، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمّد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أبد الآبدين.
بقلم تلميذ المؤلف الأستاذ الدكتور عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان كوالالمبور 16/ 5/ 1413 الموافق 10/ 11/ 1992

(1/33)

القسم الثاني كتاب إنارة الدجى في مغازي خير الورى صلى الله عليه وسلم

(1/35)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تعريف بصاحب النظم

ترجم له الأستاذ أحمد بن الأمين العلوي الشنقيطي في كتابه «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط» طبعة الجمالية بالقاهرة، سنة (1329 هـ) – (1911 م) فقال:
(أحمد البدوي المجلسي ثم البوحمدي: هو العالم الكبير والنسّابة الشهير، وهو الذي أحيا أنساب العرب، بنظمه «عمود النسب» وقد أجاد فيه ومن تأمّل نظمه علم سعة اطّلاعه واقتداره في ذلك الفن، ونظم أيضا غزوات النّبيّ صلى الله عليه وسلم نظما جيدا، يدل على تبحّره في السيرة) .
وقال: (إنّه ليس من المتقدمين؛ وما أدري في أي تاريخ كان) اهـ
وقال الشيخ غالي بن المختار: قال البساتي الشنقيطي في «وسيلة الخليل إلى بعوث صاحب الإكليل» : (البدوي رحمه الله تعالى: هو أحمد الإمام الشهير بن سيدي محمّد بن أبي أحمد المجلسي) اهـ ولم يزد على ذلك.
أمّا «عمود النسب» فيزيد على ألف بيت، وممّا قاله في طالعته:
حمدا لمن رفع صيت العرب ... وخصّهم بين الأنام بالنّبي
وعمّهم إنعامه بنسبته ... فدخلوا بيمنها في زمرته

ودوّخوا بسيفه غلب العجم ... إذ هم بنو أب وأم بالحرم
إذ الخيول البلق في فتوحهم ... والرعب والظفر في مسوحهم
هم صفوة الأنام من أحبّهم ... بحبّه أحبّهم وودّهم
كذاك من أبغضهم ببغضه ... أبغضهم تبّا له من معضه
أئمّة الدين عماد السنّه ... لسانهم لسان أهل الجنّه
جمان سلك نسب النّبي ... ناهيك من سلك ومن بني
ثمّ الصلاة والسلام سرمدا ... على أجل المرسلين محتدا
وبعد فالعلوم من أعظمها ... فائدة فكان من أهمها
علم عمود نسب المختار ... ثم عمود نسب الأنصار
إذ منهما تشعّب الإيمان ... والنور والحكمة والفرقان

هذا ووجدت في ظهر نسخة خطّية عتيقة من «عمود النسب» كتبت سنة ألف ومئتين وخمس وثمانين، أنّ الناظم توفي تقريبا في العام العشرين بعد الألف والمئتين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، فرحمه الله، وجزاه خيرا عن الإسلام والمسلمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

تصدير

الحمد لله الذي جعل العلوم منحا إلهية، ومواهب اختصاصية، وجعل علم المغازي من بينها نبراسا يهتدي بمشكاته السائرون، وسببا متينا يتوصل به السالكون.

والصلاة والسلام على من أضاءت قبل وجوده إرهاصاته، وأكرم بها من إرهاصات، وأشرقت في أسرّة طلعته آياته، وأعظم بها من آيات، النّبيّ الأمّيّ، الذي أنار الله الدّجى بطلعة أنواره، فهو سيد الكائنات، ومحا ببعثته معالم الشرك، ومحق بصارم سيفه هام أعدائه فهم في الدركات، رسول الملاحم، ونبيّ الرحمة، الذي بوّأه الله المنزلة العليّة، فهو صاحب المقام المحمود، ومنحه مواهب الشرف في المقامات السنيّة، فهو الشاهد المشهود، سيدنا محمّد، الذي ألبسه الله من الحلل السندسية، حلّة لا تريم «1» ، ورتبة لا ترام، فهو سيد الإنس والجن قبل وبعد، بل سائر البرايا والأنام، صلى الله عليه وسلم وعلى آله، فقد بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، وجاهد في سبيل الله، وقام بنصح الأمّة حقا.. حتى أخذ بحجزها «2» عن الوقوع في المهواة، وعلى آله وصحبه، الذين

---

(1) لا تريم: لا تبرح، يريد لا تزول ولا تبلى جدتها.

(2) بضم الحاء وفتح الجيم، بعدها زاي، جمع حجزة، وهي معقد الإزار، روى الشيخان عن أبي هريرة

رضي الله عنه: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنّما مثلي ومثل أمّتي، كمثل رجل استوقد نارا، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيها، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم–

(1/39)

هم أشدّاء على الكفار، رحماء بينهم، يبتغون فضلا من الله.
أمّا بعد:
فإنّه لمّا كان (علم المغازي) من العلوم الشريفة التي يتنافس فيها المتنافسون، ويشمّر عن ساعد الجد في تحصيلها العاملون؛ إذ هو علم يحثّ المرء على الاقتداء بخير الأنام، ويدعو إلى التخلّق بحقائق أقواله وأفعاله الموصلة إلى دار السلام، وإنّه لعلم يريك بصورة مكبّرة ذلك العهد النّبوي الأنيق، فتستنشق ريّاه، ويعبق لك شذاه، وتشرب من كأسه المختوم الرحيق، وكان هذا من بعض ثمرات هذا الفن، كما هو بديهي لدى كل خبير حاذق مفن.. عنّ لفهمي القاصر أن أنتسب لذلك الجناب الرفيع النّبوي، بخدمة «منظومة المغازي» للإمام الجليل أحمد بن محمّد البدوي الشنقيطي، وشرحها شرحا يناسب طلبة العلم بديارنا المكّية، التي انبثق منها فجر العلم؛ ليوجّهوا إلى ذلك عنايتهم، ويثبتوه درسا من المقررات؛ فإنّ من القبيح أن يجهل الإنسان أحوال ساداته، فكيف بأحوال سيد السادات؟! بل ينبغي أن تعطّر النوادي بذكر أخباره عليه الصّلاة والسّلام؛ فإنّها لم تعمر مجالس الخير بعد كتاب الله تعالى بأحسن من أخبار من هو الرحمة المهداة للأنام.
وقد اعتمدت في هذا الشرح على شرح العلّامة الشيخ حمّاد بن الأمين الشنقيطي ابن أخي الناظم على هذا النظم،

– تقحمون فيها» ، ورواه الترمذي في آخر أبواب الأمثال، وقال: حديث حسن صحيح. اهـ

(1/40)

وهو شرح على طريقة المتقدمين غير مزج، يذكر جملة من أبيات النظم، ويتكلّم عليها على عادة علماء ذلك القطر في الإسهاب، والولوج في كل فن وباب.
ثمّ على سيرة أبي محمّد عبد الملك بن هشام، و «الروض الأنف» عليها، للعلامة أبي القاسم عبد الرّحمن السهيلي، وعلى السيرة للحافظ الشمس أبي عبد الله محمّد بن يوسف الشامي، وغير ذلك ممّا تراه هنا معزوّا.
وإنّي أعتذر لأولي البصائر والألباب بكثرة العوائق، وقلة البضاعة، وعدم توافر الأسباب، فإن وقفوا في ذلك على خطأ.. أصلحوه، أو على نقص بعد التأمّل.. ألحقوه، فقلّما يسلم الإنسان من الخطأ، ولا بد أن تقصّر به الخطى، أسأل الله أن يمنّ على العبد الضعيف بإتمام هذا الشرح، ويجعله من الأعمال الموجبة للغفران والصفح، وأن يرزقني به النفع، ويكسوه حلة القبول، ويجعله من العمل

الخالص الموصل للمأمول.
وقد صدّرت الشرح بمقدمات شريفة تناسب الموضوع، فعسى الله أن يثيبني على هذا العمل، ويجعله من العمل المتقبّل المرفوع؛ فإنّه عمدتي، وبه ثقتي.

(1/41)

المقدمة الأولى في مشروعية الجهاد

قال الحافظ شمس الدين، محمّد بن يوسف الشامي، في «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» :
لمّا أذن الله تعالى في الهجرة لرسوله صلى الله عليه وسلم، واستقرّ بالمدينة، وأيّده الله تعالى بنصره، وبعباده المؤمنين، وألّف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي كانت بينهم، فمنعته أنصار الله، وكتيبة الإسلام: الأوس، والخزرج، وبذلوا أنفسهم دونه، وقدّموا محبته على محبة الآباء والأبناء، وكان أولى بهم من أنفسهم.. عادتهم العرب، واليهود، ورمتهم عن قوس واحد، وشمروا لهم عن ساق العداوة، وصاحوا بهم من كل جانب.. حتى كان المسلمون لا يبيتون إلّا في السلاح، ولا يصبحون إلّا فيه، فقالوا: ترى نعيش حتى نبيت مطمئنّين لا نخاف إلا الله عزّ وجل؟ فأنزل الله تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ.
وعندما اشتدّ الأذى بهم.. أمر الله تبارك وتعالى بالصبر والعفو والصفح، قال تعالى: وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما

(1/42)

تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ حتى إذا قويت الشوكة للمسلمين.. أذن الله لهم في القتال، ولم يفرضه عليهم، فقال تبارك وتعالى: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ.
ثمّ فرض الله عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم، دون من لم يقاتلهم، قال تعالى: وَقاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ.
ثمّ فرض عليهم قتال المشركين كافة؛ حتى يكون الدين كلّه لله، قال عزّ وجلّ: وَقاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَما يُقاتِلُونَكُمْ كَافَّةً، وقال تبارك وتعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ.
فكان محرّما، ثمّ صار مأذونا فيه، ثمّ مأمورا به لمن بدأهم بالقتال، ثمّ مأمورا به لجميع المشركين، إمّا

فرض عين، أو فرض كفاية.
ثمّ كان الكفار معه صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ثلاثة أقسام:
قسم صالحهم، ووادعهم على ألّا يحاربوه، ولا يظاهروا عليه عدوّه، وهم– على كفرهم– آمنون على دمائهم، وأموالهم، وهم طوائف اليهود الثلاثة: بنو قريظة،

وبنو النضير، وبنو قينقاع.
وقسم حاربوه، ونصبوا له العداوة، وهم قريش.
وقسم تاركوه، فلم يصالحوه، ولم يحاربوه، بل انتظروا ما يؤول إليه أمره وأمر أعدائه.
ثمّ من هؤلاء من كان يحب ظهوره وانتصاره في الباطن كخزاعة، ومنهم من دخل معه في الظاهر وهو مع عدوّه في الباطن؛ ليأمن الفريقين، وهؤلاء هم المنافقون.
فعامل صلى الله عليه وسلم كل طائفة من هذه الطوائف بما أمره ربه تبارك وتعالى، فصالح يهود المدينة، وكتب بينه وبينهم كتاب أمن، وكانوا ثلاث طوائف حول المدينة:
بني قينقاع، وبني النّضير، وبني قريظة، فنقض الجميع العهد، فكان من عاقبة أمرهم الوخيمة ما سيأتي إن شاء الله تعالى في موضعه.
وأمره الله سبحانه وتعالى أن يقوم لأهل العقد والصلح بعهدهم، وأن يوفّي لهم به ما استقاموا على العهد، فإن خاف منهم خيانة.. نبذ إليهم عهدهم، ولم يقاتلهم.. حتّى يعلمهم بنبذ العهد، وأمره أن يقاتل من نقض العهد.
ولما نزلت (سورة براءة) .. نزلت ببيان هذه الأقسام كلها، فأمره الله تعالى أن يقاتل عدوّه من أهل الكتاب.. حتى يعطوا الجزية، أو يدخلوا في دين الإسلام، وأمره بجهاد الكفار والمنافقين، والغلظة عليهم، فجاهد الكفار بالسيف والسّنان، والمنافقين بالحجة واللسان، وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار، ونبذ عهودهم.

وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام:
قسما أمره بقتالهم، وهم الذين نقضوا عهده ولم يستقيموا له، فحاربهم، وظهر عليهم.
وقسما لهم عهد مؤقت لم ينقضوه، ولم يظاهروا عليه، فأمره أن يتمّ لهم عهدهم إلى مدتهم.
وقسما لم يكن لهم عهد، ولم يحاربوه، نعم؛ لهم عهد مطلق، فأمره أن يؤجّلهم أربعة أشهر، فإذا انسلخت..
قاتلهم، وهي المذكورة في قوله تعالى: فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وهي الحرم المذكورة في قوله تعالى: فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ فالحرم هنا هي أشهر التسيير، أولها يوم الأذان،

وهو العاشر من ذي الحجة، وهو يوم الحج الأكبر، الذي وقع فيه التأذين بذلك، وآخرها العاشر من ربيع الأول.
وليست هي الأربعة المذكورة في قوله تعالى: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ فإن تلك واحد فرد، وثلاثة سرد: رجب، وذو القعدة وذو الحجة، والمحرّم، ولم يسيّر المشركين هذه الأربعة، فإنّ هذا لا يمكن؛ لأنّها غير متوالية، وإنّما أجّلهم أربعة أشهر، ثمّ أمر بعد انسلاخها أن يقاتلهم، فقاتل الناقض لعهده، وأجّل من لا عهد له– أو له عهد مطلق– أربعة أشهر، وأمره أن يتم للموفي بعهده عهده إلى مدته.

(1/45)

واعلم: أنّ الله عزّ وجلّ شرع لنبيّه صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة جهاد أعدائه في الوقت الأليق به؛ لأنّهم لمّا كانوا بمكة.. كان المشركون أكثر عددا، فلو أمر الله المسلمين وهم قليل– بقتال الباقين.. لشق عليهم، فلمّا بغى المشركون، وأخرجوه عليه الصّلاة والسّلام من بين أظهرهم، وهمّوا بقتله، واستقرّ عليه الصلاة والسلام بالمدينة، واجتمع عليه أصحابه، وقاموا بنصره، وصارت المدينة دار إسلام، ومعقلا يلجؤون إليه.. شرع الله جهاد أعدائه، فبعث عليه الصلاة والسلام البعوث والسرايا، وغزا وقاتل هو وأصحابه..
حتّى دخل الناس في دين الله أفواجا، فلله الحمد والمنّة.

(1/46)

المقدمة الثانية في المغازي وفضل علمها وتعلّمها
الغزاة: المرة الواحدة من الغزو، والجمع غزوات، مثل: شهوة، وشهوات، والمغزاة كذلك، والجمع المغازي، والفاعل غاز، يقال: غزوت العدوّ غزوا، ويعدّى بالهمزة، فيقال: أغزيته، إذا بعثته يغزو، وإنّما يكون غزو العدو في بلاده، كذا في «المصباح» .
قلت: والمراد هنا بالمغازي ما كان عن قصد منه عليه الصّلاة والسّلام للكفار بنفسه الشريفة، أعم من أن يكون إلى بلادهم، أو إلى الأماكن التي حلّوها ونزلوها؛ حتى يشمل مثل أحد، والخندق.
وقد جاء في فضل هذا الفن أخبار وآثار كثيرة:
منها: ما روي عن محمّد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزّهري قال: (في علم المغازي خير الدنيا والآخرة) .
وعن سيد أهل زمانه زين العابدين سيدنا علي بن الحسين رضي الله عنهما قال: (كنّا نعلّم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلّم السور من القرآن) .
وعن إسماعيل بن محمّد بن سعد بن أبي وقاص الزّهري:
(كان أبي يعلّمنا المغازي والسرايا، ويعدّها علينا، ويقول:

يا بنيّ؛ هذه شرف آبائكم، فلا تضيعوا ذكرها) روى ذلك كله الخطيب البغدادي في «الجامع» ، وابن عساكر في «تاريخه» ، كما ذكره الشامي.

(1/47)

قلت: انظر إلى ما كان لأسلافنا الأماجد من المجد الباذخ، والمدنيّة الإسلامية الحقّة، وانظر إلى عنايتهم في وصايتهم لأبنائهم بالحرص على علم المغازي، والمحافظة عليه؛ فإنّ في ذلك أعظم منبّه يحرك في نفوسهم باعث الجد، والنشاط، والجهاد في سبيل الله، فيزدادون في ذلك حبا، وله تعظيما، فينشأون وقد تربّت فيهم ملكة التقديس لدينهم، والغيرة عليه، والذود عنه، والحرص على إعلاء كلمة الله، الكفيل لهم بسعادة الآخرة والأولى؛ وفي ذلك مجد لا يسامى، وعزة لا تضارع، وبذلك يعرفون عن بيّنة حقيقة الإسلام، ومبادئه، وتعاليمه، وفضائله، وما فيه من حضارة تفوق كل حضارة، ويعرف أولئك المفتونون الذين يولّون وجهتهم إلى الغربيين أنّهم مخدوعون بالعناوين الظاهرة، والبروق الخلابة؛ لأنّهم لم يطّلعوا على الحقائق الإسلامية فيتخلقوا بها.
وإنّ في النظر إلى ما لأسلافنا الكرام القادة في الحرب والسلم من المقدرة الفائقة، والبطولة النادرة، والتضحية بالمهج الغالية في سبيل العقيدة الحقة، والمبادئ الفاضلة..
ما يملأ القلوب إيمانا بفضلهم، وإعجابا بصنعهم، وإكبارا لجلائل أعمالهم، وحرصا على التأسّي بهم.
وفق الله تعالى الأمّة للنظر فيما لسلفها الصالح؛ حتى تفيق من غفلتها، وتنهض من كبوتها، وتتذكر بذلك ما كان لها من عظمة، ومجد، فتعمل لاسترجاعه، وتتبوّأ المكان اللائق بها، آمين.

(1/48)

المقدمة الثالثة في أشهر من ألف في المغازي

اعلم: أنّ أسلافنا الأماجد– جزاهم الله وأثابهم على صنيعهم– قد ألّفوا في هذا الفن كتبا لا تحصى، فيذكر لنا العلّامة الشمس الشامي في سيرته كغيره أنّ أوّل من ألّف في المغازي أبو عبد الله عروة بن الزّبير بن العوام أحد الفقهاء السبعة، وأئمّة التّابعين بالمدينة، المتوفى بها سنة (93 هـ) .
ثمّ تلاه تلميذه أبو محمد موسى بن عقبة بن أبي عياش، المتوفى بالمدينة، سنة (141 هـ) ، ومحمّد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزّهري، المتوفى سنة (124 هـ) .
قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله: (مغازي موسى بن عقبة أصح المغازي، وأجمعها) .
وقال الإمام الشافعي رحمه الله: (ليس في المغازي أصح من كتابه، مع صغره، وخلوّه من أكثر ما يذكر في كتب غيره) .
وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: (عليكم بمغازي موسى بن عقبة؛ فإنّه ثقة) .

وأشهرها مغازي أبي بكر محمّد بن إسحاق بن يسار المطلبي مولاهم المدني، المتوفى سنة (151 هـ) ببغداد، وقد اختلفت كلمة القوم فيه، فمنهم من تكلّم فيه، ومنهم من

أثنى، والمعتمد: أنّه صدوق يدلّس، وإذا صرّح بالتحديث.. فهو حسن الحديث.
قال الإمام الشافعي: (من أراد أن يتبحّر في المغازي..
فهو عيال على ابن إسحاق) .
وقد اعتمد عليه في هذا الباب أئمّة لا يحصون، ورواها عنه جمع، ويقع عند بعضهم ما ليس عند بعض.
وقد اعتمد أبو محمّد عبد الملك بن هشام المعافري، الحميري البصري، المتوفى بمصر سنة (213 هـ) رحمه الله تعالى، على رواية أبي محمّد زياد بن عبد الله بن الطّفيل العامري البكّائي- بفتح الموحّدة، وتشديد الكاف- المتوفى سنة (183 هـ) ، وهو صدوق، ثبت في المغازي، وفي حديثه عن غير ابن إسحاق لين، فرواها ابن هشام عنه، وهذّبها، ونقّحها، وزاد فيها زيادات كثيرة، واعترض أشياء سلّم له كثير منها، بحيث نسبت السيرة إليه، فقيل: «سيرة ابن هشام» «1» .
وممّن ألّف فيها من العلماء المتأخّرين، الحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي- بفتح الكاف-

---

(1) قال شيخنا في «الرسالة المستطرفة» : (ولأبي القاسم عبد الرّحمن بن عبد الله السهيلي صاحب التصانيف، المتوفى بمراكش سنة (581 هـ) كتاب «الروض الأنف» في شرح غريب ألفاظها، وإعراب غامضها، وكشف مستغلقها، استخرجه من نيف ومئة وعشرين مصنفا، فأجاد فيه، وأفاد) اهـ، وقد طبع بمصر على نفقة سلطان المغرب الأقصى المولى عبد الحفيظ رحمه الله مع «السيرة الهشامية» .
يقوم الآن بتحقيقها وإخراجها إخراجا علميا حديثا، الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم البنا، أستاذ اللغة العربية بالدراسات العليا للغة العربية بجامعة أم القرى.

الحميري، المتوفى شهيدا سنة (634 هـ) ، وسماها:
«الاكتفا في المغازي وسيرة الثلاثة الخلفا» ، وشرحها الشيخ أبو عبد الله محمّد بن عبد السّلام البناني، الفاسي، المتوفى سنة (1163 هـ) شرحا نفيسا.
ومنهم الحافظ أبو الفتح محمّد بن محمّد بن محمّد بن أحمد اليعمري الأندلسي، الشهير بابن سيد الناس، المتوفى بمصر سنة (734 هـ) فجأة، سماها: «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير» ، واختصر منها: «نور العيون في تلخيص سيرة الأمين المأمون» ، وعليه تعليق للحافظ برهان الدين

الحلبي، سمّاه: «نور النّبراس» .
ومنهم الحافظ العلّامة أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر الدمشقي، الشهير بابن قيّم الجوزية، المتوفى بدمشق سنة (751 هـ) وسمّاها: «زاد المعاد، في هدي خير العباد» حقّق فيها وأجاد.
ومنهم الحافظ زين الدين عبد الرّحيم بن الحسين العراقي، المتوفى بمصر سنة (806 هـ) نظم ألفيّة حافلة في البعوث، والمغازي، والسير، والشمائل، وشرحها المناوي شرحين: كبيرا، وصغيرا، وكذلك شرحها العلّامة نور الدين علي بن زين العابدين محمّد بن عبد الرّحمن بن علي، الشهير بالأجهوري، المتوفى بمصر سنة (1066 هـ) في مجلد كبير.
ومنهم الشهاب القسطلاني «1» المتوفى بمصر سنة (923 هـ)

---

(1) ضبطه بعض الفضلاء بضم القاف والطاء المهملة مشدد اللام، وقال: نسبة إلى قسطلة، بضمها وشد اللام أيضا بلدة بالمغرب. اهـ، لكن رأيت في ثبت العلّامة البديري الدمياطي

سماه: «المواهب اللدنية بالمنح المحمّدية» ، وهو سفر جامع، خدمه الناس بالقراءة والشرح والاختصار، وكتب عليه فخر المالكية الشيخ محمّد الزرقاني، المتوفى سنة (1122 هـ) شرحا لا يجود الزمان بمثله، ذكر فيه أن نصف الكتاب، يعني المواهب مأخوذ من «فتح الباري» للحافظ ابن حجر بعزو، وبغير عزو.
ومنهم الحافظ عماد الدين يحيى بن أبي بكر بن محمّد العامري، المتوفى سنة 893 هـ باليمن سماها: «بهجة المحافل وبغية الأماثل» لخّص فيها المعجزات والمغازي والبعوث والشمائل، وشرحها العلّامة جمال الدين محمّد بن أبي بكر الأشخر اليمني، المتوفى سنة (991 هـ) .
ومنهم العلّامة الحافظ محمّد بن يوسف بن علي شمس الدين الشامي الدمشقي الحنفي، المتوفى بمصر سنة (942 هـ) سمّاها: «سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد» ، وهي أجمع السير، وأوسعها مادة، حتى إنّه يقول في طالعة هذا الكتاب:
(اقتضبته من أكثر من ثلاث مئة كتاب، وتحرّيت فيه الصواب، ذكرت فيه قطرات من بحار فضائل سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم، وأنّ ما في الكتاب من الأبواب نحو ألفي باب) .
ويذكر لنا العلّامة المؤرخ عبد الحي بن أحمد بن محمّد بن

– المسمّى «الجواهر الغوالي في الأسانيد العوالي» : أنّ شيخه النور الشبراملسي ضبطه بفتح القاف، وقال: إنّه نقل هذا الضبط من القسطلاني نفسه. والله أعلم. انتهى من «المنهل العذب لكل وارد في بيان فضل عمارة المساجد» للشيخ حسن سبط إبراهيم سقا، قلت: وضبطه الزرقاني في «شرح المواهب» عند ترجمة القطب القسطلاني: أنّه بضم القاف، منسوب إلى قسطلينة من أعمال إفريقية بالمغرب، عن القطب الحلبي، وبعضهم ضبطه بفتح القاف وشد اللام. اهـ منه

العماد، المتوفى بمكة سنة (1089 هـ) في «شذراته» : (أنّه جمعها من ألف كتاب، وأقبل الناس على كتابتها، ومشى فيها على أنموذج لم يسبق إليه، وختم كل باب بإيضاح ما أشكل فيه مع بيان غرائب الألفاظ، وضبط المشكل، والجمع بين الأحاديث التي قد يظن أنّها من المتناقضات، فجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء) «1» .

ومنهم العلّامة علي بن إبراهيم الحلبي نور الدين بن برهان الدين الشافعي، المتوفى بمصر سنة (1044) سمّاها:

«إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون» وتعرف ب «السيرة الحلبية» ، لخّص فيها «سيرة اليعمري» ، و «سيرة الشامي» على أنموذج لطيف، واصطلاح له فيها شريف.

قال شيخنا أبو الإقبال سيدي محمّد عبد الحي الكتّاني في «التراتيب الإدارية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية» :

(ومن أعجب ما ألّف في الإسلام «الدرّة السنيّة في المعالم السّنّيّة» للقاضي أبي عبد الله محمّد بن عيسى بن محمّد بن أصبغ الأزدي، المعروف بابن المناصف القرطبي، المتوفى سنة (620 هـ) بمراكش، وهو نظم عجيب نحو سبعة آلاف بيت من الرجز، منه:

وإنّ أولى ما تحلّى المسلم ... بعد كتاب الله أو يقدّم
علم بأيّام رسول الله ... من لدن النّشء إلى التّناهي

---

(1) طبع منها ثمانية أجزاء.

وحفظ ما يحقّ ألّا يجهلا ... من أمره وحاله مفصّلا
فلنقتضب من ذاك ما لا يسع ... في الحقّ أن يجهل ذاك الأورع
وما يكون شرف المجالس ... جلا العلا للحافظ المدارس
تعلو به الرّتبة عن يقين ... في شرف الدّنيا وحكم الدّين)

قلت: ومنظومتنا هذه هي فصل الخطاب، والآية في الإعجاب، لا تدع شاذّة ولا فاذّة من عيون المغازي إلّا أتت عليها بأبدع أسلوب وأسلس تعبير، فهي الفريدة في بابها، الممتعة لطلّابها، وها هي ذي بين أيدينا ترفل في أثواب حسنها، مدبّجة بكلام الحفاظ والمهرة، من نقدة أهل هذا الشأن، فليحكم لها أو عليها.

ثم اعلم: أنّ أهل السير لا يتقيّدون بالصحيح من الأخبار، بل يذكرون الصحيح والسقيم، والبلاغ والمرسل، والمنقطع دون الموضوع، ومن أجل ذلك قال العلّامة العراقي في «ألفيّته» في المغازي والسير:

وليعلم الطالب أنّ السّيرا ... تجمع ما صحّ وما قد أنكرا
وقد قال الإمام أحمد بن حنبل كغيره من الأئمّة: (إذا روينا في الحلال والحرام.. شدّدنا، وإذا روينا في الفضائل ونحوها.. تساهلنا) والله أعلم.
وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود فنقول:

(1/54)

متن منظومة المغازي

(1/55)

قال الناظم رحمه الله تعالى:
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حمدا لمن أرسل خير مرسل ... لخير أمّة بخير الملل
وأفضل الصّلاة والسّلام ... على لباب صفوة الأنام
وآله أفنان دوحة الشّرف ... وصحبه والتّابعي نعم السّلف
ما أرهفت وأرعفت يراعه ... في مهرق ينابع البراعه
وجلجل الرّعد وسحّ مزنه ... وهبّ شمأل وماس غصنه
وبعد فالعلم أهمّ ما الهمم ... تنافست فيه وخير مغتنم
وخيره والعلم تسمو رتبته ... من فضل ما دلّت عليه سيرته
فهاك منها نبذة ليست تمل ... ولم تكن بمعظم القصد تخل
أرجوزة على عيون الأثر ... جلّ اعتماد نظمها في السّير
وشدّ ما اجترأت في ذا الهدف ... إذ لم أكن أهلا لصوغ النّتف
فكيف بالعقد لما كان انتثر ... عن كثرة وفي المهارق ابذعر
لكن تطفّلت على بركته ... وجاهه بنظم بعض سيرته
لعلّها بالنّظم هلهلا على ... من رامها نظما تكون أسهلا
ولحضوره بكلّ ذهن ... عن ذكره بمضمر أستغني
والله أسأل سداد النّظر ... وعصمة الخاطر من ذا الخطر
وأن يكون لي ولا عليّا ... وعند كلّ أحد مرضيّا

(1/57)

وأن يكون للثّواب قانصا ... لوجهه عزّ وجلّ خالصا
ممّا يلبّس به إبليس ... وللهوى في طيّه تدليس
بجاه أفضل الورى محمّد ... صلّى عليه الله طول الأبد
أوّل غزوة غزاها المصطفى ... ودّان فالأبواء أو ترادفا
ثمّ بواط خرجوا لعير ... أميّة بن خلف السّفسير
ثمّ العشيرة إلى عير أبي ... سفيان في ذهابها للأرب
فبدر الأولى بإثر ناهب ... سرح المدينة مغذّ هارب
كرز بن جابر وبعد استنقذا ... لقاحه ممّن عليه استحوذا
فبدر الكبرى لعير صخر ... آئبة من شأمها بالكثر
واعتقبوا في ذلك المسير ... كلّ ثلاثة على بعير
ولم يكونوا أوعبوا للحرب ... إذ ما غزوا لغير نهب الرّكب
وليس عندهم من السّيوف ... غير ثمان للعدا حتوف
ولا من الخيل سوى اثنتين ... وقد كفتهم أهبة التّمكين
واستنفر النّفير صخر لهم ... وجاء خير مرسل ألبهم
فأخبر النّاس بهم ممتحنا ... وقال سعد ما رأى وأحسنا
وكان من رويّة المقداد ... أن رضي السّير إلى الغماد
وعمر استقلّ جيش الحنفا ... واستكثر الّذي إليه زحفا
واستبقوا صخرا لبدر وانتحى ... وأخذوا واردة وزحزحا
عنها النّبيّ الضّرب إذ قال هما ... واردة النّفير واستفتاهما
وعند ما أمن صخر أرسلا ... إلى النّفير أن يؤوب قفّلا

(1/58)

وردّ الاخنس المسوّد على ... حلف بني زهرة وازداد علا
وابن هشام قال لا أو نردا ... بدرا فننحر ونرهب العدا
فطاوعوه ومضوا وباتوا ... بشرّ ما بات به بغاة
عن كثب وأصبحوا بوحل ... ثبّطهم وبات خير مرسل
بخير ليلة وأصبح على ... أثبت أرض للخطا وارتحلا
فنزلوا أدنى المياه للعدا ... وغوّروا جميعهنّ ما عدا
قليبهم وجعلوا الأواني ... في جدول فهي لهم دواني
وأقبلت بالخيلا والكبريا ... إلى المصارع الزّحوف الأشقيا
لو طاوعوا عتبة أو حكيما ... أو ابن وهب ما رأوا أليما
لكونهم إلى القفول أرشدوا ... من بعد ما أشفوا على ما وردوا
وقال عمرو وبأنفه شمخ ... ثانية سحر عتبة انتفخ

واستنشد ابن الحضرميّ الثّأرا ... فحشّ حربا بينهم وشرّا
فقام للوليد نجل عتبة ... حيدرة وحمزة لشيبة
نجل ربيعة وعتبة أخوه ... قام له عبيدة إذ رشّحوه
وقطعت قدمه واحتملوه ... وهو أسنّ الجيش فيما نقلوه
وهو إذا أخذت في نعم النّسب ... عبيدة بن الحارث بن المطّلب
وشهد المشهد هذا أخواه ... أعني الحصين والطّفيل مشبهاه
وابن غزيّة سواد استنتلا ... من صفّه ورام أن يعتدلا
نبيّنا فمسّه في كشحه ... وقال إذ آلم مسّ قدحه
أوجعتني نخسا فأعطني القود ... وجدّ في أن كان باشر الجسد

(1/59)

وخفق النّبيّ حين المعركه ... وفي عريشه رأى الملائكه
على ثنايا جبرئيل النّقع ... ولم يقاتل في سواها الجمع
وقيل: لم تقاتل الملائكه ... إذ ريشة منهم لقوم مهلكه
لكنّهم لعدد ومدد ... وطبلهم هناك طول الأبد
وجاء أنّ جبرئيل يحضر ... من مات مؤمنا وقوم أنكروا
نزوله بعد رسول الله ... والحقّ أن ليس له تناهي
وراقب الجمعين شخصان لكي ... ينتهبا من مدبري الجمعين شي
فرأيا الملك وهو منطلق ... فانشقّ واحد والاخر صعق
وابن معاذ مبتني العريش ... وحارس النّبيّ من قريش
يكره إبقاء الأسارى ويرى ... إهلاكهم أوّل قتل أجدرا
وهكذا عمر كان وهي من ... موافقاته الّتي بعد تعنّ
عن قتل آله نهى إذ خرجوا ... وفي خروجهم عليه حرج
وعن أبي البختري إذ لم يؤذه ... وصكّ نبذهم سعى في نبذه
وجاءه المجذّر بن ذيّاد ... وقال عنك قد نهى خير العباد
فقال والزّميل قال المصطفى ... لم ينه عن قتل الزّميل الحنفا
فقال والنّخوة تأبى والإبا ... عن تركه جبنا وحكّم الظّبا
لا يسلم ابن حرّة زميله ... حتّى يموت أو يرى سبيله
وإذ نهى عن قتل عمّه هفا ... أبو حذيفة وقال سخفا
وكفّرت هفوته الشّهاده ... يوم اليمامة لها أراده
وإذ رآه المصطفى تضجّرا ... من جرّ عتبة أبيه اعتذرا

(1/60)

بأنّه كان يرى أنّ أباه ... يحجزه عن ميتة السّوء حجاه
وإذ معاذ بن عمرو بن الجموح ... أطنّ ساق ابن هشام الطّموح
فطرح ابنه الهزبر عكرمه ... عاتقه وجرّه في الملحمه
ألصق خير مرسل فالتصقا ... عاتقه لمّا عليه بصقا
فرعون الامّة النّبيّ عرّفا ... بجحشه ركبته إذا اختفى
بين الهوالك وكلّم النّبي ... جثثهم موبّخا للخشب
وعاين النّاس المصارع الّتي ... أخبرهم بها مقيم الملّة
فحقّق الله له ما وعدا ... وأوهن الكفر وأيّد الهدى
لهم من الله كتاب سابق ... لذاك ما شهدها منافق
يوم له ما بعده في الكفر ... وقد أتى منوّها في الذّكر
بأنّه العذاب واللّزام ... وأنّه البطش والانتقام
وأنّه الفرقان بين الكفر ... والحقّ والنّصر سجيس الدّهر
في الأجر والمغنم قسّم النّبي ... لنفر عن الزّحاف غيّب
لطلحة ولسعيد أرسلا ... للرّكب ينظران أين نزلا
ولابن عفّان ولابن الصّمّة ... وابن جبير كسرا عن همّة
وابن عديّ عاصم العجلاني ... خلّفه خير بني عدنان
على العوالي وعلى المدينه ... أبا لبابة الرّبيط الزّينه
ثامنهم ردّ من الرّوحاء ... وهو ابن حاطب إلى قباء
وابن عمير مصعب مرّ على ... شقيقه مستأسرا للفضلا
فحضّهم أن شدّدوا إنّ له ... أمّا مليّة تفكّ كبله

وابن الرّبيع صهر هادي الأمّة ... إذ في فداه زينب أرسلت
بعقدها الّذي به أهدتها ... له خديجة وزفّفتها
سرّحه بعقدها وعهدا ... إليه أن يردّها له غدا
فردّها وبعد ذاك تجرا ... لنفسه وساكني أمّ القرى
فانتهب الأصحاب عير القلّب ... فجاء واستجار بابنة النّبي
فصرّحت ولم تجمجم البتول ... بأن أجارته وأمضاه الرّسول
فردّ ماله عليه أجمع ... تلك الصّهارة بها يستشفع
أوصى به من حيث الاكرام ابنته ... لكن نهاها أن تكون بعلته
وما ارتضى من بعد إسلام ابنته ... وكفره بقاءها في عصمته
لو أنّه يحلّ أو يحرّم ... بمكّة عنها الحليل يحسم

وسئل الإيمان كي يحوزا ... مال قريش وبه يفوزا
فهاب أن يبدأ بالخيانه ... إيمانه ويدع الأمانه
فردّها لأهلها وأسلما ... وآب إذ إلى قريش أسلما
فردّها إليه خير مرسل ... بالعقد الاوّل على القول الجلي
وأمّه هالة أخت صهرته ... والمصطفى رضي عن صهارته
والمسلمون خيّروا بين الفدا ... وقدرهم في قابل يستشهدا
وبين قتلهم فمالوا للفدا ... لأنّه على القتال عضدا
وأنّه أدّى إلى الشّهادة ... وهي قصارى الفوز والسّعادة
وهو بقدر وسعهم والملق ... من خطّه عشرة يحذّق
ومن مشاهير الأسارى عمرو ... نجل أبي سفيان ثمّ الصّهر

(1/62)

والعمّ وابنا أخويه وهما ... عقيل نوفل وبعد أسلما
وخالد أخو أبي جهل وقد ... أسلم أيضا وسهيل الأسد
ومكرز ركز في مركزه ... حتّى أتى فداؤه لعزّه
وابن أبيّ وأبو وداعه ... أوّل مفديّ من الرّباعه
وخالد بن الأعلم الّذي افتخر ... فكان قبل كلّ هوهة عجر
ومن مشاهير الممات حنظله ... منبّه وصنوه وابنان له
وهم نبيه حارث والعاصي ... أحد رهط غير ذي خلاص
من مكّة لكونه مستضعفا ... في زعمه ويوم بدر زحفا
مع قريش وتوفّت ظالمي ... أنفسهم ملائك الملاحم
وهم عليّ بن أميّة الرّدي ... والحارث بن زمعة بن الأسود
وابنان للفاكهي والوليد ... وأين هم من ابنه المجيد
سميّه وأخوي فرعونا ... شقيق او للأمّ ذاقا الهونا
سلمة عيّاش المستضعفين ... قنت لاستنقاذهم طه الأمين
واستشهدت ستّ من المهاجرين ... عبيدة المذكور في المبارزين
ثمّ عمير بن أبي وقّاص ... وابن البكير عاقل ألشّاصي
وذو الشّمالين ومهجع عمر ... صفوان بيضاء الّذي بها اشتهر
واثنان للأوس ابن عبد المنذر ... مبشّر سعد ابن خيثم الجري
وستّة الخزرج هم يزيد ... عوف معوّذ أخوه الصّيد
حارثة وابن المعلّى رافع ... ثمّ عمير بن الحمام النّازع
لربّه وهو يقول أفما ... بيني وبين جنّة إلّا الحما

(1/63)

فلسليم فلقينقاع ... المتصدّين إلى القراع
هم كشفوا إزارها عن مسلمه ... فهاج حرب بينهم والمسلمه
لو آمنت من اليهود كلّها ... زهاء عشرة اهتدوا لأجلها
عادوا للافساد فعاد الله ... وقينقاع العمّه العزاه
أوّل من غدر من يهودا ... وابن أبيّ سأل القرودا
نبيّنا وهم أسارى سطوته ... فأطلقوا وطردوا من طيبته
ومنهم الشّاهد عبد الله ... نجل سلام العظيم الجاه
فغزوة السّويق في إثر أبي ... سفيان أن حرّق نخل يثرب
وغال نفسين وكان آلى ... لا يقرب النّساء أو ينالا
وكان يلقي جرب السّويق ... مخافة اللّحوق في الطّريق
فسمّيت بذاك ثمّ بعدها ... قرقرة الكدر لقوم عندها
وبعدها ذو أمر وغطفان ... كلاهما تدعى به وتستبان
لغطفان وجموع ثعلبه ... جمعها دعثور صاحب الظّبه
وهو الّذي وجد خير مرسل ... يجفّ ثوبين له بمعزل
فسلّها وقال من يمنعكا ... فصدّه جبريل عمّا انتهكا
وفيه أو في غورث أو النّضير ... إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أنزلت على البشير
وبعدها غزوة بحران إلى ... أمّ القرى أو لسليم الجهلا
فأحد بربح عير صخر ... تأهّبوا ليتروا من بدر
وخرجوا ب (يه) ظعن وهم ... جيم ألوف والخيول لهم
راء وما للمسلمين فرس ... وفي زروع قيلة إحتبسوا

(1/64)

وقيل: فيهم فرس تحت أبي ... بردة النّدب وأخرى للنّبي
وقد رأى في نومه خير الأمم ... أن كان في ذباب سيفه ثلم
وأنّه أدخل في درع يده ... وبقرا يذبح أيضا وجده
فالثّلم ألعمّ وأمّا البقر ... يذبح فهو النّفر المعفّر
من صحبه ودرعه الحصينه ... أدخل فيها يده المدينه
واستكرهوا خير الورى فأخرجوه ... وبعد ما استلأم فيها استثبطوه
فراح نحو أحد وابتكرا ... وخام عنه ابن أبيّ وامترا
واستلّ سيف رجل ذبّ فرس ... فقال شم سيفك والحرب افترس

وكان لا يعتاف إلّا أنّه ... يعجبه الفأل إذا عنّ له
ومرّ في طريقه بالحاثي ... في أوجه القوم وكان راثي
أجاز أبناء يه واستصغرا ... من دونهم والجيش ذالا انبرى
وقال من يأخذ هذا السّيفا ... بحقّه فناله واستوفى
أبو دجانة وخال إذ مشى ... ومشيه من بغضه جلّ حشا
واستأصلوا أهل اللّوا فانهزموا ... وشمّرت عن سوقهنّ الحرم
مولولات إثرهم ورغبا ... في المغنم الرّماة حين استلبا
وخالف الرّماة أمر المصطفى ... بالصّبر والثّبات خلف الحنفا
فتركوا ظهورهم لخالد ... فكرّ راجعا بكلّ حارد
وحالت الرّيح ودارت الرّحى ... وذاق من خالفه ما اجترحا
وصرخ الصّارخ أن مات النّبي ... فارتهبوا لذاك كلّ الرّهب
وقال إذ ذلك: «لو كان لنا» ... من دهش قائلهم فافتتنا

(1/65)

ونجل مطعم جبير إذ قتل ... حمزة عمّه طعيمة احتفل
لقتله بأن عليه ذمّرا ... وحشيّه يومئذ وحرّرا
ودقّه في شدقه ابن حرب ... فقال: «ذق عقق» أي ذق حربي
أبلى بلاء حسنا قزمان ... على الحفاظ فله الخسران
وعكسه الأصيرم المخردل ... ليس له غير القتال عمل
وثبتت مع النّبيّ اثنا عشر ... بين مهاجر وبين من نصر
منهم أبو دجانة وابن أبي ... وقّاص الّذي افتداه بالأب
وطلحة وفيه شلّت يده ... إذ اتّقى النّبل بها يصمده
وتحته جلس أن جهضه ... درعاه والجراح فاستنهضه
والعمران وعليّ وعفا ... إلهنا عن الّذي منهم هفا
وثبتت نسيبة المبايعه ... قبل وعن خير الورى مدافعه
وجرحت فيه وشلّت يدها ... وللتّبرّك الورى تقصدها
في حفرة وقع خير مرسل ... فناشه طلحة والصّهر علي
إذ عتبة هشّ رباعيته ... وشقّ من شقوته شفته
وشجّه ابن قمئة وابن شهاب ... صلّى عليه الله ما سحّ سحاب
وازدرد الدّمّ أبو الخدريّ ... وانتزع الحلقة في النّبيّ
أبو عبيدة فكان أثرما ... بساقط الثّنيّتين أعلما
بملء درقة من المهراس ... جاء ليشرب شفيع النّاس

حيدرة فعافه ورحضا ... عن وجهه الدّمّ ففاز بالرّضا
قتادة ذو العين ردّها النّبي ... بقوسه وقد تشظّظت حبي

(1/66)

أوّل من عرفه فبشّرا ... به ابن مالك قريع الشّعرا
فعاودوه وتساقطوا عليه ... ونهضوا للشّعب إذ أووا إليه
فبايعوا على الممات المجتبى ... صلّى عليه الله ما هبّ الصّبا
وبعد ما اطمأنّ في الشّعب علت ... عالية من فوقهم فأنزلت
صلّى بهم وقعدوا وقعدا ... ظهرا لما من الجراح أجهدا
واستبدلت هند من اللآلي ... قلائدا من آنف الرّجال
وطوّقت وحشيّها الفريدا ... وأدبرت تردّد النّشيدا
نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر ... ولا أخي وعمّه وبكر
كلا المجدّع وسعد المفتدى ... سأل ربّ العرش منهم أسدا
أمّا المجدّع فللشّهاده ... وسعد الفتك به أراده
وإذ أبو رهم الغفاريّ نحر ... بريقه في الحين قام مستمر
واستشهد اللّذان قد تخلّفا ... لكبر فلحقا وزحفا
هما حسيل اليماني أسلمه ... حذيفة إذ أهلكته المسلمه
وثابت بن وقش المستشهد ... أخوه وابناه وكلّ وتد
وابن الرّبيع سعد اللّذ سألا ... نبيّنا عنه فألفي على
شفا الشّهادة فأرسل الرّضا ... إلى النّبيّ بالسّلام والرّضا
وذو الوصايا الجمّ للبشير ... وهو مخيريق بني النّضير
ومصعب شمّاس والمجدّع ... بحمزة المهاجرون أربع
حنظلة الغسيل نجل الفاسق ... زوج جميلة ابنة المنافق

(1/67)

أجنب منها فاستخفّه القتال ... عن شقّه أو عن جميع الاغتسال
وقال صخر إذ رآه قتله ... شدّادهم حنظلة بحنظله
واستشهد الأعرج عمرو بن الجموح ... وعن حياة المصطفى أبا الفتوح
سأل صخر وانثنى يغرّد ... موعدكم بدر وقال الموعد
وارتقبوا إن يجنبوا فهم قفل ... أو يسرجوا فهم لطيبة نسل

وبأبيّ مرّ بعد ابن عمر ... وهو الّذي رماه خالق البشر
مسلسلا صديان فاستسقاه ... والسّقي عنه ملك نهاه
ومرّ أيضا بأبي جهل لدى ... بدر به أضرّ لاعج الصّدى
وبعدها غزوة حمراء الأسد ... كانت لإرهاب صبيحة أحد
وأمر النّبيّ أن لا يخرجا ... إلّا الّذي بالأمس كان خرجا
ولابن عبد الله جابر سمح ... بالغزو إذ لأخواته جنح
بالأمس، إذ قال أبوه يا بني ... ما كنت أؤثرك بالغزو علي
وفتكوا بجدّ عبد الملك ... لأمّه سبط أبي العاص الذّكي
وهو الممثّل بعمّ أحمد ... وبمعاوية يعرف الرّدي
وبالّذي عليه قبل أشفقا ... نبيّنا ثمّ ارتجى أن يطلقا
ثانية أن كان ذا بنات ... وهو أبو عزّة ذو الهنات
ثمّ النّضير هاجها أن جاءهم ... مستوهبا من دية ما نابهم
فأصعدوا أحدهم ليلقيا ... عليه صخرة تريح الأغبيا
وأخبر ابن مشكم أن يخبرا ... وزجر الرّهط فلم ينزجرا
وجاءه الخبر من ربّ السّما ... وفي حصارها العقار حرّما

(1/68)

والحشر أنزلت بها ونقضا ... نجل أبيّ عهدهم ورفضا
وفيئهم والفيء في الأنفال ... ما لم يكن أخذ عن قتال
أمّا الغنيمة ففي زحاف ... والأخذ عنوة لدى الزّحاف
لخير مرسل وخصّ فئته ... وفي رضا أنصاره عطيّته
كان التّرحّم على الأنصار ... أن آثروا به بني نزار
وشاطروهم مالهم ونزلوا ... عن الحلائل لهم وأوّل
من سنّه مخيّرا بين اثنتين ... إبن الرّبيع لابن عوف المكين
فتركوهنّ لهم تعفّفا ... فعفّ هذاك وذاك أسرفا
ثمّ إلى محارب وثعلبه ... ذات الرّقاع ناهزوا المضاربه
ولم يكن حرب وغورث جرى ... فيها له الّذي لدعثور جرى
مع النّبيّ وعلى المعتمد ... جرت لواحد بلا تعدّد
ثمّ ليعاد ابن حرب بدر ... وكعّ عنها نجل حرب صخر
فدومة الجندل هاجها زمر ... بدومة يظلمن من بهنّ مر
ثمّت لمّا أجليت يهود ... وأوغرت صدورها الحقود
وحزّبت عساكرا عناجها ... إلى ابن حرب وقريش تاجها
وجعلوا كي يتروا خير الورى ... لغطفان نصف تمر خيبرا

خندق خير مرسل بأمر ... سلمان والحروب ذات مكر
كم آية في حفره كالشّبع ... من حفنة وسخلة للمجمع
وكم بشارة لخير مرسل ... من الفتوح تحت ضرب المعول
وكعب بن أسد إذ فتنه ... عن عهده حييّ أعطى رسنه

(1/69)

فغدرت قريظة لغدره ... يومئذ إذ هو أسّ نجره
وأرسل السّعدين خير مرسل ... وابن رواحة لهم لينجلي
ما هم عليه، فإذا هم عضل ... وسرّ خير الخلق ذاك الخذل
قالت جنوب للشّمال انطلق ... ننصر خير مرسل في الخندق
فقالت الشّمال إنّ الحرّه ... لم تسر باللّيل فذاك عرّه
فأرسل الله الصّبا والملكه ... فنصرا نبيّه في المعركه
وغطفان رام أن يخوّلوا ... ثلث تمر طيبة ليعدلوا
وأنف السّعدان من صلح النّبي ... وحكّما حدّ شفار القضب
معتّب نجل قشير قالا ... وعدنا النّبيّ أن ننالا
كنوز قيصر وكسرى ونرى ... أحدنا اليوم يخاف المخترى
ونوفل من طيشه ونزقه ... أوثب طرفه حفير خندقه
فوقعا فيه وأعطى فديته ... إخوانه فاستوهبوه جثّته
فقال فيه أكرم البريّة ... خبيث جيفة خبيث ديّة
عمرو بن عبد ودّ إذ قام له ... حيدرة بسيفه خردله
وفضّ جمعهم نعيم الأشجعي ... إذ نمّ بينهم بكلّ مجمع
وعند ما إلى التّشتّت الزّمر ... أجمع أمرهم دعا خير البشر
من يأت بالخبر عنهم يكن ... غدا رفيقنا ومنهم يأمن
فلم يقم إليه غير ابن اليمان ... من شدّة الذّعر ومن برد الزّمان
وقال خير الخلق لن تغزوكم ... قريش بعد اليوم والغزو لكم
وشغل النّبيّ زحف الخندق ... عن ظهره وعصره للشّفق

(1/70)

ثمّ قريظة إليها جبرئيل ... ولم يضع سلاحه استدعى رعيل
وقاده وزلزل الحصونا ... وقذف الرّعب ولا يدرونا
واستذمر النّبيّ خيل الله ... وعن صلاة العصر قام النّاهي

إلّا بهم ولم يعب من أخّرا ... إلى العشاء إذ يراه ائتمرا
وخيّر ابن أسد قريظته ... بين ثلاث وازدروا رويّته
أن يؤمنوا فيأمنوا فقد دروا ... في كتبهم ما عنه إذ جاء أبوا
أو يحصدوا النّساء والصّبيانا ... فلم يخلّوا خلفهم إنسانا
أو يفتكوا في السّبت إذ يأمنهم ... جيش العرمرم ولا يأبنهم
وضاقت الأرض بهم لرعبهم ... وجهلوا كيف النّكاية بهم
واستنبؤوا أبا لبابة الخبر ... فرقّ للعهد الّذي بهم غبر
أن جأرت في وجهه الصّبيان ... واستعطفت رحمته النّسوان
ففتنوه وانتحى عن بلد ... عصى به وشاط نحو المسجد
فقام فيه برهة مرتبطا ... معذّبا لنفسه مورّطا
فتاب من هفوته الله عليه ... وحلّه خير الأنام بيديه
وحكّم النّبيّ فيهم سعد الاوس ... إذ غاظهم إطلاقه عن كلّ بؤس
لابن أبيّ حلفاء الخزرج ... وكان في التّحكيم حسم الهرج
وحملوا سعدا على حمار ... من المدينة إلى المختار
وعند ما انتهى إلى النّديّ ... سوّده خير بني لؤيّ
على الجميع أو على الأنصار ... لا غيرهم عند بني نزار
وراودته قومه أن يحكما ... بغير ما حكم فيهم فاحتمى

لدمهم خندق أفضل لؤي ... ومعهم في كلّ كربة حيي
وعندما انتهى الحصار استشهدا ... واهتزّ عرش الله حين بردا
وخفّ نعشه على عظمته ... إذ الملائكة من حملته
ثمّ غزا لحيان جرّاء الرّجيع ... فاحتضنوا بكلّ باذخ منيع
بعث الرّجيع ستّة أو عشره ... لحيان حيّ من هذيل غدره
والعضل والقارة نجلا الهون ... نجل خزيمة سعوا في الهون
وأربعوا بئر معونة الغرر ... إبن الطّفيل عامر فيهم خفر
أبا براء وكلا البعثين ... قد أرسلا ليرشدا للدّين «1»
فغزوة الغابة وهي ذو قرد ... خرج في إثر لقاحه وجد
وناشهم سلمة بن الأكوع ... وهو يقول اليوم يوم الرّضّع
وفرض الهادي له سهمين ... لسبقه الخيل على الرّجلين
واستنقذوا من ابن حصن عشرا ... وقسم النّبيّ فيهم جزرا
وأقبلت إمرأة الغفاري ... قتيل نهب إبل المختار
وهي على راحلة من ذي الإبل ... قد نذرت إهلاكها حين تصل

ومرّ في طريقه بالمالح ... بيان «2» ذا اللّقب غير صالح
فغيّر اسمه وغيّر الإله ... صفته وبعد ذلك اشتراه
طلحة بالفيّاض سمّاه النّبي ... إذ قد تصدّق به ليثرب

---

(1) في بعض نسخ المنظومة زيادة بيتين بعد هذا البيت:
وعامر استنجد رعلا ذكوان ... عصيّة فأنجدوا ذا الخسران
جزاء نجل بنتهم طعيمه ... وقد أتى ولم تعنه قومه
(2) في بعض نسخ المنظومة: بيسان.

فالطّلحات خمسة سوى العلم ... فطلحة الجود ابن عمّه الخضم
وطلحة الخير وطلحة النّدى ... إلى الحسين وابن عوف أسندا
وطلحة الدّراهم العتيق ... جدّ أبيه بالعلا حقيق
سادسها طلحتها الخزاعي ... أجودهم كلّا بلا نزاع
في سنة وهب ألف جاريه ... فأولدت عفاته جواريه
ألف غلام باسمه سمّى الإما ... جميعهم لمثلها فهيئما
وبعدها انتهبها الأولى انتهوا ... لغاية الجهد وطيبة اجتووا
فخرجوا وشربوا ألبانها ... ونبذوا إذ سمنوا أمانها
فاقتصّ منهم النّبي أن مثّلوا ... بعبده ومقلتيه سملوا
ثمّ المريسيع أو المصطلق ... كلاهما على الغزاة يطلق
لم ينفلت منهم أنيس وسبا ... غير رجال عشرة قد نهبا
أعمارهم وسبيت جويريه ... ووهب السّبي لها لتدريه
وأسلموا بعد وفي من فسّقا ... أرسله الهادي لهم مصدّقا
إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ انزل وهم ... خزاعة مصطلق جدّ لهم
وأفزعت ريح خيار النّات ... فقال لا باس بموت عات
فوجدوا كهف المنافقينا ... رفاعة يومئذ دفينا
وهو النّفاق في الشّيوخ لا الشّباب ... والخير كلّ الخير في عصر الشّباب
ووردت واردة العرمرم ... فافتتن الوارد في المزدحم
فاستصرخ الأنصار فارط لهم ... لطمه من ناله معروفهم
واستصرخ المهاجرين اللّذ كسر ... عصا النّبي جهجاه عامل عمر

وقال فيها ابن أبيّ منكرا ... وعاه زيد موقنا وما امترى
وحلف الفاجر ما قال المقال ... وصدّقته للمكانة رجال
فأنزل الله لئن رجعنا ... إلى المدينة ليخرجنّا
وعرك النّبيّ أذن الواعي ... زيد بن أرقم ذي الاستماع
أن شهد الله على المنافقين ... بالكذب المحض وأولاه اليقين
والإفك في قفولهم ونقلا ... أنّ التّيمّم بها قد أنزلا
ثمّ الحديبية ساق البدنا ... معتمرا وما بحرب اعتنى
ومن سوى المخلّفين استنفرا ... عرمرما وصدّ عن أمّ القرى
وما انثنى بالجيش حتّى اقعنسست ... عن مكّة ناقته إذ حبست
فاستنزل النّاس ولا ماء لهم ... فاستنبطوا بالسّهم ما أعلّهم
وعلّهم أيضا بهذي الغزوة ... ما كان عن صبابة في ركوة
وجمعوا له بقايا الزّاد ... فخوّلوا منها سوى المعتاد
وكم قليل غير ذاك كثّرا ... وكم قليب بالمعين فجّرا
وبايعوه بيعة الرّضوان ... إذ قيل قد عدوا على عثمان
وعقروا جمله الثّعلب إذ ... أرسله تحت الخزاعيّ المغذ
وكان ممّن بعثوه يسترد ... نبيّنا مكرز عروة الحرد
والحارثيّ المتألّه الّذي ... هو لهم بردّ أحمد بذي
ولم تزل بينهم المراجعه ... حتّى أتى سهيلهم فاسترجعه
لولا نبيّ الرّحمة الموفّق ... للرّشد في آرائه لمزّقوا
أسلم بعد عوده بالعظما ... أكثر ممّن كان قبل أسلما

وفسّروا بذلك الفتح المبين ... وفيه إبقاء على المستضعفين
وبعثوا جمل عمرو بن هشام ... هديا وإنكاء إلى البيت الحرام
ونحروا وحلقوا وحملت ... شعورهم للبيت ريح قد غلت
وأغلظوا في الصّلح حتّى أبرما ... ومنه ردّ من أتاه مسلما
وهم عليهم بعد ردّهم وبال ... إذ أخذوا الطّرق على صهب السّبال
وانتدبوا لقوله في النّدب ... سيّدهم هذا محشّ حرب
واستعطفوا خير الورى بالرّحم ... في صرفهم إليه عن أرضهم
و (سورة الفتح) لدى القفول ... أنزلها الله على الرّسول
ثمّ لخيبر ورشّح النّبي ... حيدرة وبالعقاب قد حبي
وفاز بالفتح وكان ترّسا ... بباب حصن لا يزاح إذ رسا
وغلّ قاتل سليل مسلمه ... لصنوه محمّد وأسلمه

وغال مرحبا وقدّ حجرا ... من يابس الصّخر به تمغفرا
وعامر بن الأكوع استنشده ... خير الورى وقال إذ أنشده
والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدّقنا ولا صلّينا
وإذ ترحّم للانشاد عليه ... هلك من رجوع سيفه إليه
واستشعر الفاروق أن يستشهدا ... وأخبر الهادي به باد بدا
وقتلت تسعون من يهودا ... واستشهدت (يه) ولا مزيدا
ومرّ راجعا إلى وادي القرى ... فشاطرت يهوده خير الورى
وأهلكوا غلامه ذا الشّمله ... أغلّها فهي عليه شعله
ثمّ إلى الرّوم النّبيّ استنفرا ... بمؤتة جيشا عليه أمّرا

(1/75)

زيد بن حارثة ثمّ جعفرا ... فابن رواحة ولأيا انبرا
ورفعت للهاشميّ المعركه ... فعاين الّذي أتوا وأدركه
ثمّ إلى الفتح الخزاعيّ ذمر ... عشرة آلاف فعزّ وانتصر
وهو الّذي تهلّلت لنصره ... سحابة ومن بليغ شعره
يا ربّ إنّي ناشد محمّدا ... حلف أبينا وأبيه الأتلدا
لدعوة النّبيّ أخّر الخبر ... عن مكّة فلم يورّ بل جهر
وخاب صخر إذ أتى يرأب ما ... أتاه غدر قومه فانفصما
وحاطب إبن أبي بلتعة ... أرسل إذ زحوفه شرعت
إلى قريش رقعة مع مره ... فأودعتها قرنها تلك المره
فأخبر الهادي بها فأرسلا ... من جاءه كرها بها وامتثلا
وللنّبيّ عرض ابن عمّته ... ونجل عمّه عزيز فئته
وعنهما أعرض جرّا مأثمه ... فاستشفعا له بأمّ سلمه
وأقبلت جنود صفوة الأمم ... أمامه حتّى انتهوا إلى الحرم
وضربت له هناك قبّه ... أرضى بها الله وأرضى حزبه
فاحترم الحرم إذ هو الحرم ... محرّم مؤمّن ممّن هجم
وحين حلّ بإزاء الحرم ... أمر أن يوقد كلّ مسلم
نارا فأبصر أبو سفيانا ... وكان يرتقبه النّيرانا
فارتاع فانسلّ إذن عمّ النّبي ... فالتقيا فجا به عن كثب
وزعم ابن قيس ان سيحفدا ... رجالهم خلّته وأنشدا
إن يغلبوا اليوم فما لي علّه ... هذا سلاح كامل وألّه

(1/76)

وشهد المأزق فيه حطما ... رمز (يب) من قومه فانهزما
وجاء فاستغلق بابه البتول ... فاستفهمته أين ما كنت تقول
فقال والفزع زعفر دمه: ... إنّك لو شهدت يوم الخندمه
إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمه ... واستقبلتنا بالسّيوف المسلمه
وفاز من لاذ به واسترحمه ... يومئذ إذ هو يوم المرحمه
كابن أبي سرح وزير الخلفا ... وناخس البكر ببنت المصطفى
وهلكت لنخسه وألقت ... ذا بطنها والبرح منه لاقت
بحرقه أمر ثمّ رجعا ... لقتله والنّار عنه دفعا
وبعد ما أشفى على الإحراق ... تداركته رحمة الخلّاق
فحقن الله بالاسلام دمه ... سبحانه من راحم ما أرحمه
أحنى وأرأف من الأمّ بنا ... وهكذا رسوله كان لنا
يدخلنا الجنّة إلّا من شرد ... عنه وعن توحيده أبى وصد
يقرب بالذّراع أو بالباع ... للمدّني بشبر أو ذراع
ومن أتى يمشي أتاه هروله ... فضاعف الأجر له وأجزله
يضاعف الأجر لسبع مئة ... ففوق يؤجر بحسن النّيّة
من لطفه أنّ صحائف الذّنوب ... وهي عظيمة تروّع القلوب
لا تزن التّهليل في بطاقه ... كأنّها الظّفر في الدّقاقه
بسبّه من سبّه آنسه ... نبيّنا أن عيّروه نخسه
صلّى عليه الله ما أحلمه ... عن سيّىء الحوب وما أكرمه
وكأبي سفيان وابن عمّته ... وكابن عمّه وأهل بكّته

(1/77)

واختلفوا فيها فقيل أمّنت ... والحقّ عنوة وكرها أخذت
وأخبر النّبيّ بارىء النّسم ... بقولهم يسكن بعدها الحرم
وبالّذي قالوه إذ لم يرهقا ... تداركته رحمة فأشفقا
وبالّذي قالوه في المؤذّن ... وبالّذي به فضالة عني
وأخذ المفتاح ثمّ ردّه ... عن رغم قومه الّذين عنده
ثمّ إلى وادي حنين انحدر ... عن مكّة من الألوف اثنا عشر
فوجدوا هوازنا تأهّبوا ... بكلّ مخرم لهم وألّبوا
وبينما الجيش إليهم ينحدر ... بغلس شدّوا إليه وهو غر
فاستنفروا بهم لذلك الرّكاب ... وأدبرت تخدي بهم غلب الرّقاب
واستنزلوا وادّرعوا وهي تمر ... مرّ جهام بالبهاليل نفر

فاقتحموا عنها وآبوا للنّبي ... وزحزحوا عنه زحوف العرب
فأرسل الله جنود الفرج ... وقبضة التّرب قضت بالفلج
وثبتت مع النّبيّ طائفه ... من أهل بيته وممّن ألفه
حيدرة والعمران وأبو ... سفيان جعفر ابنه المنتخب
وعمّه ربيعة العبّاس ... وفضله أسامة الأكياس
وأيمن ابن أمّه والعبدري ... شيبة رام غدر خير مضر
فصدّه عمّا نوى فضربه ... نبيّنا في صدره فجذبه
ووقف السّبي إلى أن رجعا ... من طائف لعلّ أن يسترجعا
أعطى عطايا شهدت بالكرم ... يومئذ له ولم تجمجم
وكيف لا ومستمدّ سيبه ... من سيب ربّ ذي عناية به

(1/78)

أعطى عطايا أخجلت دلح الدّيم ... إذ ملأت رحب الفضا من النّعم
زهاء ألفي ناقة منها وما ... ملأ بين جبلين غنما
لرجل وبله ما لحلقه ... منها ومن رقيقه وورقه
منها أفاد العمّ ما ناء به ... فهال منه عمّه عن ثوبه
ووكل الأنصار خير العالمين ... لدينهم إذ ألّف المؤلّفين
فوجدوا عليه أن منعهم ... فأرسل النّبيّ من جمعهم
وقال قولا كالفريد المونق ... عن نظمه ضعف سلك منطقي
وأدرك الفلّ بأوطاس السّري ... عمّ أبي موسى الشّجاع الأشعري
وغال تسع إخوة مبارزه ... وفرّ عاشر لدى المبارزه
وإذ توى دوّخهم حفيده ... وجاء بالفلّ وهم عبيده
فلثقيف وهي في حصون ... بطائف أقبل من حنين
فسألوه الكفّ عن قطع الكرم ... بالله والرّحم فارتادوا الكرم
فهابه والمنجنيق ضربا ... وسئل الدّعا عليهم فأبى
ونوفل استشاره في أمره ... فقال هم كثعلب في جحره
ثمّ لروم بتبوك استنفرا ... (لام) ألوف عام عسر اعترى
ومعهم لحربه ألّب له ... غسّان لخم وجذام عامله
وحضّ الاغنيا على الحملان ... ونكصوا دون مدى عثمان
على بعير عشرة تعتقب ... وعزّ مطعم وعزّ مشرب
يقتسم النّفر تمرة ومن ... فرث الأباعر شراب قد يعن
وقعد الباكون والمعذّرون ... وعسكرت فربّت المنافقون

(1/79)

وقعد الثّلاثة الّذينا ... تاب عليهم ربّنا يقينا
كعب بن مالك مرارة الرّبيع ... وابن أميّة هلال الرّفيع
وأبوا خيثمة وذرّ ... قد لحقا وجاء أرض الحجر
فذبّ عن مياهه وأمرا ... أن لا يمرّ أحد كما يرى
فعقّه المخنوق فوق مذهبه ... ومن وفود طيّء أتته به
فأصبح النّاس ولا ماء لهم ... فأرسل الله سحابة تؤم
على تخلّف بطيبة علي ... خصّ بسهمين بسهمه العلي
وسهم جبريل وكان حضرا ... وبذله به النّبيّ أمرا
وقال إذ أضلّ راحلته ... مجرمهم ما قال فابتهته
ونزلت يومئذ في مخشن ... وصحبه كُنَّا نَخُوضُ فاعتن

(1/80)

انارة الدّجى في مغازي خير الورى صلى الله عليه وسلم شرح العلّامة المحدّث الأصوليّ الفقيه القاضي حسن بن محمّد المشّاط

(1/81)

قال الناظم رحمه الله تعالى:
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
حمدا لمن أرسل خير مرسل ... لخير أمّة بخير الملل
[شرح الخطبة والمقدمة]
(حمدا) بالنصب: معمول لفعل محذوف؛ أي: أحمد الله حمدا، فالجملة فعليّة، اختارها لدلالتها على التجدّد والحدوث، ومعنى الحمد معروف، والمحمود هو الله تعالى، ويتعدى الحمد باللّام، كما قال:
(لمن) أي: لله الذي (أرسل خير مرسل) على الإطلاق بإجماع من يعتد به، وهو سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً وقال الله تعالى: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ. فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ.
ويتعلق بأرسل قوله: (لخير أمة) قيل: هي أمّته صلى الله عليه وسلم، وقيل: الصحابة خصوصا،

وعليهما اختلف العلماء في قوله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ الآية، ويتعلق بمرسل قوله: (بخير الملل) بكسر الميم وفتح اللام، جمع ملة، وهي الحنيفية السّمحة، ملّة إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام.

(1/83)

وعلم من كونه صلى الله عليه وسلم خير مرسل: أنّه خير الخلق على الإطلاق، وهذا ممّا لا يمتري فيه إلّا معاند أو كفور؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم: «أنا سيّد ولد آدم ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبيّ يومئذ آدم فمن سواه إلّا تحت لوائي، وأنا أوّل شافع، وأوّل مشفّع ولا فخر» رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه.
وما ذكره الزمخشري في «كشّافه» فلتة اعتزالية؛ فقد انعقد الإجماع على خلافه، بل تفضيل الملائكة على الأنبياء عند المعتزلة فيما سواه صلى الله عليه وسلم، فهم مع أهل السنّة في تفضيله مطلقا.
قال في «إضاءة الدّجنّة» :
وما نحا «الكشاف» في التكوير ... خلاف إجماع ذوي التنوير
وحسبنا في فضله صلى الله عليه وسلم على كل مخلوق حديث الشفاعة العظمى في ذلك الموقف الهائل العظيم.
والأنبيا تقول نفسي نفسي ... سواه فالفضل له كالشّمس
اللهمّ؛ شفّعه فينا، واجعله مقبلا علينا، راضيا عنّا يا كريم.
واعلم: أنّ عموم أدلة رسالته صلى الله عليه وسلم كثيرة في القرآن والسنّة، قال تعالى: وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا كَافَّةً

(1/84)

وأفضل الصّلاة والسّلام ... على لباب صفوة الأنام
لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً، وقال تعالى: تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً، وقال تعالى: لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا حتى إنّه أرسل للملائكة؛ ليعلّمهم أدب العبودية لحضرة الرب، لا ليؤمنوا؛ لأنّهم عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.
ثمّ أتبع الناظم ذلك بالصلاة والسلام على النّبيّ صلى الله عليه وسلم؛ أداء لبعض ما يجب له؛ إذ هو الواسطة بين الله والخلق، وجميع النعم الواصلة إلينا إنّما هي ببركته، وعلى يديه التي أعظمها الهداية للإسلام؛ وامتثالا لقوله تعالى:
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً، فقال:
(وأفضل الصلاة والسلام على) سيدنا محمّد (لباب) أي خالص (صفوة) أي: صفوة الصفوة من (الأنام) أي:

الخلق.
روى الطبراني في «الأوسط» عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ الله عزّ وجلّ اختار خلقه، فاختار منهم بني آدم، ثم اختار بني آدم، فاختار منهم العرب، ثمّ اختار العرب، فاختار منهم قريشا، ثمّ اختار قريشا، فاختار منهم بني هاشم، ثمّ اختار بني هاشم فاختارني منهم، فلم أزل خيارا من خيار، ألا من أحبّ العرب..
فبحبّي أحبّهم، ومن أبغض العرب.. فببغضي أبغضهم» .

(1/85)

وآله أفنان دوحة الشّرف ... وصحبه والتّابعي نعم السّلف
(وآله) : هم أقاربه المؤمنون من بني هاشم عند المالكية، أو بني المطّلب كما هو قول آخر لهم كالشافعية، (أفنان) : جمع فنن، كأسباب وسبب؛ أي: أغصان (دوحة) : هي الشجرة العظيمة (الشرف) شبّه الآل بذلك في العظم، مع أنّهم أعظم من ذلك؛ لأنّه قد يكون المشبّه به دون المشبّه، كما قال أبو تمام– لمّا امتدح بعض الأمراء بقوله:
إقدام عمرو في سماحة حاتم ... في حلم أحنف في ذكاء إياس
وقيل له: أتشبّه الأمير في الحلم بأجلاف العرب؟! –:
لا تنكروا ضربي له من دونه ... مثلا شرودا في النّدى والباس «1»
فالله قد ضرب الأقلّ لنوره ... مثلا من المشكاة والنّبراس
يعني قوله تعالى: اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ الآية.
(وصحبه) : هم من آمن بالنّبيّ صلى الله عليه وسلم، واجتمع معه أوان حمل الدّعوة ولو مرة.
وهم عدول كلّهم لا تشتبه ... النّووي أجمع من يعتدّ به
(والتابعي) : وهو من لقي الصحابي ولو بلا طول،

---

(1) مقول لقوله: (قال أبو تمام) .

(1/86)

ما أرهفت وأرعفت يراعه ... في مهرق ينابع البراعه
كالصحابي معه صلى الله عليه وسلم، قال العراقي: (وقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة والتابعين بقوله:
«طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن رأى من رآني، ولمن رأى من رأى من رآني وآمن بي، طوبى لهم، وحسن مآب» رواه الطبراني في «الكبير» ، والحاكم في «المستدرك») .
وقد تحذف نون الجمع اختيارا كما في السبع: وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ بنصب الصلاة، وفي نسخة بحذف

أداة التعريف، وإضافة تابعي إلى لفظة (نعم السلف) على حدّ: نعم السير على بئس العير، كأنّه قال: وتابعي الصحابة الذين هم نعم المتبوع، فالمدح إذن خاص بالصحابة، قاله في «روض النهاة» .
(ما) : هي مصدرية (أرهفت) : رققت (وأرعفت) :
أسالت (يراعه) : قصب تبرى منه الأقلام، وقد تنازعه الفعلان قبله على المفعولية (في مهرق) بوزن مكرم:
الصحيفة، وتنازع الفعلان، قوله: (ينابع البراعه) على الفاعلية، وهو جمع ينبوع، يقال للماء الكثير، قال في «روض النهاة» : (وعبّر به عن العلم) والبراعة: الغلبة في العلم والفهم وغيرهما.

(1/87)

وجلجل الرّعد وسحّ مزنه ... وهبّ شمأل وماس غصنه
وبعد فالعلم أهمّ ما الهمم ... تنافست فيه وخير مغتنم
(و) ما (جلجل) صوّت (الرعد) هو الملك، أو صوته.
روى أبو عيسى في سننه بسنده إلى ابن عباس قال:
(أقبلت يهود إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم، فقالوا:
يا أبا القاسم؛ أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: «ملك من الملائكة موكّل بالسحاب، معه مخاريق من نار، يسوق بها السحاب حيث شاء الله» قالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟
قال: «زجره بالسحاب إذا زجره، حتى ينتهي إلى حيث أمر» قالوا: صدقت) وهو قطعة من حديث قال فيه الترمذي:
حديث حسن صحيح غريب، والمخاريق: جمع مخراق، وهو في الأصل: منديل يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا، والمراد هنا: آلة تزجر بها الملائكة السحاب.
(وسحّ) صبّ (مزنه) ماء مطر الرعد، (و) ما (هبّ) ريح (شمأل) بفتح الشين، وإسكان الميم، وفتح الهمزة، على إحدى لغاته العشر، ولا تكاد تهب ليلا، كما سيأتي إن شاء الله تعالى في غزوة الخندق، (و) ما (ماس) تبختر، ومال (غصنه) أي: الشمأل، أضيف إليه للملابسة، ومراده: أن يصلّى على النّبيّ صلى الله عليه وسلم وصحبه وأتباعه مدة دوام ما ذكر، يعني على التأبيد؛ لأنّهم يذكرون مثل هذا في معنى التأبيد، لا محض التقييد.
(وبعد فالعلم أهم) أي: أعظم (ما) أي: شيء (الهمم تنافست) وافتخرت (فيه) لأنّه بالعلم يكون الإنسان إنسانا

(1/88)

وخيره والعلم تسمو رتبته ... من فضل ما دلّت عليه سيرته
(وأنت بالروح، لا بالجسم إنسان) وبه يكون الوصول إلى الله تعالى، وقد أمر الله تعالى نبيه عليه

الصّلاة والسّلام بالازدياد منه، بقوله عزّ وجلّ: وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً، وكفى بذلك شرفا (و) هو (خير مغتنم) يغتنمه الإنسان؛ لأنّه ينتفع به حتى بعد موته، فيصل إليه ثمرة ما كان نشره منه في حياته، وينتفع به في قبره.

ولما كان من عادة المؤلفين أن يفضلوا الفن المؤلف فيه على غيره، ترغيبا للطالبين، وتنشيطا للقارئين.. قال الناظم مستدلا على أفضليته بما دلّ عليه، كما قال العلّامة أحمد بن المقّري في «إضاءة الدّجنة» :

وكلّ علم للمزيّة اكتسب ... فالفضل من معلومه له انتسب

(وخيره) أي: خير العلم مبتدأ (والعلم تسمو) أي:

تعلو، من سما يسمو (رتبته) : وهي جملة معترضة بين المبتدأ وخبره (من) أجل (فضل ما دلّت عليه) ذلك العلم (سيرته) خبر المبتدأ، يعني: أنّ خير العلم هو علم السيرة؛ بفضل مدلوله؛ فإنّه يدل على سيرته صلى الله عليه وسلم، وعلى سيرة أصحابه، وتراجمهم رضي الله تعالى عنهم؛ وذلك يفيد مزيد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأصحابه الذي هو إكسير الإيمان، ألا لا إيمان لمن لا محبة له، ومن أعظمها التمكن من الاقتداء بهم، المشروط في

فهاك منها نبذة ليست تملّ ... ولم تكن بمعظم القصد تخلّ

أرجوزة على عيون الأثر ... جلّ اعتماد نظمها في السّير

السعادة الأبدية.

قال صاحب «العشريات» :

سعادتنا مشروطة باتّباعه ... وهل يثبت البنيان إلّا على الأسّ

ويودّ الواقف على أحوالهم لو كان

بمحضر منهم؛ حتى يكون خديما لهم، ينافح عنهم في القتال، وأعظم بذلك فضيلة بعد الإيمان بالله عزّ وجلّ، فهذا العلم من العلم الموصل إلى الله تعالى، كما نصّ على ذلك الأئمة الأعلام، وقد تقدم في المقدمة شيء من ذلك (فهاك) فخذ (منها) من سيرته (نبذة) جملة يسيرة (ليست تمل) أي: لا توقع القارئ في الملل والسآمة؛ ليسارتها، (ولم تكن بمعظم) بالإضافة إلى قوله: (القصد) ، ومتعلق بقوله: (تخل) أي: ولم تكن تخل بمعظم القصد، وهذه الجملة كالاحتراس ممّا يوهم قوله: (نبذة) أنّها مخلة بالمراد، فأفاد أنّها مع كونها قليلة فهي وافية بالمطلوب، وهذا بمعنى قول غيره: إنّها ليست بالطويل المملّ، ولا بالمختصر المخلّ.

ثمّ أبدل من قوله: (نبذة) قوله: (أرجوزة) فهي منصوبة، والهمزة فيها مضمومة، من الرجز بفتحتين: ضرب من الشعر، وزنه مستفعلن ست مرات، والأرجوزة: القصيدة

وشدّ ما اجترأت في ذا الهدف ... إذ لم أكن أهلا لصوغ النّتف
المنظومة من بحر الرجز، تجمع على أراجيز.
وقوله: (على «عيون الأثر») خبر مقدم لقوله: (جلّ اعتماد نظمها) أي: هذه الأرجوزة غالب اعتماد نظمها على «عيون الأثر (في) المغازي و (السير) » للحافظ أبي الفتح بن سيد الناس اليعمري الإشبيلي، ولد في ذي القعدة، سنة إحدى وسبعين وست مئة بالقاهرة، وسمع الكثير من الجم الغفير، وتفقّه على مذهب الشافعي، وأخذ الحديث عن والده وابن دقيق العيد، ولازمه سنين كثيرة، وتخرج عليه، وقرأ عليه أصول الفقه.
قال في «الشذرات الذهبية» : (وولي دار الحديث بجامع الصالح، وصنف «السيرة الكبرى» وسماها: «عيون الأثر» ، واختصره في كراريس، وسماه: «نور العيون» توفي بمصر سنة أربع وثلاثين وسبع مئة، ودفن بالقرافة عند الإمام العارف عبد الله بن أبي جمرة، رحمهما الله تعالى.
(وشدّ) بالبناء للفاعل بمعنى قوي، وفاعله المصدر المنسبك بما المصدرية في قوله: (ما اجترأت) أي: اجترائي (في ذا) في هذا (الهدف) محركة كما في «القاموس» : كل مرتفع من بناء، أو كثيب رمل، أو جبل.
قال السيد مرتضى في شرحه: (ومنه سمّي الغرض هدفا، هو المنتضل فيه بالسهام) .
وقال في «روض النهاة» : (قال عبد الرّحمن بن أبي بكر لأبيه– بعد أن أسلم– رضي الله عنهما: استهدفت لي يوم

فكيف بالعقد لما كان انتثر ... عن كثرة وفي المهارق ابذعر
بدر، فصرفت عنك– وكان عبد الرّحمن من أرمى قريش– فقال له أبو بكر: أمّا إنّك يا بني، والله لو استهدفت لي..
لقتلتك) اهـ
وإنّما قوي تجاسري في هذا النظم الذي هو هدف وغرض للخطأ (إذ لم أكن أهلا) أي: مستوجبا ومستحقا (لصوغ النّتف) أي: النظم القليل، وأصل الصوغ بناء الشيء على تحسين، والنتف: جمع نتفة، كغرفة وغرف، قال في «القاموس» : (النتفة بالضم: ما تنتفه بإصبعك من النبت، وغيره، والجمع نتف كصرد) اهـ
وفي «الحاشية الكبرى» للدمنهوري على «الكافي» عن الفراء: (أنّ العرب تسمي البيت الواحد يتيما، والبيتين والثلاثة نتفة) .
(فكيف) الحال (بالعقد) بفتح العين؛ أي: النظم (لما كان انتثر) لأنّ العقد هو نظم المنثور، عكس الحل عند علماء البيان (عن كثرة) يتعلق بقوله: (انتثر) (و) الحال أنّ ذلك الكثير المنتثر ابذعرّ وتفرق (في المهارق) بفتح الميم: جمع مهرق، بمعنى الصحيفة، فهو يتعلق بقوله: (ابذعر) بفتح الذال المعجمة، والعين المهملة، قال الشيخ حماد الشنقيطي: (وهذا منه رحمه الله تعالى تواضع، وهو عادة

المؤلفين قبله لا سيّما هو سجيته التواضع، واستحقار نفسه، ولولا ذلك.. لشدت إليه الرحال من كل أرض، وهو محطها

(1/92)

لكن تطفّلت على بركته ... وجاهه بنظم بعض سيرته
لعلّها بالنّظم هلهلا على ... من رامها نظما تكون أسهلا
ولحضوره بكلّ ذهن ... عن ذكره بمضمر أستغني
في العلم، لا سيّما في علم النحو والعربية والأدب، بل والكتاب والحديث والفقه) .
(لكن تطفّلت) من التطفل، وهو الإتيان بلا دعوة، وأصله: طفيل بن زلال، كشداد، الذي يدعى طفيل الأعراس والعرائس، قال الشيخ مرتضى في «شرح القاموس» : (كان يأتي في الولائم بلا دعوة، وكان يقول: وددت أن الكوفة بركة مصهرجة، فلا يخفى عليّ منها شيء) .
قلت: وللخطيب البغدادي مؤلف في التطفيل، ذكر فيه الكثير من أخبارهم ونوادرهم الغريبة.
(على) مائدة (بركته) صلى الله عليه وسلم، (وجاهه) الرفيع العظيم المعظم، ويتعلق بتطفلت قوله: (بنظم بعض سيرته) العطرة عليه ألف ألف صلاة وسلام.
(لعلّها) أي: السيرة (بالنظم) حال كونه (هلهلا) ؛ أي: رقيقا سلسا (على من رامها) ؛ أي: قصدها من أهل العلم (نظما تكون أسهلا) لأنّ النظم أقرب حفظا، وأدنى استحضارا وأبقى.
(ولحضوره) علة لقوله: (أستغني) والواو داخلة عليه، ويتعلق بالحضور قوله: (بكل ذهن) وقوله: (عن ذكره) وقوله: (بمضمر) يتعلقان بقوله: (أستغني) أي:

(1/93)

والله أسأل سداد النّظر ... وعصمة الخاطر من ذا الخطر
وإنّما أستغني عن ذكر اسمه الشريف في كلام لم يذكر فيه، بضمير يعود عليه صلى الله عليه وسلم؛ لأنّه حاضر بكل ذهن، وهو أعظم من الحضور الحسي، فمن ذلك قوله فيما يأتي:
عن قتل آله نهى إذ خرجوا ... وفي خروجهم عليه حرج
وهذا بيان لاصطلاحه في نظمه.
(والله) بالنصب معمول مقدم لقوله: (أسأل) أي:
لا أطلب إلّا من الله (سداد) بفتح السين، هو الصواب، أمّا بالكسر: فهو ما يسد به الشيء، وهو غير مراد هنا، وهو مضاف إلى (النظر) من إضافة الصفة للموصوف؛ أي:
لا أطلب النظر والصواب في جميع أموري إلا منه تعالى (و) لا أسأل إلّا منه (عصمة الخاطر) أي: العصمة ممّا يخطر في القلب.
قال في شرح القاموس: (الخاطر: ما يخطر في القلب من تدبير أو أمر) .

(من ذا) أي: بسبب هذا التأليف (الخطر) أي:
الخطير؛ أي: أطلب أن يعصمني من وسوسة الشيطان فيه بالعجب والرياء، ونحو ذلك من أمراض القلب الخفية، نسأل الله تعالى أن يحفظنا من ذلك كله بمنّه وكرمه، آمين.

(1/94)

وأن يكون لي ولا عليّا ... وعند كلّ أحد مرضيّا
وأن يكون للثّواب قانصا ... لوجهه عزّ وجلّ خالصا
ممّا يلبّس به إبليس ... وللهوى في طيّه تدليس
بجاه أفضل الورى محمّد ... صلّى عليه الله طول الأبد
(و) أسأله تعالى (أن يكون) هذا التأليف نافعا (لي) فأثاب عليه؛ لكونه خالصا لوجه الله تعالى (ولا) يكون شرا (عليّا) فأعاقب عليه (و) أسأله تعالى أيضا: أن يكون (عند كل أحد مرضيا) حتى يقع النفع به.
(وأن يكون للثواب) والأجر منه تعالى (قانصا) أي:
صائدا، من قنص بمعنى صاد، وبابه ضرب؛ أي: محصلا للثواب (لوجهه عزّ وجلّ) يتعلق بقوله: (خالصا) والإخلاص: هو ترك حب المحمدة على العمل، أو هو سرّ بين العبد وربه، لا يطلع عليه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، أو إفراد المعبود بالعبادة ... أقوال.
(ممّا يلبس به) يتعلق بقوله خالصا؛ أي: وأسأل الله تعالى: أن يكون خالصا ممّا يخلط به (إبليس، و) خالصا ممّا (للهوى في طيّه) يتعلق بقوله: (تدليس) أي: وممّا للهوى تدليس، وغش في طيّه؛ أي: باطنه، متوجها إلى الله تعالى في ذلك بحرمته صلى الله عليه وسلم، ومتّبعي هديه وآثاره، كما قال:
(بجاه) أي: بحرمة (أفضل الورى) وخيرهم على الإطلاق إجماعا- كما تقدم- سيدنا (محمّد صلى عليه الله) وعلى آله وحزبه (طول الأبد) أي: الدهر، وهذا كقول الآخر

(1/95)

أوّل غزوة غزاها المصطفى ... ودّان فالأبواء أو ترادفا
في طالعة اختصار منظومة الإمام العراقي:
وأسأل النفع بها كأصلها ... بجاه من قال لنا أنالها
[غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم]

(1) غزوة ودّان
(أوّل غزوة) من مغازيه صلى الله عليه وسلم البالغة سبعا وعشرين، كما رواه ابن سعد في «طبقاته» والحافظ العراقي في «ألفيّته» وقال المناوي في «شرحها» : (هو الصحيح المجزوم به، وما في «سيرة

عبد الغني» من أنّ المشهور ما ذكره ابن إسحاق، من أنّها خمس وعشرون.. تعقبوه بالرد، والغزوات الكبار: بدر، وأحد، والخندق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف، وتبوك) وفي شأن هذه الغزوات نزل القرآن «1» .

(غزاها المصطفى) عليه الصلاة والسلام الغزوة التي يقال لها: (ودّان) بفتح الواو، وتشديد الدال (فالأبواء) وقيل:

إنّهما بمعنى، فتكون غزوة واحدة «2» ، كما قال: (أو ترادفا)

---

(1) ففي بدر نزل كثير من (سورة الأنفال) وفي أحد آخر (آل عمران) من قوله تعالى: وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقاعِدَ لِلْقِتالِ إلى قبيل آخرها، وفي قصة الخندق وقريظة صدر (سورة الأحزاب) وفي بني النضير (سورة الحشر) وفي قصة الحديبية وخيبر (سورة الفتح) وفي تبوك (سورة براءة) .

(2) وعليه جرى في «الإمتاع» .

أي: اتّحد ودان والأبواء في المعنى، واختلفا في اللفظ، وهما موضعان بينهما ستة أميال، وبالأبواء المعروفة اليوم بالخريبة، قبر أم نبينا صلى الله عليه وسلم، على يسار الذاهب إلى مكة.

وحاصل هذه الغزوة:

أنّه صلى الله عليه وسلم خرج لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر صفر، وعلى رأس اثني عشر شهرا من الهجرة، وخرج بالمهاجرين ليس معهم أنصاري يريد قريشا، وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة، واستعمل على المدينة سعد بن عبادة، وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب، فبلغوا سيف البحر يعترضون عيرا لقريش قد جاءت من الشام، فيها أبو جهل في ثلاث مئة راكب، ثم كانت فيها الموادعة– أي:

المصالحة «1» – بينه وبين بني ضمرة، وسيدهم مخشيّ «2» بن عمرو، على أنّ بني ضمرة لا يغزونه، ولا يكثّرون عليه جمعا، ولا يعينون عليه عدوّا، فرجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يلق كيدا، وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم خمس

---

(1) وكتب بذلك كتابا فيه: (بسم الله الرّحمن الرّحيم، هذا كتاب من محمّد رسول الله النّبي، بأنّهم آمنون على أموالهم، وأنفسهم، وأنّ لهم النصر على من رامهم، إلّا أن يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة، وأنّ النّبي إذا دعاهم لنصر أجابوه عليهم بذلك ذمة الله ورسوله) .

(2) بفتح الميم، وسكون الخاء، وكسر الشين المعجمتين، ثمّ ياء مشددة كياء النسب. قال في «البرهان» : (لا أعلم له إسلاما) كذا في «شرح المواهب» وذكر في «الإمتاع» : (أنّه يقال لمخشي: مجدي بن عمرو أيضا) .

ثمّ بواط خرجوا لعير ... أميّة بن خلف السّفسير
عشرة ليلة.

تنبيه:
جرت عادة أهل السير أن يسمّوا كل عسكر حضره النّبيّ صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة غزوة، وما لم يحضره بل أرسل بعضا من الصحابة إلى العدوّ سريّة وبعثا.

(2) غزوة بواط

(ثم بواط) بفتح الموحدة، وبوزن غراب، وهو: جبل من جبال جهينة، بقرب ينبع، على أربعة برد من المدينة المنورة؛ يعني: أنّ غزوة بواط بعد الأبواء؛ ولذا أتى بثم المفيدة للترتيب (خرجوا) أي: الصحب الكرام، وكانوا مئتين معه صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول، وعلى رأس ثلاثة عشر شهرا من هجرته، واستعمل على المدينة السائب بن مظعون «1» ، وحمل اللواء سعد بن معاذ، أو سعد بن أبي وقاص، يريدون عير قريش، فيها أميّة بن خلف، كما قال: (لعير أميّة بن خلف السّفسير) بكسر

(1) كما في «الروض الأنف» و «العيون» ، وفي «الهشامية» و «الإمتاع» : أنّه السائب بن عثمان بن مظعون.

السينين، وإسكان الفاء بينهما: هو التاجر، وكانت العير أي: الإبل- ألفين وخمس مئة، ومعها مئة رجل من قريش، ففاتته عليه الصلاة والسلام، ورجع ولم يلق كيدا، وأميّة وابنه عليّ ماتا كافرين يوم بدر كما سيأتي، أمّا صفوان بن أميّة..
فأسلم بعد، وصحبه صلى الله عليه وسلم، فرضي الله عنه.

فائدة:
روى مسلم في «صحيحه» في حديث جابر الطويل، في غزوة بطن بواط عنه: (شكا الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع، فقال: «عسى الله أن يطعمكم» قال:
فأتينا سيف البحر، فزخر البحر زخرة، فألقى دابة، فأورينا على شقها النار، فاطّبخنا، واشتوينا، وأكلنا، وشبعنا، قال جابر: فدخلت أنا، وفلان، وفلان- حتى عدّ خمسة- في حجاج عينها، ما يرانا أحد، حتى خرجنا، فأخذنا ضلعا من أضلاعه فقوّسنا، ثمّ دعونا بأعظم رجل في الركب، وأعظم جمل في الركب، وأعظم كفل «1» في الركب، فدخل تحته ما يطأطئ رأسه) اهـ

(1) الكفل هنا: الكساء الذي يحويه راكب البعير على سنامه؛ لئلّا يسقط. اهـ «نووي على مسلم» .

ثمّ العشيرة إلى عير أبي ... سفيان في ذهابها للأرب

(3) غزوة العشيرة

(ثم العشيرة) بالتصغير، والتاء آخره: ماء لبني مدلج، على ستة فراسخ من المدينة، سميت الغزوة به، ويقال لها:

العشيراء، بالهمزة آخره، ويقال: بالسين المهملة فيها، وهي التي يذكرها جعفر بن الزّبير «1» شقيق عبيدة- أمهما زينب بنت بشر، من بني قيس بن ثعلبة- في شعره حيث يقول:

مررنا على ماء العشيرة والهوى ... على ملل يا لهف نفسي على ملل

وقالوا صخيرات الثّمام وقدّموا ... أوائلهم من آخر الليل بالثّقل

وملل: اسم موضع، يقال: إنّما سمي بذلك؛ لأنّ الماشي إليه من المدينة لا يبلغه إلّا بعد جهد وملل، وهو على ثمانية وعشرين ميلا من المدينة، وقيل: اثنان وعشرون، حكاهما القاضي عياض في «المشارق» .

(1) قال في «تهذيب التهذيب» : (كان أصغر ولد الزّبير، وأمّه زينب، ذكره في «الإصابة» في القسم الرابع، وقال: ولد بعد موت النّبيّ صلى الله عليه وسلم بدهر. هذا هو الصواب) اهـ وقال المحب الطبري في «الرياض النضرة» : (عبيدة، وجعفر أمهما زينب بنت بشر، وكان عبيدة يشبه بأبيه، وشهد جعفر مع أخيه في حروبه، واستعمله على المدينة، وقاتل يوم قتل أخوه قتالا شديدا، حتى جمد الدم على سيفه في يديه، وله شعر كثير في كل فن) اهـ

وكانت هذه الغزوة في جمادى الأولى من السنة الثانية، على رأس ستة عشر شهرا، متوجها عليه الصّلاة والسّلام (إلى عير أبي سفيان في ذهابها) أي: العير إلى الشام (للأرب) بفتح الهمزة؛ أي: لقضاء حاجتها من التجارة.

واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، وحمل اللواء- وكان أبيض- حمزة بن عبد المطلب، وخرج صلى الله عليه وسلم في خمسين ومئة أو مئتين، ممّن انتدب من مهاجري قريش، ولم يكره أحدا على الخروج، وخرجوا على ثلاثين بعيرا يتعقبونها، فوجدوا العير التي ودّوا أن يعترضوها لأبي سفيان قد

مضت قبل ذلك بأيام، وهذه العير هي التي خرج إليها لما رجعت من الشام، فكانت وقعة بدر بسببها، فأقام صلى الله عليه وسلم جمادى الأولى، ولياليَ من جمادى الآخرة، كما في «سيرة ابن إسحاق» وأقرّه ابن كثير، ووادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثمّ رجع إلى المدينة، ولم يلق كيدا.

قال الإمام البخاري في «صحيحه» : (حدّثنا عبد الله بن محمّد، ثنا وهب، ثنا شعبة عن أبي إسحاق قال: كنت إلى جنب زيد بن أرقم، فقيل له: كم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة؟ قال: تسع عشرة، قيل: كم غزوت أنت معه؟ قال سبع عشرة، قلت: فأيّها كانت أول؟ قال: العشيرة أو العسيرة، فذكرت لقتادة فقال: العشيرة) فهذا الحديث ظاهر في أنّ أول الغزوات العشيرة.

(1/101)

فبدر الأولى بإثر ناهب ... سرح المدينة مغذّ هارب
كرز بن جابر وبعد استنقذا ... لقاحه ممّن عليه استحوذا

قال ابن كثير: (اللهم إلّا أن يكون المراد غزاة شهدها مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم زيد، فلا ينافي أن يكون قبلها غيرها لم يشهدها زيد) وهذا نقله في «الفتح» عن ابن التّين، وقال: إنّه محتمل، والله أعلم.

(4) غزوة بدر الأولى

(ف) بعد العشيرة (بدر الأولى) لأنّه صلى الله عليه وسلم لمّا رجع من العشيرة.. لم يقم بالمدينة إلّا ليالي لا تبلغ العشر، حتى أغار كرز بن جابر على سرح المدينة، كما قال:

(بإثر) أي: عقب (ناهب سرح المدينة) بإضافة ناهب لسرح، وهو الإبل والمواشي التي تسرح للرعي (مغذ) بالغين المعجمة: مسرع في سيره، يقال: أغذ السير، إذا أسرع، وقوله: (هارب) صفة ثانية لناهب، وهو المسرع خوفا، ويبدل من ناهب قوله: (كرز بن جابر) الفهري، فهو بالجر.

وحاصل ذلك: أنّه لما أغار كرز بن جابر على سرح المدينة.. خرج صلى الله عليه وسلم في طلبه في جمادى الآخر.. حتى بلغ واديا يقال له: سفوان، من ناحية بدر، فلم يدرك كرزا، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة، وحمل

(1/102)

فبدر الكبرى لعير صخر ... آئبة من شأمها بالكثر
اللواء علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(وبعد) بالبناء على الضم؛ أي: وبعد ذهب كرز سرح المدينة أسلم وهاجر إليه صلى الله عليه وسلم و (استنقذا) بألف الإطلاق؛ أي: استخلص كرز (لقاحه) صلى الله عليه وسلم، هو بوزن كتاب:

الإبل، واحدها لقوح كصبور (ممّن) أي: من العرنيّين الذين (عليه استحوذا) أي:
استولى على اللقاح، وجاء بهم أسارى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيأتي خبرهم موضحا، وروعي في استحواذ لفظ (من) .
واستشهد كرز يوم فتح مكة رضي الله عنه كما ذكره الحافظ ابن عبد البرّ في «الإستيعاب» .
ذكر الواقدي: (أنّ هذه السفرات الثلاث– يعني:
ودّان، وبواط، والعشيرة– كان صلى الله عليه وسلم يخرج فيها لتلقي تجار قريش حين يمرون إلى الشام، ذهابا وإيابا، وبسبب ذلك كانت وقعة بدر الكبرى) .

(5) غزوة بدر الكبرى

(فبدر الكبرى) عقب بدر الأولى، وبدر: بئر سميت باسم رجل من غفار حفرها هناك، وكانت صبيحة يوم الجمعة لسبعة عشر من رمضان، في السنة الثّانية من الهجرة، خرج

واعتقبوا في ذلك المسير ... كلّ ثلاثة على بعير
صلى الله عليه وسلم (لعير) أبي سفيان (صخر) بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف، والعير: الإبل تحمل الطعام (آئبة) أي: حال كونها راجعة (من شأمها بالكثر) فإنّ عدد العير ألف بعير، وعدد الدنانير خمسون ألفا، وخرج معه صلى الله عليه وسلم، ثلاث مئة وبضعة عشر رجلا من الأصحاب، أربعة وستون من المهاجرين، وسائر الجيش من الأنصار، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير وكان أبيض، واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس، واستعمل على المدينة أبا لبابة لما ردّه من الروحاء.
وقال صلى الله عليه وسلم لما ندب الناس إلى العير:
«هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها؛ لعلّ الله ينفّلكموها» وبعث صلى الله عليه وسلم سعيد بن زيد، وطلحة بن عبيد الله يتجسّسان خبر العير، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

قلّة الظّهر والسلاح عند المسلمين:
(واعتقبوا) أي: ركبوا نوبة: هذا مرة، والآخر مرة، والعقبة: بوزن علبة: النوبة (في ذلك المسير) إلى قتال المشركين، على الكيفية التي أشار لها بقوله: (كلّ ثلاثة على بعير) وكان معهم سبعون بعيرا.
قال في «شرح المواهب» : (فكان صلى الله عليه

ولم يكونوا أوعبوا للحرب ... إذ ما غزوا لغير نهب الرّكب

وسلم، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة– ويقال:

مرثد بن أبي مرثد الغنوي– يعتقبون بعيرا.

وقد روى الحارث بن أبي أسامة، وابن سعد عن ابن مسعود قال: كنّا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، وكان أبو لبابة وعليّ زميلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان إذا كانت عقبة النّبيّ صلى الله عليه وسلم.. قالا: اركب ونحن نمشي عنك، فيقول: «ما أنتما بأقوى مني على المشي، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما» وعليه: فجملة الذين يعتقبون مئتان وعشرة، فيحتمل أنّ الباقين لم يركبوا، أو أنّ الثلاثة تركب مرة ثمّ يدفعونه– أي: البعير– إلى غيرهم؛ ليركبوه مرة أخرى، وركوب أبي لبابة معهم كان قبل ردّه من الروحاء، وبعده أعقب مرثدا، كما عند ابن إسحاق، أو زيدا كما عند غيره) .

(ولم يكونوا) أي: الصحابة (أوعبوا للحرب) أي: لم يخرجوا جميعهم له؛ لعدم علمهم به، ولو علموا ذلك..

لأوعبوا، لكن مجرد الغنيمة، كما قال: (إذ ما غزوا لغير نهب الركب) الذي مع أبي سفيان وهو العير، قال تعالى:

وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ يعني: أنّه صلى الله عليه وسلم لمّا أمرهم بالخروج إلى العير وأمر من كان ظهره حاضرا بالنهوض.. أجاب ناس، وثقل آخرون؛ لظنهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد حربا.

قال في «الإمتاع» : (فخرج معه المهاجرون، وخرجت

وليس عندهم من السّيوف ... غير ثمان للعدا حتوف

الأنصار، ولم يكن غزا بأحد منهم قبل ذلك، فنزل بالبقع على ميل من المدينة، والتقيا على أربع مراحل من المدينة، وهي بيوت السّقيا، يوم الأحد لثنتي عشرة خلت من رمضان، فضرب عسكره هناك، وعرض المقاتلة، فردّ عبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، ورافع بن خديج، والبراء بن عازب، وأسيد بن حضير، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، ولم يجزهم.

وعرض عمير بن أبي وقاص فاستصغره، فقال: «ارجع» فبكى، فأجازه، فقتل ببدر وهو ابن ستّ عشرة سنة، وأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يستقوا من بئر السّقيا، وشرب من مائها، وصلّى عند بيوت السقيا، ودعا يومئذ لأهل المدينة فقال: «اللهمّ، إنّ إبراهيم عبدك، وخليلك، ونبيك دعاك لأهل مكة، وإنّي محمّد عبدك ونبيك؛ أدعوك لأهل المدينة:

أن تبارك لهم في صاعهم، ومدّهم، وثمارهم، اللهمّ؛ وحبّب إلينا المدينة، واجعل ما بها من الوباء بخمّ، اللهمّ؛ إنّي حرّمت ما بين لابتيها كما حرّم إبراهيم خليلك مكة» وهم على ثلاثة أميال بالجحفة بين الحرمين الشريفين) .

(وليس عندهم) أي: الصحب الكرام رضوان الله عليهم أجمعين (من السيوف غير ثمان) ولكنها هي المهلكة، كما قال: (للعدا حتوف) بالجر صفة لثمان؛ أي: ثمان، كثيرة الإهلاك للأعداء.

ولا من الخيل سوى اثنتين ... وقد كفتهم أهبة التّمكين
واستنفر النّفير صخر لهم ... وجاء خير مرسل ألبهم
(ولا من الخيل) عندهم (سوى اثنتين) :
إحداهما: للمقداد بن عمرو، ويقال لها: (سبحة) بفتح السين المهملة، وإسكان الموحدة، وبالحاء المهملة، ثمّ تاء التأنيث.
والأخرى: لمرثد بن أبي مرثد، ويقال لها:
(السّبل) .
وأمّا خيل النّبيّ صلى الله عليه وسلم.. فإنّما كانت بعد ذلك (و) مع هذه القلة ف (قد كفتهم أهبة) بضم الهمزة وإسكان الهاء، وهو مضاف إلى (التمكين) أي: كفاهم الله تعالى التمكين والمنزلة عنده تعالى، عن الإعداد بالعدد والسلاح.

استنفار أبي سفيان قريشا لإنقاذ العير:
(واستنفر) أي: استفزّ (النفير) بالنصب: معمول ل (استنفر) ؛ أي: الجيش، وفاعله (صخر) أبو سفيان بن حرب (لهم) أي: النّبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ أي: لحربه (وجاء خير مرسل) بالنصب معمول لجاء، وفاعله (ألبهم) بفتح الهمزة وكسرها: تجمّعهم للحرب، يقال: هم عليه ألب واحد، قال سيدنا حسان رضي الله عنه:
والناس ألب علينا فيك ليس لنا ... إلّا السّيوف وأطراف القنا وزر

وحاصل ما أشار له الناظم: أنّ أبا سفيان لمّا بلغه من بعض الركبان: أنّه صلى الله عليه وسلم استنفر أصحابه للعير.. خاف خوفا شديدا، فاستنفر النفير– أي: القوم النافرين للحرب– واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري بعشرين مثقالا؛ ليأتي مكة، وأمره أن يجدع بعيره، ويحوّل رحله، ويشق قميصه من قبله ومن دبره إذا دخل مكة، ويخبر قريشا أنّ محمّدا قد عرض لعيرهم هو وأصحابه، وكانت تلك العير فيها أموال قريش، حتى قيل: إنّه لم يبق قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعدا إلّا بعث به في تلك العير، فأسرع ضمضم إلى مكة، حتى إذا كان ببطن الوادي.. وقف على بعيره، وقد جدعه؛ أي: قطع أنفه، أو أذنه، وحوّل رحله، وشقّ قميصه، وهو يصرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش؛ اللّطيمة، اللطيمة أي: أدركوا اللطيمة، وهي العير التي تحمل الطيب والبز– أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث، فتجهز الناس سراعا وهم يقولون: أيظن محمّد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي؟! كلا والله، ليعلمنّ غير ذلك، فلم تملك قريش من أمرها شيئا حتى نفروا على الصعب والذلول، وتجهّزوا في ثلاثة أيام، وأعان قويّهم ضعيفهم.

استيثاق الرسول صلّى الله عليه وسلّم من أمر الأنصار:
ثم فرّع الناظم رحمه الله تعالى على ما ذكره من استنفار

(1/108)

فأخبر النّاس بهم ممتحنا ... وقال سعد ما رأى وأحسنا
أبي سفيان النفير وإجابة كفار قريش له، قوله:
(فأخبر) رسول الله صلى الله عليه وسلم (الناس) أي:
أصحابه رضي الله تعالى عنهم (بهم) أي: بقريش ومسيرهم؛ ليمنعوا عيرهم (ممتحنا) مختبرا، فاستشارهم صلى الله عليه وسلم في طلب العير، وحرب النفير، وقال: إنّ الله وعدكم إحدى الطائفتين: إما العير، وإمّا قريشا، فقال أبو بكر وأحسن، وقال عمر بن الخطاب وأحسن.
ثمّ قال صلى الله عليه وسلم: «أيّها الناس؛ أشيروا عليّ» وإنّما يريد الأنصار؛ لأنّه صلى الله عليه وسلم تخوّف ألّا تكون الأنصار ترى عليهم نصرته إلّا ممّن دهمه بالمدينة؛ لأنّهم ليلة بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله؛ إنّا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذن نمنعك ممّا نمنع منه أزرنا، فعند ذلك قام سعد بن معاذ سيد الأوس «1» كما أشار له بقوله: (وقال سعد) في جواب ذلك (ما رأى) أي: القول الذي رآه (وأحسنا) فيه وهو:

---

(1) أسلم هو وأسيد بن حضير في يوم واحد، على يد مصعب بن عمير وأسعد بن زرارة، ثمّ جاء سعد إلى قومه، وقال: كيف تعلمون أمري فيكم يا بني عبد الأشهل؟ قالوا: سيدنا، وأفضلنا رأيا، وأيمننا نقيبة. قال: فإنّ كلام رجالكم، ونسائكم عليّ حرام.. حتّى تؤمنوا بالله ورسوله، فما أمسى في دار بني عبد الأشهل، رجل ولا امرأة.. إلّا وهو مسلم، غير الأصيرم. توفي سعد شهيدا بعد أن أقرّ الله عينه في بني قريظة، وسيأتي شيء من مناقبه عند غزوة الخندق وبني قريظة، رضي الله عنه.

(1/109)

وكان من رويّة المقداد ... أن رضي السّير إلى الغماد
(والله لكأنّك تريدنا يا رسول الله، قال: «أجل» قال:
قد آمنّا بك، وصدقناك، وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا، ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق؛ لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته.. لخضناه معك، ما تخلّف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنّا لصبر في الحرب صدق في اللقاء، ولعلّ الله يريك منا ما تقرّبه عينك، فسر على بركة الله) .
قال الزرقاني: (وعند ابن عائذ من مرسل عروة، وابن أبي شيبة من مرسل علقمة بن أبي وقاص، عن

سعد قال:
ولعلّك يا رسول الله خرجت لأمر فأحدث الله غيره، فامض لما شئت، وصل حبال من شئت، واقطع حبال من شئت، وسالم من شئت، وعاد من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحبّ إلينا ممّا تركت، وما أمرت به من أمر، فأمرنا تبع لأمرك، لئن سرت حتى تأتي برك الغماد.. لنسيرنّ معك.
فسرّ عليه الصّلاة والسّلام بقول سعد رضي الله عنه وأرضاه، ثمّ قال: «سيروا، وأبشروا؛ فإنّ الله قد وعد إحدى الطائفتين، والله؛ لكأنّي أنظر إلى مصارع القوم») .
(وكان من رويّة) بكسر الواو وتشديد الياء، من رويت في الأمر: إذا نظرت فيه؛ أي: وكان من فكرة ورأي

(المقداد «1») بن عمرو (أن رضي السير إلى الغماد) بتثليث الغين المعجمة: موضع في أقصى معمور الأرض، أو مدينة في الحبشة، فإنّه رضي الله تعالى عنه قال: والله؛ لو سرت بنا إلى برك الغماد.. لسرنا معك، ولا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه الصّلاة والسلام: فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ، ولكن: اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا، ودعا له بخير.
وفي الصحيح: (أنّ ابن مسعود قال: شهدت من المقداد بن الأسود مشهدا، لأن أكون صاحبه أحب إليّ ممّا عدل به، أتى النّبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال بنو إسرائيل لموسى:
فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا، ولكنا نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك، وخلفك، فرأيت النّبيّ صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسرّه، يعني قوله) اهـ

---

(1) هو من بني بهراء، حليف بني زهرة، وكان تبنّاه الأسود بن عبد يغوث، ويقال له: المقداد بن الأسود، إلى أن نزل: ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ ولم يقبل المقداد ذلك التبنّي، بل انتسب إلى أبيه وقبيلته، تزوج ضباعة بنت الزّبير بن عبد المطلب، فولدت له فاطمة بنت المقداد، روى عنها، وهو أحد الأربعة الذين أخبر صلى الله عليه وسلم أنّ الله يحبهم، وألزمه محبتهم قال في «عمود النسب» :
أربعة أخبر خير مرسل ... بحبه لهم إلهنا العلي
وحبهم ألزمه وهم علي ... سلمان مقداد أبو ذرّ العلي

وعمر استقلّ جيش الحنفا ... واستكثر الّذي إليه زحفا
ثمّ قال صلى الله عليه وسلم: «أشيروا عليّ» فقال سعد ما تقدم.
قلت: وعلم من هذا التقرير: أنّ قول المقداد قبل قول سعد رضي الله عنهما، فكان للناظم أن يقدمه، إلا أنّ النظم لم يساعده، والخطب سهل.
(وعمر) بن الخطاب رضي الله عنه (استقلّ) أي: رأى في نظره جيش المسلمين قليلا كما قال:
(جيش الحنفا) :
جمع حنيف، وهو المائل عن جميع الأديان إلى دين الإسلام (واستكثر) الجيش (الذي إليه) يتعلق بقوله: (زحفا) بمعنى: مشى، وإنّما قال ذلك؛ شفقة على المسلمين؛ لما رأى من كثرة المشركين غيظا بهم، فقال– كما رواه ابن عقبة–: (يا رسول الله؛ إنّها لقريش، والله ما ذلت منذ عزت، ولا آمنت منذ كفرت، والله لتقاتلنّك، فتأهّب لذلك أهبته، وأعدّ لذلك عدته) .
ولما سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول صاحبيه:
سعد والمقداد.. ارتحل من واد يقال له: ذفران «1» حين بلغه خروج قريش يريدونه.

---

(1) بكسر الفاء: واد قريب من الصفراء. اهـ من «الحلبية» .

واستبقوا صخرا لبدر وانتحى ... وأخذوا واردة وزحزحا
تعرّف الرسول صلّى الله عليه وسلّم وأبي بكر أخبار قريش:
(واستبقوا) أي: سبق الصحب الكرام معه عليه الصّلاة والسّلام أبا سفيان (صخر لبدر، و) أما هو.. فإنّه (انتحى) أي: قصد إلى ناحية الساحل خوفا على عيره، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من بدر، فركب هو وأبو بكر رضي الله عنه.. حتى وقفا على شيخ من العرب، فسألاه عن قريش، وعن محمّد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتّى تخبراني ممّن أنتما، فقال صلى الله عليه وسلم: «إذا أخبرتنا.. أخبرناك» فقال الشيخ: أذاك بذاك؟ قال: «نعم» قال الشيخ: بلغني أنّ محمّدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني.. فهم اليوم بمكان كذا وكذا– للمكان الّذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم– وبلغني أنّ قريشا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدق.. فهم اليوم بمكان كذا وكذا– للمكان الذي به قريش– فلمّا فرغ من خبره.. قال: ممّن أنتما؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن من ماء «1» » ، ثمّ انصرفا عنه، قال الشيخ: ما «من ماء» أمن العراق؟!

---

(1) قال في «النور» : (ظهر لي أنّه أراد: من ماء دافق، والشيخ المشار إليه حمله على المنهل، وقال أبو جعفر الغرناطي في «شرح بديعية ابن جابر» : إنّه تورية، وإنّ ماء قبيلة) اهـ

عنها النّبيّ الضّرب إذ قال هما ... واردة النّفير واستفتاهما

قصة سقاة قريش:
ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه (و) لما أمسى.. بعث علي بن أبي طالب، والزّبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر؛ يلتمسون الخبر له عليه الصّلاة والسّلام، ف (أخذوا واردة) لقريش، وهي القوم يردون الماء، فيها أسلم غلام بني الحجاج، وعريض أبو يسار، غلام بني العاص، فأتوا بهما، فسألوهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلّي، فقالا: نحن سقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان، فضربوهما، فلمّا أذلقوهما «1» .. قالا: نحن لأبي سفيان، ونحن في العير، فتركوهما، وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسجد سجدتيه، ثمّ سلّم، وقال: إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما! صدقا والله، إنّهما لقريش، وهذا مراد الناظم بقوله: (وزحزحا) أي: أبعد.
(عنها) أي: الواردة (النّبيّ) صلى الله عليه وسلم (الضرب إذ قال: هما واردة النفير) أي: جيش أبي جهل (واستفتاهما) النّبيّ صلى الله عليه وسلم فقال لهما:
«أخبراني عن قريش» قالا: هم والله وراء هذا الكثيب الذي

---

(1) بالغوا في ضربهما.

وعند ما أمن صخر أرسلا ... إلى النّفير أن يؤوب قفّلا
ترى بالعدوة «1» القصوى، قال: «كم هم؟» قالا: كثير، قال: «ما عدّتهم؟» قالا: لا ندري، قال: «كم ينحرون كل يوم؟» قالا: يوما تسعا، ويوما عشرا، فقال صلى الله عليه وسلم: «القوم ما بين تسع مئة وألف» ثمّ قال لهما:
«فمن فيهم من أشراف قريش؟» قالا: عقبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، وأبو جهل، وأميّة بن خلف، والنّضر بن الحارث، حتّى عدّ جماعة من كبرائهم، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها» .

أمن أبي سفيان على العير ونجاتها:
(وعند ما أمن) أبو سفيان (صخر) من تعرض المسلمين لعيره (أرسلا) بألف الإطلاق؛ أي: أرسل أبو سفيان (إلى النفير) : وهم قريش الذين نفروا للقتال مع أبي جهل، ب (أن يؤوب) أي: يرجع النفير

(قفّلا) بتشديد الفاء: جمع قافل، بمعنى راجع، وقال: إنّما خرجتم لتمنعوا عيركم، ورجالكم، وأموالكم، فقد نجاها الله، فارجعوا، وستأتي مقالة أبي جهل في ذلك.
وسبب أمن أبي سفيان: أنّه خرج بسبس بن عمرو،

---

(1) بضم العين المهملة؛ أي: الجانب المرتفع من الوادي. اهـ منه

وردّ الاخنس المسوّد على ... حلف بني زهرة وازداد علا
وعديّ بن أبي الزغباء.. حتى نزلا بدرا، فأناخا إلى تل قريب من الماء، ثم أخذا شنّا لهما يستقيان فيه، ومجدي بن عمرو الجهني على الماء، فسمع عدي وبسبس جاريتين من جواري الحاضر «1» ، وهما تتلازمان على الماء، والملزومة تقول لصاحبتها: إنّما تأتي العير غدا، أو بعد غد، فأعمل لهم، ثمّ أقضيك الذي لك، قال مجدي: صدقت، ثمّ خلص بينهما، وسمع ذلك عديّ، وبسبس، فجلسا على بعيريهما، ثمّ انطلقا.. حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبراه بما سمعا، وأقبل أبو سفيان حتى تقدّم العير حذرا، حتى ورد الماء، فقال لمجدي بن عمرو: هل أحسست أحدا؟ قال:
ما رأيت أحدا أنكره، إلّا أنّي رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل، ثمّ استقيا في شنّ لهما، ثمّ انطلقا، فأتى أبو سفيان مناخهما، فأخذ من أبعار بعيريهما، ففتّه، فإذا فيه النوى، فقال: هذه والله علائف يثرب، فرجع إلى أصحابه سريعا، فضرب وجه عيره عن الطريق، فساحل بها، وترك بدرا بيسار، وانطلق حتى أسرع.

رجوع الأخنس ببني زهرة:
(وردّ الاخنس) بن شريق الثقفي (المسوّد) والمفضل في بني زهرة (على حلف) بكسر فسكون؛ أي: مع حلف

---

(1) الحاضر: القوم النازلون على الماء.

وابن هشام قال لا أو نردا ... بدرا فننحر ونرهب العدا
لبني زهرة، قال في «الروض» : ويقال: إنّه ما ساد حليف غيره، وقوله: (بني زهرة) معمول لقوله: (رد) يعني: أنّ الأخنس قال: يا بني زهرة؛ قد نجى الله أموالكم، وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل، وإنّما نفرتم لتمنعوه وماله، فاجعلوا بي جبنها، وارجعوا؛ فإنّه لا حاجة لكم في محمّد وأصحابه، لا ما يقول هذا، يريد أبا جهل، فرجعوا ولم يشهدها زهري «1» (وازداد) بذلك (علا) في الجاهلية.

قال في «روض النهاة» : إلّا أنّه نافق في إسلامه، ونزلت فيه وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا الآية.
وقيل سبب ردّه لهم: أنّه خلا بأبي جهل حين تراءى الجمعان، فقال: أترى محمّدا يكذب؟ فقال: كيف يكذب على الله، وقد كنا نسميه الأمين؟! لأنّه ما كذب قط، ولكن إذا اجتمعت في بني عبد مناف السّقاية والرّفادة والمشورة، ثمّ تكون فيهم النبوة، فأي شيء بقي لنا؟ فحينئذ انخنس؛ أي: رجع ببني زهرة، وكان اسمه أبيّا، فسمّي الأخنس بذلك.

إصرار أبي جهل على عدم رجوع قريش:

(و) الخبيث اللعين أبو جهل (ابن هشام) بتسمية النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وتقول له العرب: أبا الحكم (قال)

---

(1) قال المناوي: (ورجعت بنو عدي، فصادفهم أبو سفيان، فقال: لا في العير، ولا في النفير، قالوا: أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع) اهـ

فطاوعوه ومضوا وباتوا ... بشرّ ما بات به بغاة
عن كثب وأصبحوا بوحل ... ثبّطهم وبات خير مرسل
بخير ليلة وأصبح على ... أثبت أرض للخطا وارتحلا

لما أرسل إليهم أبو سفيان أن يرجعوا، فأراد أصحابه الرجوع لنجاة العير: (لا) نرجع (أو) أي: إلّا أن (نرد بدرا) وكانت من مواسم العرب، تجتمع لهم به سوق كل عام (فننحر) الجزر ونشرب الخمر، وتعزف عليه القيان، (ونرهب العدا) وتسمع بنا العرب.
(فطاوعوه) أي: أبا جهل (ومضوا) لسبيلهم.. حتى أتوا بدرا، ونزلوا بالعدوة القصوى (وباتوا بشر ما) أي: حال (بات به بغاة) جمع باغ، بمعنى ظالم، من السهر والريح والبرد والجزع، وإنما وصفهم بالظلم؛ لأنّهم أهله، ويتعلق بقوله: (عن كثب) أي: قرب.
نزول المطر يوم بدر نعمة على المسلمين ونقمة على المشركين:
(وأصبحوا بوحل) بفتح الواو والحاء المهملة؛ أي:
فيه، وهو الطين الرقيق ترتطم فيه الدّواب، ولا تكاد تخرج منه (ثبّطهم) أي: عوّقهم الوحل عن المسير (وبات خير مرسل) صلى الله عليه وسلم (بخير ليلة) من الأمن والعافية، ولما احتلم أصحابه ليلتئذ.. أرسل الله عليهم السحاب، فتطهّروا بها، ولبّدت لهم الأرض، وكانت دهسا؛ أي:
سهلة لينة، كما قال: (وأصبح على أثبت أرض للخطا) بضم الخاء، وهو جمع خطوة: ما بين القدمين (وارتحلا)

فنزلوا أدنى المياه للعدا ... وغوّروا جميعهنّ ما عدا
صلى الله عليه وسلم بأصحابه.. حتّى جاء أقرب ماء من بدر، فنزل به.

المشورة في منزل الحرب:
ثمّ إنّ الحباب بن المنذر بن الجموح قال: يا رسول الله؛ أرأيت هذا المنزل، أمنزلا أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه، أو نتأخر عنه، أم هو الرأي، والحرب، والمكيدة؟ قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة» فقال: يا رسول الله؛ فإنّ هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فتنزله، ثمّ نغوّر ما وراءه من القلب، ثمّ نبني عليه حوضا، فنملؤه ماء، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد أشرت بالرأي» فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس، فسار.. حتى أتى أدنى ماء من القوم، فنزل عليه، ثمّ أمر بالقلب فغوّرت، وبنى حوضا على القليب الذي نزل عليه، فملئ ماء، ثمّ قذفوا فيه الآنية، وإلى هذا أشار الناظم رحمه الله تعالى بقوله: (فنزلوا) أي:
الصحب الكرام مع الرسول عليه الصّلاة والسّلام (أدنى المياه للعدا، وغوّروا) بالغين المعجمة، وتشديد الواو، وهو الموافق للنظم «1» (جميعهنّ) أي: القلب (ما عدا) أي: إلّا

---

(1) قوله: (وهو الموافق للنظم) قال السهيلي في «الروض» عند قوله: (فأمر بتلك القلب فعورت) : (هذه كلمة نبيلة، وذلك أن القلب لما كانت عينا.. جعلها كعين الإنسان، ويقال في عين الإنسان: عرتها فعارت، ولا يقال: عورتها، وكذلك قال في القلب:

قليبهم وجعلوا الأواني ... في جدول فهي لهم دواني
وأقبلت بالخيلا والكبريا ... إلى المصارع الزّحوف الأشقيا
(قليبهم) أي: المسلمين، والقليب في الأصل: البئر قبل أن تطوى وتبنى.
(وجعلوا الأواني) للشرب (في جدول) على وزن جعفر وخروع: النهر الصغير، قاله في «القاموس» والمراد به هنا:
الحوض المذكور (فهي) أي: الأواني (لهم) أي:
للمسلمين ممّن يريد الشرب (دواني) أي: قريبة.
(وأقبلت بالخيلا) هو التكبر والإعجاب بالنفس، فعطف قوله: (والكبريا) عليه عطف تفسير (إلى المصارع) جمع مصرع، بفتح الميم، وهو موضع هلاكهم الذي ذكره النّبيّ صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين سرّ ونشط بقول سعد والمقداد: «إنّ الله وعدني إحدى الطائفتين– يعني العير أو النفير– والله لكأنّي أنظر إلى مصارع القوم» .
وقوله: (الزحوف) فاعل (أقبلت) وهو: جمع زحف الجيش، يزحفون؛ أي: يمشون إلى عدوهم،

ووصفهم بقوله: (الأشقيا) .

– عورت بسكون الواو، ولكن لما ردّ الفعل لما لم يسم فاعله.. ضمت العين، فجاء على لغة من يقول: قول القول، وبوع المتاع، وهو لغة هذيل) اهـ وقال أبو ذرّ في «شرحه» : (من رواه بالغين المعجمة، فمعناه: نذهبه وندفنه) .

لو طاوعوا عتبة أو حكيما ... أو ابن وهب ما رأوا أليما
لكونهم إلى القفول أرشدوا ... من بعد ما أشفوا على ما وردوا

مقال عتبة وحكيم وابن وهب لقريش في الرجوع عن القتال:

قال الناظم:

(لو طاوعوا عتبة) بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، الذي قال فيه النّبيّ صلى الله عليه وسلم وقد رآه على جمل له أحمر: «إن يكن فيهم خير، ففي صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا» (أو حكيما) ابن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، أمّه فاختة بنت رهين، ولدته في جوف الكعبة، وطرحت ثيابها التي ولدته فيها في الحطيم، وذلك شرع الجاهلية، وتسمّى تلك الثياب: اللقى، بوزن الفتى، قال الشاعر:

فواحزنا كرّي عليه كأنّه ... لقى بين أيدي الطائفتين صريم

نجا يوم بدر، وأسلم يوم الفتح، رضي الله عنه.

(أو) عمير (ابن وهب) بن خلف بن حذافة بن جمح، قال في «روض النّهاة» : (ويقال له: شيطان العرب، وقد أسلم رضي الله عنه) (ما رأوا) أي: كفار قريش (أليما) .

(لكونهم) أي: لكون المذكورين (إلى القفول) أي:

الرجوع عن القتال (أرشدوا) قومهم (من بعد ما) يظهر أنّها مصدرية (أشفوا) قال في «القاموس» و «شرحه» : (أشفى

على الشيء: أشرف، وحصل على شفاه، وهو يستعمل في الشر غالبا) أي: من بعد إشرافهم (على ما) أي: القتال الذي (وردوا) بدرا لأجله.

وأشار الناظم في هذه الأبيات إلى ما ذكره ابن سيد الناس في «العيون» ، وابن كثير في «البداية» كلاهما عن ابن إسحاق قال: (حدّثني أبي إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم، عن أشياخ من الأنصار، قالوا: لمّا اطمأنّ القوم..

بعثوا عمير بن وهب الجمحيّ فقالوا: احزر لنا أصحاب محمّد، قال: فاستجال بفرسه حول العسكر، ثمّ رجع إليهم، فقال: ثلاث مئة رجل، يزيدون قليلا، أو ينقصون، ولكن أمهلوني حتى أنظر للقوم كمين، أو مدد، قال: فضرب في بطن الوادي.. حتّى أبعد فلم ير شيئا، فرجع إليهم، فقال: ما رأيت شيئا، ولكن رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس لهم منعة، ولا ملجأ إلّا سيوفهم.
وفي «السيرة الشامية» : أما ترونهم خرسا لا يتكلمون، يتلمّظون تلمّظ الأفاعي «1» ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم..
حتى يقتل رجلا منكم، فإذا أصابوا منكم عدادهم.. فما خير العيش بعد ذلك؟ فروا رأيكم.

---

(1) تلمظ: إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه، وأخرج لسانه فمسح به شفتيه.

وقال عمرو وبأنفه شمخ ... ثانية سحر عتبة انتفخ
فلمّا سمع حكيم بن حزام ذلك.. مشى في الناس، فأتى عتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد، إنّك كبير قريش، وسيدها، والمطاع فيها، هل لك إلى أن لا تزال تذكر منها بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس، وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي «1» ، قال:
قد فعلت، أنت عليّ بذلك، إنّما هو حليفي، فعليّ عقله وما أصيب من ماله، فأت ابن الحنظلية– يعني أبا جهل– ثمّ قام عتبة خطيبا فقال: يا معشر قريش؛ إنّكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمّدا وأصحابه شيئا، والله؛ لئن أصبتموه..
لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه، أو ابن خاله، أو رجلا من عشيرته، فارجعوا وخلّوا بين محمّد وبين سائر العرب، فإن أصابوه.. فذلك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك.. ألفاكم، ولم تعرّضوا منه ما تريدون) .
وإلى هنا انتهى ما دار من المفاوضة بين الثلاثة وأبي جهل.

إصرار أبي جهل على الحرب:

وأمّا جواب أبي جهل.. فهو ما أشار إليه الناظم رحمه الله تعالى بقوله:
(وقال) أبو جهل (عمرو و) الحال أنّه (بأنفه) ، يتعلق بقوله: (شمخ) أي: تكبر، قولة (ثانية) ، أمّا القولة

---

(1) أي: الذي قتله واقد بن عبد الله في سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة، وهو أول قتيل.

الأولى فقوله– كما تقدم–: لا نرجع.. حتى نرد بدرا إلخ، ومقول القول قوله: (سحر عتبة انتفخ) كما قال: (سحر) قال في «المختار» : بالضم: الرئة، والجمع أسحار، كبرد وأبراد، وكذا السحر بالفتح، وجمعه سحور كفلس وفلوس، وقد يحرك لمكان حرف الحلق، فيقال: سحر وسحر، كنهر ونهر، والثّاني هو اللائق بالنظم، فيحمل عليه (عتبة انتفخ) .
قال في «العيون» : (قال حكيم: فانطلقت حتى جئت أبا جهل، فوجدته قد نثل درعا له من جرابها، فقلت:
يا أبا الحكم؛ إنّ عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا– للّذي قال– فقال: انتفخ والله سحره حين رأى محمّدا وأصحابه، كلّا والله، لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمّد، وما بعتبة ما قال، ولكنه قد رأى أنّ محمّدا وأصحابه أكلة جزور، وفيهم ابنه «1» قد تخوف عليه، ولما بلغ عتبة قول أبي جهل: انتفخ والله سحره.. قال: سيعلم مصفّر استه من انتفخ سحره: أنا أم هو؟ ثمّ بعث أبو جهل إلى عامر بن الحضرمي الذي قتل أخوه عمرو في سرية ابن جحش، فقال: هذا حليفك يريد أن ترجع بالناس، وقد رأيت ثأرك بعينيك، فقم فانشد خفرتك «2» ومقتل أخيك) وقد أشار الناظم لهذا بقوله:

---

(1) هو أبو حذيفة من مهاجري الحبشة رضي الله عنه.
(2) أي: اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك وعهدك؛ إذ أنّه كان حليفا لهم وجارا.

واستنشد ابن الحضرميّ الثّأرا ... فحشّ حربا بينهم وشرّا
(واستنشد) أبو جهل عامر (بن الحضرمي) أخا المقتول، الذي هو عمرو، وقال: هذا حليفك ... إلى آخر ما تقدم (الثأرا) بالهمزة، وتبدل ألفا: الدم، وقيل: الطلب به، كما في «التاج» عن «المحكم» (ف) قام عامر، وكشف استه، وحثا عليه التراب، ثمّ صرخ: واعمراه، فثارت النفوس، و (حش حربا) أي: أوقدها (بينهم وشرّا) .

مقتل الأسود بن عبد الأسد:

فقام الأسود «1» بن عبد الأسد المخزومي فقال: أعاهد الله لأشربنّ من حوضهم، أو لأهدمنّه، أو لأموتنّ دونه. فقام إليه سيدنا حمزة رضي الله عنه، فلمّا التقيا.. ضربه حمزة، فأطنّ قدمه إلى نصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره، تشخب رجله دما نحو أصحابه، ثمّ حبا إلى الحوض.. حتى اقتحم فيه، فتبعه حمزة، فقتله في الحوض.

---

(1) الأسود هذا: أوّل من يأخذ كتابه بشماله، وأخوه أبو سلمة أول من يأخذ كتابه بيمينه بعد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، قال شيخ شيخنا عبد القادر بن محمّد سالم في «الواضح المبين» :
سيدنا عمر هو أول ... من يأخذ الكتاب فيما نقلوا

ثمّ أبو سلمة يتلوه ... وعكسه الأسود أي أخوه
سبحان من يفعل ما يريد ... وعنه لا ينقص أو يزيد

فقام للوليد نجل عتبة ... حيدرة وحمزة لشيبة
نجل ربيعة وعتبة أخوه ... قام له عبيدة إذ رشّحوه
وذكر الحافظ ابن عبد البر في ترجمة أخيه العلاء بن الحضرمي: (أنّ عامر بن الحضرمي قتل يوم بدر كافرا) .

ابتداء الحرب بالمبارزة:
ولمّا أوقد أبو جهل الحرب بينهم، وقتل حمزة الأسود..
خرج عتبة بين أخيه شيبة وابنه الوليد، فدعا إلى المبارزة، فخرج إليه ثلاثة من الأنصار: عوف ومعاذ «1» ابنا الحارث، وأمّهما عفراء، والثّالث: عبد الله بن رواحة فيما قيل، فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار، فقالوا: ما لنا بكم من حاجة، وفي رواية: فقالوا: أكفاء كرام، ولكن أخرجوا إلينا من أكفائنا بني عمنا، فقال النّبيّ صلى الله عليه وسلم: «قم يا عبيدة بن الحارث، قم يا حمزة، قم يا علي» .
(فقام للوليد نجل) أي: ابن (عتبة) بن ربيعة (حيدرة) لقب لسيدنا عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، (و) قام (حمزة) بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النّبيّ صلى الله عليه وسلم (لشيبة نجل ربيعة) بن عبد شمس، (وعتبة أخوه) أي: أخو شيبة (قام له عبيدة) الآتي نسبه (إذ رشحوه) أي: قدموه للمبارزة.

(1) في «الهشامية» و «العيون» : معوذ، بدل معاذ.

وقطعت قدمه واحتملوه ... وهو أسنّ الجيش فيما نقلوه
قال ابن إسحاق: فلمّا دنوا منهم.. قالوا: من أنتم؟
فقال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال عليّ:
عليّ، قالوا: نعم، أكفاء كرام فبارز عبيدة، وكان أسن القوم عتبة، وبارز حمزة شيبة، وبارز عليّ الوليد بن عتبة، فأمّا حمزة.. فلم يمهل شيبة أن قتله، وأمّا علي.. فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكرّ حمزة وعليّ بأسيافهما على عتبة، فدففا عليه- بالمهملة والمعجمة: أجهزا عليه- واحتملا صاحبهما، فحازاه إلى أصحابه.

استشهاد عبيدة بن الحارث:

(وقطعت قدمه) أي: عبيدة، بضربة ضربه بها عتبة في ركبته، وصار مخّ ساقه يسيل (واحتملوه) فمات بالصفراء، ودفن بها، رضي الله تعالى عنه، ونفعنا بمحبته (وهو أسنّ الجيش فيما نقلوه) من الأخبار.

ذكر في «الحلبية» : أنّه أسن من النّبيّ صلى الله عليه وسلم بعشر سنين.

وقال في «روض النهاة» : له يوم مات ثلاث وستون سنة، وهو القائل يومئذ رضي الله عنه:

فإن تقطعوا رجلي فإنّي مسلم ... أرجّي بها عيشا من الله عاليا

(1/127)

وهو إذا أخذت في نعم النّسب ... عبيدة بن الحارث بن المطّلب

وألبسني الرّحمن من فضل منّه ... لباسا من الإسلام غطّى المساويا

(وهو) أي: سيدنا عبيدة المذكور (إذا أخذت في) نسبه الشريف، و (نعم النسب) هو، فقل: (عبيدة بن الحارث بن المطلب) بن عبد مناف، أسلم قديما.

قال في «الإصابة» : (وكان رأس بني عبد مناف حينئذ، مع أنّ العباس وإخوته كانوا في التعدد أقرب، وكان مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم بمكة، ثم هاجر) .

قال الحافظ ابن كثير: (ولما جاؤوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.. أضجعوه إلى جانب موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأفرشه رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمه الشريفة، فوضع خده على قدمه الشريفة، وقال:

يا رسول الله؛ لو رآني أبو طالب.. لعلم أني أحق بقوله:

ونسلمه حتى نصرّع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثمّ مات رضي الله عنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشهد أنّك شهيد» رواه الإمام الشافعي رحمه الله تعالى) .

وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي مجلز عن قيس بن عباد: سمعت أبا ذرّ رضي الله عنه يقسم قسما: أنّ هذه

(1/128)

وشهد المشهد هذا أخواه ... أعني الحصين والطّفيل مشبهاه

الآية: هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة، وعليّ، وعبيدة بن الحارث، وعتبة، وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة.

وروى البخاري أيضا من حديث أبي مجلز عن قيس، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّه قال:

«أنا أوّل من يجثو بين يدي الرّحمن عزّ وجلّ للخصومة يوم القيامة» .
وقال قيس: وفيهم أنزلت: هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ. يُصْهَرُ بِهِ ما فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ. وَلَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيدٍ. كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها وَذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ. إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ، وقال: هم الّذين تبارزوا يوم بدر: علي، وحمزة، وعبيدة رضي الله عنهم، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة.
(وشهد المشهد هذا) أي: بدرا (أخواه) أي: أخوا عبيدة، بل شهدا المشاهد كلّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وماتا في خلافة عثمان رضي الله عنه، في سنة إحدى وثلاثين (أعني الحصين والطفيل) ابني الحارث.
قال في «روض النهاة» : (إنّ الثلاثة أشقاء، أمهم سخيلة) (مشبهاه) أي: عبيدة في قدم الإسلام، والهجرة، وشهود بدر.

وابن غزيّة سواد استنتلا ... من صفّه ورام أن يعتدلا
نبيّنا فمسّه في كشحه ... وقال إذ آلم مسّ قدحه
أوجعتني نخسا فأعطني القود ... وجدّ في أن كان باشر الجسد

قصة سواد بن غزية مع الرسول صلى الله عليه وسلم:
(وابن غزيّة) بالتكبير، البلويّ، حليف بني عدي بن النجار، واسمه (سواد) بفتح السين، وتخفيف الواو، قال في «روض النّهاة» : «وكذا كل سواد في العرب، إلّا عمر بن سوّاد، بتشديد الواو، أحد بني عامر بن لؤي، من شيوخ الحديث، وسواد بن مرّ بن إراشة البلويّ حليف الأنصار، فبضم السين وتخفيف الواو والمذكور في النظم شهد بدرا، وما بعدها، و (استنتلا) أي: تقدم (من صفّه، ورام) أي: قصد النّبيّ صلى الله عليه وسلم لمّا كان يعدّل الصفوف (أن يعتدلا) والألف للإطلاق، وفاعله يعود على سواد، وقوله:
(نبينا) فاعل رام (فمسّه) أي: مسّ نبيّنا صلى الله عليه وسلم سوادا (في كشحه) : هو ما بين الخاصرة إلى الضلع، (وقال) سواد (إذ آلم) هـ (مسّ قدحه) – بكسر القاف–:
السهم قبل أن يراش وينصل (أوجعتني نخسا) : هو غرز الجنب بعود، ونحوه، وهذا مقول القول (فأعطني القود) أي: القصاص، فأعطاه ذلك، بأن كشف صلى الله عليه وسلم عن بطنه الشريف، (وجدّ) سواد، واجتهد (في أن كان باشر الجسد) أي: جسده صلى الله عليه وسلم، فاعتنقه، وقبّل بطنه.

قال ابن إسحاق: (وحدّثني حبّان بن واسع بن حبّان، عن أشياخ من قومه: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عدّل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح يعدّل به القوم، فكان يقول لهذا تقدم، ويشير للآخر تأخّر) .
وذكر في «الشّامية» : (أنّه صلى الله عليه وسلم خطب فيهم يومئذ، فحمد الله وأثنى عليه «1» ، فمرّ بسواد بن غزيّة حليف بني عديّ بن النجار، وهو مستنتل من الصف) .
قال ابن هشام: (فطعن في بطنه بالقدح، وقال: «استو يا سواد» فقال: يا رسول الله؛ أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني، قال: فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه، وقال: «استقد» قال: فاعتنقه، فقبّل بطنه، فقال: «ما حملك على هذا يا سواد؟» قال: يا رسول الله؛ حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسّ جلدي جلدك، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير) .

عريش النّبيّ صلى الله عليه وسلم:
ولمّا عدّل النّبيّ صلى الله عليه وسلم صفوفه.. رجع إلى عريشه، وليس معه فيه غير أبي بكر، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر، ويقول: «اللهمّ؛

---

(1) وذكر الإمام المقريزي خطبته عليه الصّلاة والسّلام في أصحابه فقال: (وخطب عليه الصّلاة والسّلام يومئذ فقال بعد الثناء على الله والحمد: «أمّا بعد: فإنّي أحثّكم على ما حثّكم الله عليه، وأنهاكم عمّا نهاكم عنه؛ فإنّ الله عظيم شأنه ... » إلخ) .

وخفق النّبيّ حين المعركه ... وفي عريشه رأى الملائكه
على ثنايا جبرئيل النّقع ... ولم يقاتل في سواها الجمع
إن تهلك هذه العصابة اليوم.. لا تعبد» وأبو بكر يقول: يا نبيّ الله؛ بعض مناشدتك ربك، فإنّ الله منجز لك ما وعدك.
(و) قد (خفق) بفتحات (النّبيّ) صلى الله عليه وسلم وهو في العريش خفقة؛ أي: حرّك رأسه وهو ناعس (حين المعركة) بفتح الميم، والراء مفتوحة، أو مضمومة: موضع القتال.

الإمداد بالملائكة في بدر:

(وفي عريشه) وهو ما يستظل به من خشب وحشيش (رأى) عليه الصلاة والسلام (الملائكة على ثنايا جبرئيل النقع) أي: الغبار، فمن أجل ذلك لما انتبه صلى الله عليه وسلم.. قال: «أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذا بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع» .
روى البيهقي– كما في «شرح المواهب» – عن عليّ رضي الله عنه قال: (هبّت ريح شديدة لم أر

مثلها، ثمّ هبّت ريح شديدة، وأظنه ذكر ثالثة، فكانت الأولى جبريل، والثّانية ميكائيل، والثّالثة إسرافيل، فكان ميكائيل عن يمين النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وفيها أبو بكر، وإسرافيل عن يساره وأنا فيها) اهـ.
ورواه ابن سعد، وذكر الثلاثة جزما، وقال: (فكانت الأولى: جبريل في ألف من الملائكة مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم،

(1/132)

والثّانية: ميكائيل في ألف عن يمينه، والثّالثة: إسرافيل في ألف عن يساره) قاله القسطلاني.
ثمّ خرج صلى الله عليه وسلم من باب العريش، وهو يتلو: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ.

دعاؤه صلى الله عليه وسلم ربه:

وفي «صحيح مسلم» ، و «سنن أبي داوود» و «الترمذي» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (حدّثني عمر بن الخطاب قال: لمّا كان يوم بدر.. نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مئة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثمّ مدّ يديه فجعل يهتف بربه: «اللهمّ؛ أنجز لي ما وعدتني، اللهمّ؛ آتني ما وعدتني، اللهمّ؛ إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام.. لا تعبد في الأرض» فما زال يهتف بربه مادّا يديه، مستقبل القبلة.. حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثمّ التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله؛ كفاك مناشدتك ربك؛ فإنّه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله تعالى: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ فأمدّه الله بالملائكة) .

استفتاح أبي جهل:

واستفتح أبو جهل يومئذ فقال: اللهمّ؛ أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا يعرف، فأحنه الغداة، فكان هو المستفتح على

(1/133)

نفسه، وفيه نزلت: إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ.
وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من تراب، فرمى بها قريشا، وقال: «شاهت الوجوه» وقال لأصحابه:
«شدّوا» فكانت الهزيمة، وكانت تلك الحصباء عظيما شأنها، لم تترك أحدا من المشركين إلّا ملأت عينيه، وجعل المسلمون يقتلونهم، ويأسرونهم، وبادر النفير إلى كل رجل منهم منكبّا على وجهه،

يعالج التراب، ينزعه من عينيه، وذلك قوله تعالى: فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ رَمى أي: عمّ جميعهم، وما في قبضتك إلّا ما يبلغ بعضهم، فالله هو الذي رمى سائرهم.
وذكر المقريزي في «إمتاع الأسماع» : إنّ هزيمة القوم كانت عند الزوال، وكان الرجل يومئذ يرى الملك على صورة رجل يعرفه، وهو يثبّت ويقول له: ما هم بشيء، فكر عليهم، وذلك معنى قوله تعالى: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا.
قال سيدنا حسان رضي الله عنه:
ميكال معك وجبرئيل كلاهما ... مدد لنصرك من عزيز قادر
(ولم يقاتل في سواها) أي: في غير غزوة بدر (الجمع)

(1/134)

وقيل: لم تقاتل الملائكه ... إذ ريشة منهم لقوم مهلكه
لكنّهم لعدد ومدد ... وطبلهم هناك طول الأبد
من الملائكة، أما فيها.. فقاتلت، وبهذا صرح العماد بن كثير في «تفسيره» فقال: (المعروف من قتال الملائكة: أنّه إنّما كان يوم بدر– ثم روى بإسناده إلى ابن عباس– قال: لم تقاتل الملائكة إلّا يوم بدر)
.
(وقيل لم تقاتل الملائكه) لا في بدر ولا في غيرها، وإنّما كانوا يكثّرون السّواد، ويثبّتون المؤمنين، وإلّا.. فملك واحد يكفي في إهلاك الدنيا، كما قال الناظم: (إذ ريشة منهم لقوم مهلكه) مبيدة.
(لكنهم) إنّما حضروا بدرا (لعدد) أي: لتكثير عدد (ومدد) في أعين المشركين، لا يضربون.
قال في «شرح المواهب» عقب ذكر هذا القيل، وما معه من الدليل: (وهذه شبهة يدفعها ما يأتي عن السبكي، قلت:
وحاصل دفعها عنه: أنّ قتال الملائكة مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم على سبيل الاشتراك في بعض الفعل، مع أنّ جبرائيل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه؛ لإرادة أن يكون الفعل للنّبيّ صلى الله عليه وسلم، ولأصحابه، وتكون الملائكة مددا على عادة مدد الجيوش، رعاية لصورة الأسباب، وسنتها التي أجراها الله تعالى في عباده، والله فاعل الجميع) .

(1/135)

وفي المسألة قول ثالث، ذكره في «شرح المواهب» وهو: أنّها قاتلت فيها وفي غيرها.

سماع الطبل في بدر:

(وطبلهم) المسمّى بطبل أهل الإيمان (هناك) ببدر يسمع إلى وقتنا هذا، بل (طول الأبد) وقد شاع ذلك، وشوهد من كثير ممّن يزورون بدرا؛ فقد قال القسطلاني في «المواهب» عن ابن مرزوق: (ومن

آيات بدر الباقية مدى الأزمان.. ما كنت أسمعه من غير واحد من الحجّاج: أنّهم إذا اجتازوا بذلك الموضع.. يسمعون هيئة الطبل، طبل ملوك الوقت، ويرون أنّ ذلك لنصر أهل الإيمان، قال: وربما أنكرت ذلك، وربما تأوّلته بأنّ الموضع صلب، فتستجيب فيه حوافر الدوابّ، وكان يقال لي: إنّه دهس سهل ليس برمل، ولا تراب غير صلب، وغالب ما يسير هناك الإبل، وأخفافها لا تصوّت في الأرض الصلبة، فكيف بالرمال؟!) .

قال- أي: ابن مرزوق-: (ثمّ لما منّ الله عليّ بالوصول إلى ذلك الموضع المشرّف.. نزلت عن الراحلة أمشي، وبيدي عود طويل من شجرة السّعدان، المسمى بأم غيلان، وقد نسيت ذلك الخبر الذي كنت أسمع، فما راعني وأنا سائر في الهاجرة إلّا واحد من عبيد الأعراب الجمّالين يقول: أتسمعون الطّبل؟ فأخذتني لمّا سمعت كلامه قشعريرة بيّنة، وتذكرت ما كنت أخبرت به، وكان في الجو بعض ريح، فسمعت

صوت الطبل، وأنا دهش ممّا أصابني من الفرح، أو الهيبة، أو ما الله أعلم به، فشككت، وقلت: لعلّ الريح سكنت في هذا العود الذي في يدي، وأوجدت مثل هذا الصوت، وأنا حريص على طلب التحقيق لهذه الآية العظيمة، فألقيت العود من يدي، وجلست على الأرض، أو ثبتّ قائما، أو فعلت جميع ذلك، فسمعت صوت الطبل سماعا محققا، أو صوتا لا أشك أنّه صوت طبل، وذلك من ناحية اليمين ونحن سائرون إلى مكة المشرّفة، ثمّ نزلنا ببدر، فظللت أسمع ذلك الصوت يومي أجمع، المرة بعد المرة، وقد أخبرت أنّ ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس) انتهى كلام ابن مرزوق.

وقال العلّامة المؤرخ الشهير بالخميس حسين بن محمّد:

(وأنا جرّبتها في سنة «936» وقت اجتيازي ببدر قافلا من المدينة المنوّرة إلى مكّة المكرّمة، وسمعت صوت الطبل، وتتابع الناس لسماعه، وكانوا زهاء مئة إنسان من الرجال، والنساء في الشقادف، وغيرها سماعا محققا بلا شك، مرارا متعددة، وكان الصوت يجيء تارة من تحتنا ثمّ ينقطع، وتارة من خلفنا ثمّ ينقطع، وتارة عن يميننا، وتارة عن شمالنا، وعلى كل الهيئات كنا نسمع الصوت قائما، وقاعدا، ومتكئا، سماعا محققا بلا شبهة، وكان الوقت صحوا، راكدا لا ريح فيه) اهـ «1»

---

(1) «تاريخ الخميس» (1/ 431) .

وجاء أنّ جبرئيل يحضر ... من مات مؤمنا وقوم أنكروا
نزوله بعد رسول الله ... والحقّ أن ليس له تناهي

الخلاف في نزول جبريل بعد الرسول عليهما السّلام:
(وجاء) في الخبر (أنّ جبرئيل) بالهمزة قبل الياء، عليه السّلام (يحضر من مات) من أمّة سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم (مؤمنا) وإذا رآه الشيطان.. يفرّ منه، فلا يقدر أن يغوي من أراد الله تعالى ثباته، ثبّتنا الله على الإيمان بحرمة سيدنا محمّد عليه الصّلاة والسّلام (وقوم) من العلماء (أنكروا نزوله بعد رسول الله) صلى الله عليه وسلم.
قال الناظم: (و) القول (الحق أن) هـ؛ أي: أنّ نزول جبريل (ليس له تناهي) حتى يردّ الدجال عن الحرمين.
نعم؛ لا ينزل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحي بشريعة.
قال عبد الباقي في «شرحه» على «مختصر سيدي خليل» : (وما اشتهر على ألسنة الناس أنّه لا ينزل إلى الأرض بعد موت النّبيّ صلى الله عليه وسلم.. فلا أصل له، ومن الدليل على بطلانه ما للطبراني في «الكبير» عن ميمونة بنت سعد قالت: قلت: يا رسول الله؛ هل يرقد الجنب؟ قال:
«ما أحب أن يرقد.. حتى يتوضّأ؛ فإنّي أخاف أن يتوفّى فلا يحضره جبريل») .
قال العلّامة الشيخ محمّد الأمير عليه، أو ما معناه:

وراقب الجمعين شخصان لكي ... ينتهبا من مدبري الجمعين شي
فرأيا الملك وهو منطلق ... فانشقّ واحد والاخر صعق
(لا ينزل بتجديد شريعة) . ونقله في «مشارق الأنوار» في فوز أهل الاعتبار، جعلنا الله تعالى منهم بمنّه وكرمه.
(وراقب الجمعين) أي: جمع المسلمين، وجمع المشركين (شخصان) من بني غفار (لكي ينتهبا) مع من ينتهب (من مدبري الجمعين شي) معمول ل (ينتهبا) ، وقف به على لغة ربيعة؛ أي: ليأخذا شيئا.
(فرأيا الملك) جبريل عليه السّلام (وهو منطلق) على فرس قائلا: أقدم حيزوم (فانشقّ واحد) من الشخصين فمات مكانه، (والآخر صعق) وغشي عليه.
قال ابن إسحاق: (حدّثني عبد الله بن أبي بكر: أنّه حدّث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدّثني رجل من بني غفار قال: أقبلت أنا وابن عم لي.. حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر، ونحن مشركان، ننتظر الوقعة على من تكون الدّبرة «1» ، فننتهب مع من ينتهب، فبينا نحن في الجبل؛ إذ دنت سحابة.. فسمعنا فيها حمحمة «2» الخيل، فسمعت قائلا يقول: أقدم «3» حيزوم، فأمّا ابن عمّي فانكشف

---

(1) الدبرة- بفتح الدال المهملة وسكون الباء-: هي الهزيمة.
(2) حمحمة- بحائين مهملتين مفتوحتين، بينهما ميم ساكنة-: صوت الخيل.
(3) أقدم: بهمزة قطع مفتوحة وكسر الدال، من الإقدام كما رجحه ابن الأثير، وحيزوم: اسم فرس جبريل، كما في «الروض الأنف» للسهيلي.

وابن معاذ مبتني العريش ... وحارس النّبيّ من قريش
قناع قلبه فمات مكانه، وأمّا أنا فكدت أهلك ثمّ تماسكت) .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما رؤي الشيطان يوما هو فيه أصغر، ولا أحقر، ولا أدحر، ولا أغيظ منه في يوم عرفة؛ وما ذاك إلّا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام، إلّا ما رؤي يوم بدر» قيل: وما رأى يوم بدر؟ قال: «أما إنّه قد رأى جبريل يزع الملائكة» أي: يصفّهم للحرب.
وقال عليه الصّلاة والسّلام يومئذ: «هذا جبريل يسوق الريح كأنّه دحية الكلبي، إنّي نصرت بالصّبا، وأهلكت عاد بالدّبور» .
وقال سيدنا عبد الرّحمن بن عوف رضي الله عنه: (رأيت يوم بدر رجلين، عن يمين النّبيّ صلى الله عليه وسلم أحدهما، وعن يساره أحدهما، يقاتلان أشد القتال، ثم يليهما ثالث من خلفه، ثمّ ربعهما رابع أمامه) .
قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه: كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضا، ويوم حنين عمائم حمرا.
وقال ابن هشام: (وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر: أحد أحد) .
سعد بن معاذ وحراسته الرسول صلى الله عليه وسلم في العريش:
(و) سعد (ابن معاذ) سيد الأوس، مبتدأ (مبتني العريش) خبره؛ فإنّه قال كما رواه ابن إسحاق:

يكره إبقاء الأسارى ويرى ... إهلاكهم أوّل قتل أجدرا
(يا رسول الله؛ ألا نبني لك عريشا تكون فيه، ونعدّ عندك ركائبك، ثمّ نلقى عدوّنا، فإن أعزّنا الله، وأظهرنا على عدوّنا.. كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى.. جلست على ركائبك، فلحقت بمن وراءنا؟ فقد تخلّف عنك أقوام يا نبي الله وما نحن بأشد لك حبا منهم، ولو ظنوا أنّك تلقى حربا.. ما تخلّفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك، ويجاهدون معك، فأثنى عليه صلى الله عليه وسلم خيرا، ودعا له بخير، ثمّ بنى للرسول صلى الله عليه وسلم عريشا فكان فيه) .
والعريش: شبه الخيمة يستظل به، وقال السهيلي: (هو كل ما أظلّك، وعلاك من فوقك، فإن علوته أنت.. فهو عرش لا عريش) .
وتعقبه مغلطاي بأن تفرقته بينهما لم يروها عن لغويّ، والذي في «العين» : (أنّهما: ما يستظل به) .

رأي سعد بن معاذ وعمر في الأسارى:

(و) هو (حارس النّبي) صلى الله عليه وسلم (من) كفار (قريش) على باب العريش، متوشحا السيف

في نفر من الأنصار، يحرسونه صلى الله عليه وسلم، مخافة كرّ العدوّ عليه.
وجملة قوله: (يكره إبقاء الأسارى) خبر بعد خبر، لقوله: (وابن معاذ) و (الأسارى) بضم الهمزة كالأسرى بفتحها: جمع أسير (ويرى) سعد (إهلاكهم) أي:

وهكذا عمر كان وهي من ... موافقاته الّتي بعد تعنّ
المشركين (أوّل قتل) أي: في أوّل قتل ووقعة أوقعها الله تعالى بالكفار (أجدرا) أي: أحق، وهو مفعول ثان ل (يرى) والأول: إهلاكهم، كما علم من التقرير، وذلك: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى في وجه سعد الكراهة لما يصنع الناس.. قال: «والله؛ لكأنّك يا سعد تكره ما يصنع القوم» فقال: أجل والله يا رسول الله، كانت أوّل وقعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخان في القتل أحبّ إليّ من استبقاء الرجال.
(وهكذا عمر) بن الخطاب– رضي الله عنه– ابن نفيل بن عبد العزّى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عديّ بن كعب (كان) يرى رأي ابن معاذ في كراهة إبقاء الأسرى؛ فإنّه لمّا أخذ صلى الله عليه وسلم الأسرى قائلا: «ماذا ترون؟» .. قال عمر: يا رسول الله؛ كذّبوك وأخرجوك، اضرب أعناقهم.

موافقات عمر رضي الله عنه:

(وهي) أي: هذه الكلمة (من موافقاته) أي: كلماته الموافقة للقضاء (التي بعد) بالبناء على الضم لحذف المضاف إليه؛ أي: التي بعد هذه (تعنّ) بكسر العين؛ أي:
تعرض، وهي كثيرة، جمعها الحافظ السيوطي «1» .

---

(1) في نظم سمّاه «قطف الثمر في موافقات عمر» وهو:

الاستشارة في أسرى بدر:

قال القسطلاني في «المواهب» : (وفي حديث أنس عند الإمام أحمد:
استشار صلى الله عليه وسلم الناس في الأسرى يوم بدر، فقال: «إنّ الله قد أمكنكم منهم» فقام عمر فقال:
يا رسول الله؛ اضرب أعناقهم، فأعرض عنه عليه الصّلاة والسّلام، ثمّ عاد صلى الله عليه وسلم فقال: «يا أيّها الناس؛

الحمد لله وصلّى الله ... على نبيّه الذي اجتباه
يا سائلي والحادثات تكثر ... عن الذي وافق فيه عمر
وما يرى أنزل في الكتاب ... موافقا لرأيه الصواب
خذ ما سألت عنه في أبيات ... منظومة تأمن من شتات
ففي المقام، وأسارى بدر ... وآيتي تظاهر وستر
وذكر جبريل لأهل الغدر ... وآيتين أنزلا في الخمر
وآية الصيام في حل الرفث ... وقوله نِساؤُكُمْ حَرْثٌ يبث
وقوله لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى ... يُحَكِّمُوكَ إذ بقتل أفتى
وآية فيها لبدر أوبه ... وَلا تُصَلِّ آية في (التوبة)
وآية في (النور) هذا بُهْتانٌ ... وآية فيها بها الاستئذان
وفي ختام آية في (المؤمنين) ... تبارك الله بحفظ المتّقين
وثلّة من في صفات السابقين ... وفي سواه آية (المنافقين)
وعددوا في ذاك نسخ الرسم ... لآية قد نزلت في الرجم
وقال قولا هو في التوراة قد ... نبهه كعب عليه فسجد
وفي الأذان الذكر للرسول ... رأيته في خبر موصول

هنا انتهى ما ذكره من موافقات أبي حفص، ثمّ أولاه بموافقات أبي بكر، فانظر ذلك في «الحاوي» .

(1/143)

عن قتل آله نهى إذ خرجوا ... وفي خروجهم عليه حرج
وعن أبي البختري إذ لم يؤذه ... وصكّ نبذهم سعى في نبذه

إنّ الله قد أمكنكم منهم» فقال عمر: يا رسول الله؛ اضرب أعناقهم، فأعرض عنه عليه الصّلاة والسّلام، ففعل ذلك ثلاثا، فقام أبو بكر الصدّيق فقال: يا رسول الله؛ أرى أن تعفو عنهم، وأن تقبل منهم الفداء، فذهب من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم، فعفا عنهم، وقبل منهم الفداء) .

النهي عن قتل بني هاشم وأبي البختري:

ثمّ قال الناظم: (عن قتل آله) يتعلق بقوله: (نهى) يعني: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل آله بني هاشم (إذ خرجوا) إلى بدر مع المشركين (وفي خروجهم عليه) صلى الله عليه وسلم (حرج) أي: ضيق، فقد أخرج ابن إسحاق من حديث ابن عباس: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: «إنّي قد عرفت أنّ رجالا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم.. فلا يقتله، ومن لقي أبا البختريّ بن هشام بن الحارث بن أسد.. فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فلا يقتله، فإنّما خرج مستكرها» ، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله:

(و) نهى (عن) قتل (أبي البختري) بفتح الباء وإعجام الخاء عند النوويّ، وبضم الباء مع إهمال الحاء عند ...

غيره «1» ، وإنّما نهى عليه الصلاة والسلام عن قتله (إذ لم يؤذه) أي: لأنّه لم يؤذ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من كان يؤذيه قبل، ولم يبلغه عنه شيء يكرهه، بل كان يذب عنه صلى الله عليه وسلم، وكان كثير الإكرام لبني هاشم ما داموا في الشّعب «2» ، يبعث إليهم بالأطعمة الكثيرة، ولما لامه أبو جهل.. قال أبو سفيان: دعوه، كريم وصل رحما، وقد سعى في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش في منابذته عليه الصّلاة والسّلام، كما أشار لهذا الناظم بقوله: (وصكّ) :
هو الكتاب، فارسي معرّب، وهو مضاف إلى قوله:
(نبذهم) أي: كتاب طرحهم؛ أي: مشركي قريش النّبيّ صلى الله عليه وسلم (سعى) أي: أبو البختريّ، وكان المتولي لكتابته بغيض بن عامر العبدريّ، بإملاء من قريش، فشلّت يده، وجملة (سعى) خبر قوله: (وصكّ) (في نبذه) أي: طرح الصك.

---

(1) واسمه: العاصي بن هشام بن الحارث بن أسد.
(2) وذلك: أنّه لمّا فشا الإسلام، وكثر المسلمون، وبلغ المشركين إكرام النجاشي للقادمين عليه من المسلمين.. ائتمر المشركون، وكتبوا بينهم كتابا تعاقدوا فيه ألّا يناكحوا بني هاشم وبني المطّلب، ولا يبايعوهم، ولا يكلّموهم، ولا يجالسوهم حتى يسلموا سيدنا محمّدا صلى الله عليه وسلم إليهم، وعلقوا هذه الصحيفة في سقف الكعبة، وكان ذلك ليلة المحرم في السنة السابعة من البعثة، فصاروا في الشعب مضيقا عليهم نحوا من ثلاث سنين حتى فرج الله عنهم، وأخبر عليه الصّلاة والسّلام بأنّ الصحيفة قد أكلت الأرضة جميع ما فيها إلّا اسم الله تعالى، فكان كما أخبر عليه الصّلاة والسّلام.

وجاءه المجذّر بن ذيّاد ... وقال عنك قد نهى خير العباد
فقال والزّميل قال المصطفى ... لم ينه عن قتل الزّميل الحنفا

قتل المجذّر بن ذيّاد لأبي البختري:
(وجاءه) أي: أبا البختري (المجذّر) بصيغة اسم المفعول: المضعف (ابن ذيّاد) بفتح الذال وتشديد الياء، قال في «روض النّهاة» : (وهو أشهر من كسر الذال، وتخفيف الياء) .
وهو ابن عمرو بن مرة البلويّ الخزرجيّ، شهد بدرا، وقتله الحارث بن سويد بن الصامت الأنصاري الأوسي يوم أحد، بأبيه سويد، وكان المجذّر قتله في الجاهلية، في حرب الأوس والخزرج، فلمّا اشتبك

القتال بين المسلمين والمشركين يوم أحد.. عدا الحارث على المجذّر فقتله غيلة، فأخبر جبريل النّبيّ صلى الله عليه وسلم، ولحق الحارث بمكة مرتدا، ثمّ جاء تائبا لما نزلت: كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ، وحملها إليه رجل وقرأها عليه، فقال الحارث: والله إنّك لصدوق، وإنّ الله أصدق الصادقين، فأسلم ثمّ قتله النّبيّ صلى الله عليه وسلم بالمجذّر (وقال) أي: المجذّر لأبي البختري (عنك) أي: عن قتلك (قد نهى خير العباد) صلى الله عليه وسلم.

(فقال) أبو البختري (والزميل) أي: الرفيق، يعني:

تقتله أم قد نهيت عنه، واسمه: جنادة بن مليحة من بني ليث (قال) المجذر (المصطفى) صلى الله عليه وسلم، وهو

(1/146)

فقال والنّخوة تأبى والإبا ... عن تركه جبنا وحكّم الظّبا

لا يسلم ابن حرّة زميله ... حتّى يموت أو يرى سبيله

مبتدأ، وخبره جملة قوله: (لم ينه عن قتل الزميل) ، وقوله: (الحنفا) : جمع حنيف، وهو المائل عن جميع الأديان إلى دين الإسلام، مفعول (ينه) أي: لم ينه صلى الله عليه وسلم أصحابه الحنفاء عن قتل الزميل، إنّما نهى عنك.

(فقال) أبو البختريّ لسبق شقاوته في الأزل والعياذ بالله، (والنخوة) مثلث النون: التكبر (تأبى والإبا) أي:

الامتناع عن الضيم (عن تركه) أي: الزميل (جبنا) أي:

خوفا من الموت، (وحكّم الظّبا) بوزن هدى: جمع ظبة كثبة: حدّ السيف، ومقول القول:

(لا يسلم ابن حرة زميله ... حتى يموت أو يرى سبيله)

فإنّه قاله لما حمل المجذّر بالسيف، ولكن طعنه المجذّر رضي الله عنه، بعد أن قاتله فقتله، وفي ذلك يقول المجذّر:

أو بشّرن بمثلها منّي بني ... أنا الذي يقال أصلي من بلي

إمّا جهلت، أو نسيت نسبي ... فأثبت النسبة إنّي من بلي

الطاعنين برماح اليزني ... والطاعنين الكبش حتى ينحني

(1/147)

وإذ نهى عن قتل عمّه هفا ... أبو حذيفة وقال سخفا

بشّر بيتم من أبوه البختري ... أطعن بالصّعدة حتى تنثني

وأعبط القرن بعضب مشرفي ... أرزم للموت كإرزام المري

فلا يرى مجذّر يفري فري

ثمّ أتى المجذّر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:
والذي بعثك بالحق؛ لقد جهدت عليه أن يستأسر، فآتيك به، فأبى إلّا أن يقاتلني، فقاتلته.. فقتلته.

مقالة أبي حذيفة وتكفيرها بالشهادة:

(وإذ نهى) رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن قتل عمه) العباس بن عبد المطلب؛ لأنّه إنّما خرج مستكرها (هفا) أي: زلّ (أبو حذيفة) : قيس بن عتبة بن ربيعة (وقال) قولا (سخفا) يريد مرذولا:
وهو أنقتل آباءنا، وإخواننا، وعشيرتنا، ونترك العباس؟! والله لئن لقيته لألحمنّه السيف، فبلغ هذا القول النّبيّ صلى الله عليه وسلم:
فقال: «يا أبا حفص «1» – قال عمر: والله إنّه لأول يوم كناني فيه أبا حفص– أيضرب وجه عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف؟ فقال عمر: يا رسول الله؛ دعني أضرب عنقه؛ فوالله لقد نافق، فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة، ولا زلت منها خائفا، إلّا أن تكفّرها الشهادة.

---

(1) الحفص: ولد الأسد، أراد صلى الله عليه وسلم شدة سيدنا عمر رضي الله عنه.

وكفّرت هفوته الشّهاده ... يوم اليمامة لها أراده
وإذ رآه المصطفى تضجّرا ... من جرّ عتبة أبيه اعتذرا
(وكفّرت هفوته) أي: زلته تلك، وهو مفعول (كفرت) مقدم على فاعله الذي هو (الشهادة يوم اليمامة) :
هو يوم مشهور، كان في أيام أبي بكر، بعث فيه جيشا لقتال مسيلمة الكذاب، قتل فيه وحشيّ مسيلمة، واستشهد فيه أبو حذيفة ومولاه سالم، وجد أحدهما قتيلا عند رجل الآخر، رضي الله عنهما.
وكان ذلك في ربيع الأوّل من سنة اثنتي عشرة من الهجرة، كذا في تاريخ الخميس.
والذي يقتضيه كلام ابن الأثير وابن خلدون في «تاريخهما» : أنّها كانت في أواخر السنة الحادية عشرة؛ لأنّهم ذكروا أنّ مسير خالد إلى العراق في أوّل سنة اثنتي عشرة، وكان بعد فراغه من قتل أهل اليمامة، كذا في «الفتوحات الإسلامية» (لها) أي: للشهادة، يتعلق بقوله:
(أراده) أي: اليوم.
قال في «روض النهاة» : (ليس معناه: أنّه لم يقصد لها الأيام التي قبله، بل كل وقعة يقصدها للشهادة، لكن لم تقدّر؛ لامتداد أجله إلى ذلك اليوم) .

تمني أبي حذيفة موت أبيه على الإسلام:

(وإذ رآه) أي: أبا حذيفة (المصطفى) صلى الله عليه وسلم (تضجرا) من التضجر، وهو القلق من الغم (من جرّ)

(1/149)

بأنّه كان يرى أنّ أباه ... يحجزه عن ميتة السّوء حجاه
وإذ معاذ بن عمرو بن الجموح ... أطنّ ساق ابن هشام الطّموح
أي: بسبب جرّ المسلمين إلى القليب (عتبة أبيه) مجرور بالفتحة، وأبيه بدل منه مجرور بالباء (اعتذرا) بألف الإطلاق كسابقه؛ أي: اعتذر أبو حذيفة.
(بأنّه كان يرى) أي: يعتقد (أنّ أباه) عتبة (يحجزه) أي: يكفه، ويمنعه (عن ميتة السوء) : وهي الموت على الكفر والعياذ بالله، وفاعل يحجزه قوله: (حجاه) بكسر الحاء؛ أي: عقله؛ يعني: أنّه لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمشركين أن يلقوا في القليب.. أخذ عتبة بن ربيعة، فسحب إلى القليب، فنظر النّبيّ صلى الله عليه وسلم في وجه ابنه أبي حذيفة.. فإذا هو كئيب متغير، فقال صلى الله عليه وسلم: «لعلّك قد دخلت من شأن أبيك شيء» أو كما قال صلى الله عليه وسلم، فاعتذر أبو حذيفة فقال: لا والله يا رسول الله، ما شككت في أبي، ولا في مصرعه، ولكني كنت أعرف من أبي رأيا وحلما وفضلا، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام، فلمّا رأيت ما أصابه، وذكرت ما مات عليه من الكفر، بعد الذي كنت أرجو له.. أحزنني ذلك، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير، وقال خيرا.

مقتل أبي جهل:
(وإذ معاذ بن عمرو بن الجموح) بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة بكسر اللام (أطنّ) قطع (ساق) أبي جهل (بن

(1/150)

فطرح ابنه الهزبر عكرمه ... عاتقه وجرّه في الملحمه
ألصق خير مرسل فالتصقا ... عاتقه لمّا عليه بصقا
هشام الطموح) أي: الجموح الراكب هواه لغيّه؛ وذلك أنّ معاذا قال: رأيت أبا جهل وقد أحاطوا به وهم يقولون:
أبو الحكم لا يخلص إليه، فلمّا سمعتها.. عمدت نحوه، وحملت عليه، فضربته ضربة أطنّت قدمه بنصف ساقه، فوالله ما أشبّهها حين طاحت إلّا بالنواة تطيح من تحت مرضحة «1» النوى حين يضرب بها.
(ف) بسبب ذلك ضرب معاذا عكرمة بن أبي جهل على عاتقه كما قال: (طرح ابنه الهزبر) بفتح

الزاي، وإسكان الباء هنا، وفيه إسكان الزاي وفتح الباء، وهو الأسد، (عكرمه) وقد أسلم عام الفتح رضي الله عنه، وما أحسن تعبير الناظم في جانب الابن الذي أسلم بعد بالهزبر، وأبيه الذي مات كافرا بالطموح (عاتقه) : هو ما بين المنكب والعنق وهو موضع الرداء، (وجرّه) أي: جر معاذ عاتق نفسه (في الملحمه) الوقعة العظيمة في الفتنة، والمراد هنا ساحة القتال.
(ألصق خير مرسل) صلى الله عليه وسلم عاتقه في مكانه (فالتصقا) بألف الإطلاق؛ وفاء له (عاتقه) وقوله: (لما عليه بصقا) بتخفيف الميم على أنّ ما مصدرية؛ أي: لبصوقه عليه، أو بتشديدها، على أنّ لمّا حينية؛ أي: فالتصق حين

---

(1) بحاء مهملة ومعجمة: آلة يكسر بها نوى التمر.

بصق عليه؛ أي: أخرج ريقه، ورمى به، قال معاذ:
وضربني ابنه عكرمة على عاتقي، فطرح يدي، فتعلقت بجلدة من جنبي، وأجهضني؛ أي: شغلني القتال عنها، فلقد قاتلت عامة يومي، وإنّي لأسحبها خلفي، فلمّا آذتني وضعت عليها قدمي، ثمّ تمطيت بها عليها، حتى طرحتها.
قال في «المواهب» : (وجاء معاذ بن عمرو يحمل يده ضربه عليها عكرمة– إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما ذكره القاضي عياض عن ابن وهب، فبصق عليه الصّلاة والسّلام عليها، فلصقت) .

تنبيه:
ما ذكره الناظم تبع فيه أصله اليعمريّ، وعليه جرى القسطلاني كما رأيت، قال الزرقاني: (وانتقده– يعني اليعمري– محشّيه البرهان، بأنّ الذي في «الشفاء» معوذ بن عفراء. قلت: ينبغي اعتماد ما في «الصحيحين» من حديث أبي سليمان التيمي، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ينظر ماذا صنع أبو جهل؟» قال ابن مسعود: أنا يا رسول الله، فانطلق فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد، قال: فأخذ بلحيته، قال: فقلت: أنت أبو جهل؟ فقال: وهل فوق رجل قتلتموه؟! أو قال: قتله قومه، وكذلك ردّه محشيه، بأنّ القاطع لها أبو جهل) .

فرعون الامّة النّبيّ عرّفا ... بجحشه ركبته إذا اختفى
قال الزرقاني: (نعم؛ روى ابن إسحاق، ومن طريقه الحاكم عن ابن عباس قال: قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة: سمعتهم يقولون وأبو جهل في مثل الحرجة «1» : أبو جهل لا يخلص إليه،

فجعلته من شأني، فصمدت نحوه، فلمّا أمكنني.. حملت عليه، فضربته ضربة أطنّت قدمه بنصف ساقه، قال: فوالله ما شبّهتها حين طاحت إلّا بالنواة تطيح من تحت مرضحة النوى حين يضرب بها، قال: وضربني ابنه عكرمة على عاتقي، فضرب يدي، فتعلقت بجلدة من جنبي، وأجهضني القتال عنه، فلقد قاتلت عامّة يومي وإنّي لأسحبها خلفي، فلمّا آذتني.. وضعت عليها قدمي ثمّ تمطّيت عليها حتى طرحتها، قال ابن إسحاق: ثمّ عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان رضي الله عنه، ولم يذكر في حديثه هذا أنّه أتى بها المصطفى، فتوهم اليعمريّ، وتبعه القسطلاني: أنّ كلام القاضي فيه توهم؛ لأنّها قصة أخرى كما علم) .

(فرعون) هذه (الأمّة) وهو أبو جهل، لقّبه النّبيّ صلى الله عليه وسلم بذلك جاء عنه صلى الله عليه وسلم قال: هذا فرعون هذه الأمّة: عزاه ابن كثير في «البداية» لأبي داود والنّسائي من حديث طويل، وقال اليعمريّ في «العيون» :

(روينا عن ابن عائذ: حدّثنا الوليد، قال حدّثني خليد، عن

---

(1) بفتح الحاء المهملة والراء والجيم وتاء تأنيث: شجر ملتف كالغيضة، قاله في «النهاية» .

بين الهوالك وكلّم النّبي ... جثثهم موبّخا للخشب

قتادة: أنّه سمعه يحدث: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ لكل أمّة فرعونا، وإنّ فرعون هذه الأمّة أبو جهل، قتله الله شر قتلة، قتله ابنا عفراء، وقتلته الملائكة، وذففه ابن مسعود» يعني: أجهز عليه) .

وقوله: (فرعون) مبتدأ وقوله: (النبيّ) مبتدأ ثان، خبره (عرفا) أي: بينه للصّحب الكرام لما أمر أن يلتمس أبو جهل في القتلى (بجحشه) بتقديم الجيم على الحاء؛ أي: بخدش النّبيّ صلى الله عليه وسلم (ركبته) أي: ركبة أبي جهل (إذا اختفى بين الهوالك) .

قال في «السيرة الهشامية» : (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحب الكرام، فيما بلغني: «انظروا إن خفي عليكم– يعني أبا جهل– في القتلى، إلى أثر جرح في ركبته؛ فإنّي ازدحمت يوما أنا وهو على مأدبة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان، وكنت أشفّ منه بيسير، فدفعته، فوقع على ركبتيه، فجحشته في إحداهما جحشا لم يزل أثره به» ، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: فوجدته بآخر رمق، فعرفته، فوضعت رجلي على عنقه، قال: وقد كان ضبث»

بي مرة بمكة، فآذاني ولكزني، ثمّ قلت له: هل أخزاك الله؟

قال: وبماذا أخزاني؟ أعمد «2» من رجل قتلتموه؟ أخبرني

---

(1) ضبث به: قبض عليه بكفه ولزمه.

(2) في الصحيح بسنده إلى عبد الله رضي الله عنه: (أنّه أتى أبا جهل وبه رمق يوم بدر، فقال–

لمن الدبرة اليوم؟ قلت: لله ورسوله) .
قال ابن إسحاق: (وزعم رجال من بني مخزوم: أنّ ابن مسعود كان يقول: ثمّ احتززت رأسه، ثمّ جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله؛ هذا رأس عدوّ الله أبي جهل، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«آلله الذي لا إله غيره؟» قال: وكانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: قلت: نعم، والله الذي لا إله غيره، ثمّ ألقيت رأسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله تعالى) .

طرح قتلى المشركين في القليب ونداؤهم:

(و) لما ألقى النّبيّ صلى الله عليه وسلم قتلى المشركين في القليب (كلّم النّبيّ) صلى الله عليه وسلم (جثثهم) : جمع جثة، وهو الشخص (موبّخا) أي: ملوّما (ل) – لمشركين المشبّهين با (لخشب) تشبيها بليغا في عدم النفع، وهو بضمّتين جمع خشبة، وفي التنزيل في صفة المنافقين: كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ، وفي الحديث في صفتهم أيضا: «خشب بالليل، صخب بالنهار» أراد أنّهم ينامون الليل لا يصلون، كأنّ جثثهم خشب مطروحة.

– أبو جهل: هل أعمد من رجل قتلتموه؟) قال في «الفتح» : (أعمد– بالمهملة–: أفعل تفضيل من عمد؛ أي: هلك، يقال: عمد البعير يعمد عمدا بالتحريك، إذا ورم سنامه من عض القتب، فهو عميد، ويكنى بذلك عن الهلاك) اهـ

وأشار الناظم رحمه الله تعالى إلى ما ذكره الحافظ اليعمريّ في «العيون» قال: (روينا عن ابن عائذ، أخبرني الوليد بن مسلم، أخبرني سعيد بن بشير، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن أبي طلحة: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة «1» ثلاثا، فلمّا كان يوم بدر.. أقام ثلاثا، وألقى بضعة وعشرين رجلا من صناديد قريش في طويّ من أطواء بدر، ثمّ أمر براحلته، فشدّ عليها رحلها، فقلنا: إنّه منطلق لحاجة، حتّى وقف على شفى الرّكي، فجعل يقول: «يا فلان بن فلان؛ ويا فلان بن فلان ... »)
الحديث.
قال العبد الضعيف: وتمامه: «هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا؟ فإنّي وجدت ما وعدني الله حقا» فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله؛ كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها؟ فقال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنّهم لا يستطيعون أن يردّوا شيئا» .
قال الحافظ اليعمريّ: (روينا من طريق مالك بن سليمان الهرويّ قال: حدّثنا معمر، عن حميد

الطويل، عن أنس، وفي آخره قال قتادة: أحياهم الله حتى سمعوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، توبيخا لهم) .

---

(1) العرصة بوزن الضربة: كل بقعة بين الدور واسعة، ليس فيها بناء. اهـ «مختار»

هذا حمل لهذا الخبر على ظاهره، وقد روينا عن عائشة رضي الله عنه: أنّها تأوّلت ذلك، وقالت: إنّما أراد النّبيّ صلى الله عليه وسلم: أنّهم الآن ليعلمون أنّ الذي أقول لهم هو الحق، ثمّ قرأت: إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى الآية.
قال السهيليّ في «الروض» : (وعائشة لم تحضر- يعني بدرا- وغيرها ممّن حضر أحفظ للفظه عليه الصّلاة والسّلام، وقد قالوا له يا رسول الله؛ أتخاطب قوما قد جيّفوا، أو جيفوا؟ فقال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» وإذا جاز أن يكونوا في تلك الحال عالمين.. جاز أن يكونوا سامعين: إمّا بآذان رؤوسهم، إذا قلنا: إنّ الروح يعاد إلى الجسد، أو إلى بعض الجسد عند المسألة، وهو قول الأكثرين من أهل السنة.
وإمّا بأذن القلب، أو الروح، على مذهب من يقول بتوجه السؤال إلى الروح، من غير رجوع منه إلى الجسد أو بعضه.
وقد روي أنّ عائشة احتجّت بقوله الله تعالى: وَما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وهذه الآية كقوله تعالى: أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ أي: أنّ الله تعالى هو الذي يهدي، ويوفّق، ويوصل الموعظة إلى آذان القلوب لا أنت.
وجعل الكفار أمواتا، وصمّا على جهة التشبيه بالأموات، وبالصم، فالله هو الذي يسمعهم على الحقيقة إذا شاء، لا نبيّه، ولا أحد؛ فإذن لا تعلق بالآية من وجهين:
أحدهما: أنّها نزلت في دعاء الكفار إلى الإيمان.

وعاين النّاس المصارع الّتي ... أخبرهم بها مقيم الملّة
والآخر: أنّه إنّما نفى عن نبيه أن يكون هو المسمع لهم، وصدق الله؛ فإنّه لا يسمعهم إذا شاء إلّا هو، ويفعل ما شاء، وهو على كل شيء قدير) اهـ
إخبار الرسول بمصارع المشركين بأسمائهم قبل القتال:
(وعاين) أي: أبصر (الناس) أي: الصحب الكرام (المصارع) جمع مصرع، وهو موضع الصرع؛ أي: الطرح.
قال في «المصباح» : الصريع من الأغصان: ما تهدّل وسقط إلى الأرض، ومنه قيل للقتيل: صريع،

والجمع:
صرعى.
والمعنى: وأبصر المسلمون مواضع صرع الكفار (التي أخبرهم بها) أي: بالمصارع (مقيم الملة) صلى الله عليه وسلم.
قال في «المواهب» : (وفي «الطبراني» عن أنس رضي الله عنه قال: أنشأ عمر بن الخطاب يحدّثنا عن أهل بدر فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس من بدر:
يقول: «هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى» قال عمر: فو الذي بعثه بالحقّ؛ ما أخطؤوا الحدود التي حدّها صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إليهم، فقال:
«يا فلان بن فلان؛ ويا فلان بن فلان؛ هل وجدتم ما وعدكم الله حقا؟ فإنّي وجدت ما وعدني الله حقا») .

فحقّق الله له ما وعدا ... وأوهن الكفر وأيّد الهدى
قال العبد الضعيف: وحملت الناس فيما ذكر على الصحب الكرام، على معنى أنّ ما أخبرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين في شأن كفار قريش هو حق، وآمن به الصحب، وبمشاهدة ذلك قد ازداد الإيمان عيانا، والبيان بيانا، فهو من باب (عين اليقن) وفيه علم من أعلام النبوّة باهر.

نصر الله الموعود للمؤمنين:
(فحقق الله له) أي: لنبيّه صلى الله عليه وسلم (ما وعدا) أي: الذي وعده من النصر على أعدائه؛ حيث أذن له في الجهاد بقوله عزّ وجلّ: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ «1» ، وقول الله تعالى: كانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ
، وقوله تعالى: وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ. إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ. وَإِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ، ومن إظهار دينه على الدين كله بقوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً.

---

(1) قال في «الفتح» : (عن الزّهري: إنّها أول آية نزلت في القتال، كما أخبرني عروة عن عائشة، أخرجه النسائي، وإسناده صحيح، وأخرجه هو والترمذي، وصححه الحاكم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: لما خرج النّبيّ صلى الله عليه وسلم من مكّة.. قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم ليهلكن، فنزلت: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ الآية، قال ابن عباس: فهي أول آية نزلت في القتال) اهـ

لهم من الله كتاب سابق ... لذاك ما شهدها منافق

(وأوهن) أي: أضعف (الكفر) بقتل أئمّته؛ فإنّ غالب قتلى بدر من المشركين: صناديدهم، ورؤساؤهم

(وأيد) أي: قوّى (الهدى) : وهو دين الإسلام، بتأييد أهله، فهم عند الله من الأبرار، وقد قال صلى الله عليه وسلم في حارثة بن سراقة الأنصاري وقد أصيب يوم بدر: «إنّه في جنة الفردوس» .

وذكر البخاري بسنده إلى معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقيّ عن أبيه– وكان أبوه من أهل بدر– قال: (جاء جبريل فقال:

ما تعدّون أهل بدر فيكم؟ قال: «من أفضل المسلمين» أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدرا من الملائكة) وهذا مع قلة المسلمين وكثرة المشركين، مع ما كانوا فيه من سوابغ الحديد والعدّة الكاملة والخيل المسوّمة.

قال في «المواهب» : (أعزّ الله تعالى بيوم بدر رسوله، وأظهر وحيه، وتنزيله، وبيّض الله وجه النّبي وقبيله، وأخزى الشيطان وجيله) ؛ ولهذا قال الناظم رحمه الله تعالى:

المغفرة لأهل بدر:

(لهم) أي: للصحابة الذين شهدوا بدرا (من الله كتاب) أي: قدر قدّره الله لهم (سابق) في أزله على سعادتهم.. حتى قال صلى الله عليه وسلم لسيدنا عمر رضي الله عنه– حين كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا إلى قريش، وبعثه مع سارة قينة صيفي بن هاشم يخبرهم: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم يريد

غزوهم، فبعث صلى الله عليه وسلم إلى حاطب، فاعتذر، فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنقه، فقد نافق–:

«يا عمر «1» ؛ إنّه قد شهد بدرا، وما يدريك لعلّ الله اطّلع على أهل بدر فقال لهم: اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم» .

وروى الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «إنّ الله اطّلع على أهل بدر فقال:

اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم» .

واعلم: أنّه ليس في ذلك الترخيص لهم في فعل المعاصي، بل المعاصي إذا أتوها.. فهي معاص في حكم الشرع، لا مباحات، ولكن لا يترتب عليها العقاب في الآخرة بل في الدنيا، فقد ثبت في مسند الإمام أحمد من حديث جابر: «لن يدخل النار رجل شهد بدرا، والحديبية» فهم ناجون في حكم الآخرة، ولا دلالة في الحديث على أنّه لا يقام عليهم الحد؛ فقد أقام عليه الصّلاة والسّلام الحدّ على مسطح، وهو بدريّ، وعمر بن الخطاب على قدامة بن مظعون الحد لما شرب الخمر.

لطيفة:

اقتبس الحديث المذكور بعض الأدباء فقال في محبوب يسمّى بدرا:
يا بدر أهلك جاروا ... وعلموك التّجرّي

(1) مقول لقوله: (قال صلى الله عليه وسلم لعمر) .

وقبّحوا لك وصلي ... وزيّنوا لك هجري
فليفعلوا ما أرادوا ... فإنّهم أهل بدر
(لذاك) أي: لأجل ما ذكر من الكتاب الذي كتبه الله، وقدّره لمن شهد بدرا (ما شهدها) أي: الغزوة
رجل (منافق) : وهو من أظهر الإيمان وأسرّ الكفر؛ لئلّا يدخل في صفتهم الخطيرة.
قال في «روض النّهاة» : (واعتذر عن ثعلبة بن حاطب، ومعتّب بن قشير، والحارث بن سويد، بأنّهم شهدوا بدرا، وخرج معهم يومئذ رجلان من الأنصار: حبيب «1» بن إساف، وآخر لم يسمّ وهما لم يسلما قبل، فقال لهم النّبيّ صلى الله عليه وسلم: «أسلمتما؟» قالا: لا، قال: «فأين تريدان؟» قالا: نقاتل مع قومنا، قال: «إنّا لا نستعين بمشرك، فإمّا أن تسلما، وإمّا أن ترجعا إلى بلدكما» فأسلما، وشهدا بدرا، رضي الله عنهما) .
قلت: وفي حديث حارثة- الآتي ذكره في المستشهدين من الأنصار في هذا اليوم- ما ينبّه على عظيم فضل من شهد بدرا؛ فإنّ حارثة هذا كان في النظّارة من بعيد، ولم يكن في

(1) حبيب بن إساف: بكسر الهمزة، وقد تبدل ياء: أوسي، ذكره في «الإصابة» وفي «الشامية» اهـ

يوم له ما بعده في الكفر ... وقد أتى منوّها في الذّكر
بأنّه العذاب واللّزام ... وأنّه البطش والانتقام
ساحة القتال، ولا في حومة الوغى، أصابه سهم غرب، وهو يشرب من الحوض، ثمّ مع هذا أخبر صلى الله عليه وسلم- لمّا جاءته أمه ولهة من قتله، لا تدري مصيره- بأنّه في جنة الفردوس، ومعلوم أنّه أعلى الجنة، ومنه تفجر أنهارها، وقد أمر صلى الله عليه وسلم أمته إذا سألوا الله تعالى الجنة.. أن يسألوه الفردوس الأعلى، فإذا كان من في النظارة يعدّ له هذا الجزاء العظيم، فما بالك بمن كان في نحر العدوّ، وهم على ثلاثة أضعافهم؟!
و (سهم غرب) أي: لا يعرف راميه، يقال: سهم غرب، بفتح الراء وسكونها، وبالإضافة وغير الإضافة، انظر «النهاية» لابن الأثير.

يوم بدر أذلّ الله فيه الشرك وأعزّ الإسلام:
(يوم) أي: يوم بدر يوم كائن (له ما بعده في الكفر) يقال: أمر له ما بعده؛ أي: تبع، وكذلك يوم بدر، كل ما وقع في إذلال الكفر بعده تبع له (وقد أتى) أي: يوم بدر (منوّها) مرفوعا (في الذكر) المنزل من عنده تعالى.
(بأنّه العذاب) قال تعالى: وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الْأَدْنى عذاب الدنيا بالقتل، والأسر، والجدب سنين،

وأنّه الفرقان بين الكفر ... والحقّ والنّصر سجيس الدّهر
في الأجر والمغنم قسّم النّبي ... لنفر عن الزّحاف غيّب
والأمراض دُونَ الْعَذابِ الْأَكْبَرِ عذاب الآخرة لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ.
(و) أنّه (اللزام) قال تعالى: قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزاماً، وأكثر العلماء على أنّه يوم بدر، وقيل: عذاب الآخرة، (وأنّه البطش والانتقام) قال تعالى: يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ.
(وأنّه الفرقان بين الكفر و) بين (الحقّ) في قوله تعالى:
وَما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ.
قال ابن كثير: (يوم بدر يوم الفرقان) .
قال في «شرح المواهب» : (قاله ابن عباس، رواه ابن جرير، وابن المنذر، وصححه الحاكم (و) أنّه (النصر) لقوله تعالى: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَواطِنَ كَثِيرَةٍ، وأعظمها يوم بدر، وقوله (سجيس الدهر) – بفتح السين وبعدها جيم مكسورة وياء معجمة– أي: أبد الدهر.

الثمانية المتخلّفون عن شهود بدر لعذر:
ثمّ أراد الناظم رحمه الله تعالى أن يذكر بعض من تخلّف عن حضور بدر لعذر قام به، ولولاه لما غابوا، فكانوا كمن حضرها؛ ولذلك أسهم لهم النّبيّ صلى الله عليه وسلم فقال:
(في الأجر) أي: ثواب من شهد بدرا (و) في

لطلحة ولسعيد أرسلا ... للرّكب ينظران أين نزلا
(المغنم) أي: الغنيمة، والجار والمجرور متعلق بقوله:
(قسّم النّبيّ) صلى الله عليه وسلم (لنفر) هو في الأصل من ثلاثة لعشرة، والذين ذكرهم في النظم ثمانية (عن الزحاف) بكسر الزاي المعجمة: الدنوّ من القتال، أو القتال نفسه، وهو متعلق بقوله:

(غيّب) بضم الغين المعجمة، وتشديد الياء المفتوحة الواقع نعتا للنفر؛ أي: قسّم النّبيّ صلى الله عليه وسلم لنفر غيب عن القتال لعذر كما تقدم؛ فلأجل ذلك أسهم لهم صلى الله عليه وسلم، وأخبرهم بثبوت الأجر لهم، ففي «الحلبية» : أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم أسهم لكلّ، وصار كل من أسهم له يقول: وأجري يا رسول الله؟ فيقول:
«وأجرك» .
ثمّ أراد أن يذكر أسماء أولئك، مع بيان أعذارهم فقال:
(لطلحة) : هو ابن عبيد الله بن عثمان بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم القرشي التيمي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد السابقين «1» (ولسعيد) : وهو ابن زيد بن

---

(1) أسلم على يد أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، وأم طلحة اسمها الصعبة بنت الحضرمي، وكانت قبل أبيه تحت أبي سفيان بن حرب، وفيها يقول:
وإنّي وصعبة فيما ترى ... بعيدان والود ود قريب
وإلّا يكن نسب ثاقب ... فعند الفتاة جمال وطيب
فيا لقصيّ ألا فانظروا ... إلى الوبر صار الغزال الربيب
روى ابن ماجه في «سننه» عن صاحب الترجمة أنّه قال: دخلت على النّبيّ صلى الله عليه وسلم وبيده سفرجلة، فقال: «دونكها؛ فإنّها تجم الفؤاد» .

عمرو بن نفيل بن عبد العزّى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح– براء مفتوحة، ثمّ زاي وحاء مهملة– ابن عديّ بن كعب «1» ، وهذا كسابقه، بدل من قوله: (لنفر) .
ثمّ بيّن سبب ذلك، وهو عذر تخلّفهم عن شهود بدر، بقوله: (أرسلا) والألف للإطلاق، مبينا للفاعل، وهو في قوة العلة لما قبله (للركب) والمراد به: عير أبي سفيان؛ أي: إنّما قسم النّبيّ صلى الله عليه وسلم لهما؛ لأنّه أرسلهما لركب أبي سفيان «2» (ينظران أين نزلا) أي: الركب.
قال ابن إسحاق: قدم طلحة من الشام بعد أن رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر، فكلّمه، فضرب له بسهمه، فقال: وأجري يا رسول الله؟ قال: «وأجرك» ، وكذا قال ابن إسحاق في سعيد: «إنّه قدم من الشام بعد قدومه صلى الله عليه وسلم من بدر، فكلّمه، فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه، فقال: وأجري يا رسول الله قال: «وأجرك» .
وقال الحافظ ابن عبد البر في «الإستيعاب» : (عن

– وسيأتي بعض مناقبه في غزوة أحد إن شاء الله تعالى، توفي سنة ست وثلاثين، ودفن بالبصرة.
(1) فهو من بني عدي، ومن السابقين إلى الإسلام، توفي في خلافة سيدنا معاوية رضي الله عنه سنة إحدى وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين سنة، ودفن في أرضه بالبقيع.

(2) فيه إشارة إلى أنّ فاعل أرسل ضمير يعود على النّبيّ صلى الله عليه وسلم، ويصح أن يكون أرسل مبنيا للمفعول، والمراد: أرسلها النّبي صلى الله عليه وسلم.

(1/166)

ولابن عفّان ولابن الصّمّة ... وابن جبير كسرا عن همّة

الواقدي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرج من المدينة إلى بدر طلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد إلى طريق الشام يتجسسان الأخبار، ثمّ رجعا إلى المدينة فقدماها يوم وقعة بدر) .

ثمّ عطف على قوله: (لطلحة) قوله:

(ولابن عفان) وما بعده؛ أي: قسم النّبيّ صلى الله عليه وسلم في الأجر والمغنم لسيدنا عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أميّة ابن عبد شمس بن عبد مناف «1» ؛ لأنّه تخلّف على رقية ابنته صلى الله عليه وسلم، وكانت مريضة.

قال في «الحلبية» : (وقيل: إنّه كان مريضا بالجدريّ)

---

(1) يكنى أبا عبد الله بابنه من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات صغيرا من نقرة الديك في عينيه رضي الله عنه، ابن ست سنين، ثمّ ولد له عمرو فكنّي به، وله تقول زوجه نائلة بنت الفرافصة تبكيه– وقيل: لوليد بن عتبة–:

ألا إنّ خير الناس بعد ثلاثة ... قتيل التجيبي الذي جاء من مصر

وما لي لا أبكي، وتبكي قرابتي ... وقد حجبت عنا فضول أبي عمرو

وأمه أروى بنت كريز بن حبيب بن عبد شمس، وأخوه لأمه الوليد بن عتبة، وأم أمهما أم حكيم البيضاء، توأمة عبد الله أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم، كذا في «روض النّهاة» . قال في «الإصابة» : (قتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة بعد العصر، ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء في حش كوكب، كان عثمان اشتراه فوسع به البقيع، وقتل وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وشهر على الصحيح المشهور) . وترجمته رضي الله عنه واسعة تطلب من المطولات.

(1/167)

أي: ولا مانع من وجود الأمرين، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «إنّ لك لأجر رجل وسهمه» .

(ول) لحارث (بن الصمّة) بكسر الصاد المهملة مع تشديد الميم، ابن عمرو بن عتيك الأنصاريّ، ثمّ النّجّاري، والد أبي جهيم، آخى النّبيّ صلى الله عليه وسلم بينه وبين سيدنا صهيب، واستشهد ببئر معونة ذكره الحافظ في «الإصابة» .

(و) لخوّات بتشديد الواو (ابن جبير) بالتصغير ابن النعمان بن أميّة بن امرئ القيس الأوسيّ البكري، أخي عبد الله بن جبير، وخوّات هذا هو صاحب ذات النحيين في الجاهلية، وهي امرأة من بني تيم الله

اسمها خولة، يروى: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم سأله عنها، فتبسّم، فقال:
يا رسول الله؛ قد رزق الله خيرا، وأعوذ بالله من الحور بعد الكور، قيل: إنّه مرّ في الجاهلية بنسوة فأعجبه حسنهنّ، فسألهنّ أن يفتلن قيدا لبعير له، زعم أنّه شارد، فجلس إليهنّ، فمرّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه، فلمّا أسلم.. سأله عن ذلك البعير الشارد وهو يبتسم، فقال خوّات: قيده الإسلام يا رسول الله.
قال في «روض النّهاة» : (وفي قصته مع خولة يقول:
فشدّت على النّحيين كفّا ضعينة ... فأعجلتها، والفتك من فعلاتي

(1/168)

وابن عديّ عاصم العجلاني ... خلّفه خير بني عدنان
على العوالي وعلى المدينه ... أبا لبابة الرّبيط الزّينه
وفيها المثل: (أشغل من ذات النحيين) توفي سنة أربعين، وهو ابن إحدى وسبعين سنة.
وأشار الناظم إلى عذر تخلفهما عن بدر فقال: (كسرا) بالبناء للمفعول؛ أي: أصاب رجليهما كسر (عن همة) صادقة لحضور بدر؛ فلذلك ضرب النّبيّ صلى الله عليه وسلم سهما لكل واحد منهما.
(وابن عدي) واسمه (عاصم) وعدي هو: ابن الجدّ بن العجلان، فهو منسوب لجده، كما قال:
(العجلاني) حليف الأنصار «1» ، وجملة (خلّفه خير بني عدنان) صلى الله عليه وسلم خبر عن المبتدأ، الذي هو (ابن عدي) ويتعلق بخلّفه قوله: (على العوالي) وردّه إليها من الروحاء؛ لسبب ذكره موسى بن عقبة وغيره، كما في «الروض الأنف» : (أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه شيء عن أهل مسجد الضّرار، وكان قد استخلفه على قباء والعالية، فردّه لينظر في ذلك، وضرب له بسهمه مع أهل بدر) .
قلت: هكذا قالوا، ولم يكن إذ ذاك مسجد الضّرار، وإنّما كان سنة تسع عند خروجه صلى الله عليه وسلم لتبوك،

---

(1) يكنى أبا عمرو، وأبا عبد الله، وعاصم هذا هو المذكور في حديث الذي يقول له عويمر العجلاني– وهو عمير بن الأبيض–: سل لي يا عاصم عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي سنة خمس وأربعين وهو ابن عشرين ومئة. اهـ من «الروض الأنف»

(1/169)

فيحتمل أن يكون استخلافه عليه الصّلاة والسّلام على أهل قباء والعالية من المدينة لشيء بلغه عنهم؛ ولذلك عدّ من البدريين وضرب له بسهم وهو المعتمد، كما ذكره الحافظ في «الإصابة» أمّا ذكر مسجد الضرار.. فلا معنى له هنا.

(و) خلف (على المدينة) المنوّرة بأنواره عليه الصّلاة والسّلام واليا (أبا لبابة) بشير بن عبد المنذر «1» ، وكان رده من الروحاء على المشهور، وإنّما قلنا: (واليا) لأنّه استعمل على الصّلاة في المدينة ابن أم مكتوم، وقوله: (الربيط) أي: لنفسه بالسارية؛ وذلك: لما طلبه بنو قريظة في حصار النّبيّ صلى الله عليه وسلم إياهم، وسألوه عمّا يكون إذا نزلوا على حكمه، فأشار لهم بيده للذبح، فخرج من عندهم نادما، فربط نفسه بسارية من سواري المسجد.. حتّى تاب الله تعالى عليه، وحلّه رسول الله صلى الله عليه وسلم من السارية.
وسيأتي ذلك مفصلا إن شاء الله تعالى في غزوة بني قريظة، ووصفه بقوله: (الزينة) أي: لقومه؛ لخصاله الحميدة الجميلة.

---

(1) هو من سادات بني عمرو بن عوف، وهو صاحب الحديث: «اللهمّ؛ اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بإزاره» وهو: الثقب الذي يسيل منه ماء المطر، وكان حض على النّبيّ صلى الله عليه وسلم في طلب الاستسقاء، فرأى أبو لبابة قول النّبيّ صلى الله عليه وسلم. وقال في «الإصابة» : (ذكره موسى بن عقبة في البدريين، وقالوا: كان أحد النقباء ليلة العقبة، وكانت راية بني عمرو يوم الفتح معه، مات في خلافة علي، وقال خليفة: مات بعد قتل عثمان، ويقال: عاش إلى ما بعد الخمسين) .

ثامنهم ردّ من الرّوحاء ... وهو ابن حاطب إلى قباء
(ثامنهم) أي: من تخلف عن بدر لعذر، فضرب له النبي صلى الله عليه وسلم بسهم (ردّ من الرّوحاء) إلى قباء، فقوله: (وهو ابن حاطب) جملة معترضة أتى بها لبيان تعيين الثامن، وهو الحارث بن حاطب بن عمرو الأوسي، أخو ثعلبة.
قال في «الإستيعاب» : (ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن حاطب، حين توجّه إلى بدر من الروحاء في شيء أمره به في بني عمرو بن عوف، وضرب له بسهمه، وأجره، فكان كمن شهدها) .
وقوله: (إلى قباء) يتعلق بقوله: (ردّ) وقباء وحراء فيهما ما أشار له بعضهم:
حرا وقبا أنّثهما ذكّرهما ... ومدّ أو اقصر واصرفن وامنع الصّرفا
وقباء: قرية بني عمرو بن عوف، ومسجدها الذي مدحه الله ومدح أهله بقوله عزّ وجلّ: لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ أسسه صلى الله عليه وسلم لبني عمرو أول يوم قدم المدينة، كان هو أوّل من وضع حجرا في قبلته، فجاء أبو بكر بحجر، ثمّ وضعه، ثمّ جاء عمر بآخر، فوضعه إلى حجر أبي بكر، فأخذ الناس في البنيان.

تنبيه:
زاد الحافظ ابن كثير في «البداية» على ما ذكره الناظم،

(1/171)

وابن عمير مصعب مرّ على ... شقيقه مستأسرا للفضلا
ممّن تخلف عن بدر، وضرب له النّبي صلى الله عليه وسلم بسهم وأجر:
أبا الصبّاح بن ثابت قال: (خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأصاب ساقه نصيل حجر «1» ، فرجع وضرب له بسهمه وأجره) .
وسعدا أبا مالك، قال في «البداية» عن الواقديّ:
(تجهز سعد ليخرج فمات، وقيل: إنّه مات بالرّوحاء، فضرب له بسهمه وأجره) .
ثمّ أراد الناظم أن يذكر بعض من أصيب بالأسر من كفار قريش فقال:

بعض الأسرى من قريش:
أسر أبي عزيز بن عمير:
(وابن عمير) بالتصغير (مصعب) «2» ، وعمير: هو ابن

---

(1) النصيل: حجر طويل مدملك، قدر شبر أو ذراع، جمعه نصل اهـ «نهاية»
(2) يكنى أبا عبد الله، أحد السابقين إلى الإسلام، قال أبو عمر: (أسلم قديما والنّبيّ صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم، وكتم إسلامه خوفا من أمه وقومه، فعلمه عثمان بن طلحة، فأعلم أهله فأوثقوه، فلم يزل محبوسا إلى أن هرب مع من هاجر إلى الحبشة، ثمّ هاجر إلى مكة، فهاجر إلى المدينة، وشهد بدرا، ولم يشهدها من بني عبد الدار إلّا هو وسويبط بن حرملة، ثمّ شهد أحدا ومعه اللواء، فاستشهدوا بها) . قال في «الروض الأنف» (1/ 269) : (كان قبل الإسلام من أنعم قريش عيشا وأعطرهم، وكانت أمه شديدة الكلف به، وكان يبيت وقعب الحيس عند رأسه، يستيقظ فيأكل، فلمّا أسلم.. أصابه من الشدة ما غيّر لونه، وأذهب لحمه، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه وعليه فروة رقعها فيبكي؛ لما كان يعرف من نعمته، وحلفت أمه حين أسلم-

(1/172)

فحضّهم أن شدّدوا إنّ له ... أمّا مليّة تفكّ كبله
عبد مناف بن عبد الدار بن قصيّ (مرّ على) أخيه (شقيقه) أبي عزيز، واسمه زرارة، فيما قاله ابن الأثير في «أسد الغابة» وكان لهما أخ آخر لأبويهما، وهو أبو الرّوم بن عمير، وغلط من جعله ممّن قتل يوم أحد كافرا؛ ذاك أبو عزة، كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى (مستأسرا) : بفتح السين

الثّانية؛ أي: مرّ عليه حال كونه أسيرا (للفضلا) من الصحابة، ولم يؤسر من بني عبد الدار إلّا هو، قاله في «روض النّهاة» .
(فحضهم) أي: فحثّ مصعب الفضلاء ب (أن شدّدوا) عليه في الوثاق (إنّ له أمّا ملية) بتشديد الياء المفتوحة؛ أي:

– وهاجر، ألّا تأكل ولا تشرب ولا تستظل حتى يرجع إليها، فكانت تقف للشمس حتى تسقط مغشيا عليها، وكان بنوها يحشون فاها بشجار– وهو عود– فيصبون فيه الحساء لئلّا تموت، ولما سأل الأنصار النّبيّ صلى الله عليه وسلم أن يرسل معهم من يرشدهم للدين، ولا يكون منهم خوف التنافس.. بعثه معهم هو وابن أم مكتوم، فنزلا على سعد بن زرارة رضي الله عنهم، وأسلم على يده جل الأنصار) . وقال في «الإستيعاب» : (يقال: إنّ مصعبا أوّل من جمع الجمعة بالمدينة قبل الهجرة، قال البراء بن عازب: أول من قدم علينا من المهاجرين المدينة مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار، ثمّ أتانا بعده عمرو بن أم مكتوم، ثمّ أتانا بعده عمار بن ياسر، وسعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وبلال، ثمّ أتانا عمر بن الخطاب في عشرين راكبا رضي الله عنهم، ثمّ هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدم علينا مع أبي بكر رضي الله عنه، قتله يوم أحد شهيدا ابن قمئة الليثي، وهو يومئذ ابن أربعين سنة وأزيد شيئا رضي الله عنه وعنا به، ويقال: إنّ فيه نزلت: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) .

موسرة (تفك كبله) أي: تطلقه من قيده؛ بأن تعطي فداءه.

وصية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بإكرام الأسرى:
قال ابن إسحاق: (وحدّث نبيه بن وهب أخو بني عبد الدار: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالأسارى.. فرّقهم بين أصحابه، وقال: «استوصوا بهم خيرا» ، قال: وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسرى، فقال أبو عزيز: مرّ بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني، فقال:
شدّ يدك به؛ فإنّ أمّه ذات متاع؛ لعلّها تفديه منك، قال أبو عزيز: فكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم.. خصّوني بالخبز، وأكلوا التمر؛ لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلّا نفحني بها، فأستحي، فأردّها على أحدهم، فيردّها عليّ ما يمسها) .
قال ابن هشام: (وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث، ولما قال أخوه مصعب لأبي اليسر– وهو الذي أسره– ما قال.. قال له أبو عزيز: يا أخي؛ هذه وصاتك بي؟! فقال له مصعب: إنّه أخي دونك، فسألت أمّه عن أغلى ما فدي به قرشيّ، فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم، ففدته بها) .

وابن الرّبيع صهر هادي الأمّة ... إذ في فداه زينب أرسلت

فائدة:
ذكر أبو عمر: (أنّ أبا عزيز هذا أسلم، وصحب النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وله منه سماع، وردّ على من قال: قتل يوم أحد كافرا، بأنّ ابن إسحاق عدّ من قتل من الكفار من بني عبد الدار أحد عشر رجلا، ليس فيهم أبو عزيز، وإنّما فيهم أبو يزيد بن عمير.

نأسر أبي العاصي بن الرّبيع ثمّ فكّه:
(و) أبو العاصي (ابن الرّبيع) بن عبد العزّى بن عبد شمس بن عبد مناف «1» ، وهو مبتدأ، وخبره: (سرّحه) الآتي (صهر) أي: زوج بنت (هادي الأمّة) صلى الله عليه

(1) أمه هالة بنت خويلد، واختلف في اسمه، فقيل: لقيط، وقيل: هشيم، لم يتفق أن أسلم إلّا بعد الهجرة، قال ابن إسحاق كما في «الإصابة» : (كان في رجال مكة المعدودين مالا، وأمانة وتجارة) . ثبت في «الصحيحين» من حديث المسور بن مخرمة: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم خطب، فذكر أبا العاصي بن الرّبيع، فأثنى عليه في مصاهرته خيرا، وقال: «حدّثني فصدقني، ووعدني فوفى لي» . قال في «روض النّهاة» : (ولدت له زينب عليا، دخل النّبيّ صلى الله عليه وسلم مكّة يوم الفتح وهو رديفه، وتوفي وقد ناهز الحلم، وأمامة بنت أبي العاص تزوجها علي وقتل عنها، ثمّ دخل عليها المغيرة بن نوفل بوصية علي رضي الله عنه، ولا يولد لها، وانقرض أبو العاصي إلا من بنته مريم، ولم يبق له من الولد إلّا هؤلاء الثلاثة؛ قال الحافظ عن إبراهيم بن المنذر مات أبو العاص في خلافة أبي بكر، في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة من الهجرة رضي الله عنه) اهـ

بعقدها الّذي به أهدتها ... له خديجة وزفّفتها
سرّحه بعقدها وعهدا ... إليه أن يردّها له غدا
وسلم، وهي زينب، والصهر يطلق أيضا على زوج الأخت، كما في «القاموس» واشتقاقه من صهر الشيء بالشيء يصهره:
إذا ألصقه به، ومنه– كما في «روض النّهاة» – ما في حديث بناء النّبيّ صلى الله عليه وسلم مسجد قباء: (كان صلى الله عليه وسلم يأتي بالحجر قد صهره إلى بطنه، فيأتي الرجل يريد أن يقلبه فلا يستطيع) .
(إذ) ظرفية (في فداه) يتعلق بأرسلت، وقوله:

(زينب) مبتدأ، خبره: (أرسلت بعقدها) هي القلادة (الذي به) أي: بالعقد (أهدتها) أي: أهدت زينب (له) أي: لابن الرّبيع (خديجة) بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى، وهو فاعل أهدتها (وزفّفتها) عطف تفسير.
(سرّحه) أي: أطلقه صلى الله عليه وسلم من الأسر (بعقدها) أي: مع عقدها ذلك، وبعث العقد لصاحبته (وعهدا إليه) أي: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العهد على أبي العاص بن الرّبيع إذا وصل هو مكة (أن يردها له) بالمدينة المنوّرة (غدا) .
وحاصل معنى ما أشار إليه في هذه الأبيات: أنّ أبا العاصي بن الرّبيع صهر هادي الخلق إلى الملة الحنيفية صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته زينب بإشارة خالته خديجة، وكانت تعدّه بمنزلة ولدها، وكان صلى الله عليه وسلم

فردّها وبعد ذاك تجرا ... لنفسه وساكني أمّ القرى
لا يخالفها قبل أن ينزل عليه الوحي، فزوّجه، فلمّا أكرم الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بنبوّته.. آمنت به خديجة وبناته، وثبت أبو العاصي على شركه.. حتّى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلمّا سارت قريش إلى بدر.. سار معهم أبو العاصي، فأصيب في الأسرى، فكان في المدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.
ولمّا بعث أهل مكة في فداء أسراهم.. بعثت زينب في فدائه بمال، وبعثت فيه بقلادة لها، كانت أمها خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها، قالت: فلمّا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم.. رقّ لها رقّة شديدة، وقال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردّوا عليها عقدها.. فافعلوا» قالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه، وردّوا عليها الذي لها، وكان صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه العهد أن يخلي سبيل زينب، ويردّها إليه.
(فردّها) إليه، قال ابن إسحاق: (وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار، وقال:
«كونا ببطن يأجج؛ حتى تمر بكما زينب، فتصحباها حتى تأتياني بها» فخرجا إلى مكانهما، وذلك بعد بدر بشهر، فلمّا قدم أبو العاصي مكة.. أمرها باللحوق بأبيها، فخرج بها حموها أخو زوجها كنانة بن الرّبيع.. حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقدما بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم)
.

فانتهب الأصحاب عير القلّب ... فجاء واستجار بابنة النّبي
فصرّحت ولم تجمجم البتول ... بأن أجارته وأمضاه الرّسول

(وبعد ذاك) أي: المذكور من إطلاقه من الأسر، ورد زينب إليه صلى الله عليه وسلم (تجرا) : بفتح الجيم، من باب نصر؛ أي: خرج تاجرا إلى الشام، وذلك قبيل الفتح، كما قاله ابن إسحاق، وكان رجلا مأمونا، فخرج بمال له، وأموال لرجال من قريش أبضعوها معه كما قال: (لنفسه وساكني أمّ القرى) أي: مكة، ولما رجع من تجارته وأقبل قافلا.. لقيته سريّة «1» لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

(فانتهب) أي: غنم (الأصحاب عير) الرجل (القلّب) : بفتح اللام المشدّدة بعد القاف المضمومة؛ أي:

المختال البصير بتقليب الأمور، والمراد به أبو العاصي.

استجارته بزينب بنت الرسول صلّى الله عليه وسلّم وإجارتها له:

(فجاء) أبو العاصي في الليل حتى دخل على زينب بنت الرسول صلى الله عليه وسلم (واستجار) أي: طلب الجوار (بابنة النّبيّ) صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها، (فصرحت ولم تجمجم) أي: لم تتكلم بكلام خفيّ، بل

---

(1) هي سرية زيد بن حارثة إلى العيص، سببها: أنّه بلغه صلى الله عليه وسلم قفول عير قريش من الشام، فبعث زيدا في مئة وسبعين راكبا، معترضا لها، فأخذوها وما فيها وأخذوا يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية، وأسروا رجالا فيهم أبو العاصي، قال في «تبصرة المحتاج» :

ثمّ ابن حارثة العير التي ... أخذ فيها صهر هادي الملة

فردّ ماله عليه أجمع ... تلك الصّهارة بها يستشفع

صرحت- بالحاء المهملة- (البتول) المراد بها زينب رضي الله عنها؛ لأنّها منقطعة عن الدنيا إلى الله عزّ وجلّ، وقوله: (بأن أجارته) يتعلق بصرحت؛ أي: صرحت، ونادت في الناس حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح: أيّها الناس؛ إنّي قد أجرت أبا العاص بن الرّبيع (وأمضاه) أي: ما أجارت فيه (الرسول) الأعظم صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق: (لما سلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة.. أقبل على الناس فقال: «أيّها الناس؛ هل سمعتم ما سمعت؟» قالوا: نعم، قال: «أما والذي نفس محمّد بيده؛ ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم، إنّه يجير على المسلمين أدناهم») .

(فردّ) بالبناء للمفعول (ماله عليه) أي: رد النّبيّ صلى الله عليه وسلم على أبي العاص ماله (أجمع تلك الصهارة) التي بينه وبين أبي العاصي بزينب (بها يستشفع) .

قال ابن إسحاق: (وحدّثني عبد الله بن أبي بكر: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاصي فقال: «إنّ هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالا، فإن تحسنوا وتردوا عليه المال الذي له..

فإنّا نحب ذلك، وإن أبيتم.. فهو فيء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحقّ به» قالوا: يا رسول الله؛ بل نرده عليه، حتّى إنّ الرجل ليأتي بالدلو، ويأتي الرجل بالشّنة والإداوة، حتّى إنّ

أوصى به من حيث الاكرام ابنته ... لكن نهاها أن تكون بعلته
أحدهم ليأتي بالشّظاظ «1» .. حتى ردوا عليه ماله بأسره، لا يفقد منه شيئا) .

لطيفة:
لما كان أبو العاصي تاجرا بالشام قال في زينب:
ذكرت زينب بالأجزاع من إضما ... فقلت سقيا لشخص يسكن الحرما
بنت الأمين جزاه الله صالحة ... وكلّ بعل سيثني بالذي علما

حال أبي العاص مع زينب قبل إسلامه:
ثمّ أراد الناظم أن يبين حال أبي العاصي إذ ذاك مع ابنته صلى الله عليه وسلم فقال: (أوصى) رسول الله صلى الله عليه وسلم (به من حيث الاكرام) لمثواه (ابنته) زينب؛ لأنّهم أهل الإكرام، ولما سبق بينهما من الزوجية الموجبة لمراعاة الفضل والاحترام، وقد قال تعالى في التي لم يدخل بها الزوج: وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ.
(لكن نهاها) أي: زينب رسول الله صلى الله عليه وسلم، (أن تكون) زينب (بعلته) أي: زوجة لأبي العاصي بن الرّبيع.

---

(1) بكسر الشين المشددة: العود الذي يدخل في العروة. اهـ «المختار»

وما ارتضى من بعد إسلام ابنته ... وكفره بقاءها في عصمته
لو أنّه يحلّ أو يحرّم ... بمكّة عنها الحليل يحسم
(و) هو صلى الله عليه وسلم (ما ارتضى من بعد إسلام ابنته) زينب (وكفره) أي: أبي العاصي (بقاءها) بالنصب معمول ل (ارتضى) ، وقوله: (في عصمته) متعلق ببقائها؛ أي: وما ارتضى بقاء زينب؛ لأنّها لا تحل له لأنّها مسلمة نشأت في بيت النبوة، قال تعالى: لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ، وما وقع في «تفسير القرطبي» في (سورة الممتحنة) ممّا يخالف ما ذكر.. غير صحيح أو هو مدسوس عليه، وكان الواجب على صاحب التعليق التنبيه عليه.
فإن قيل: إذا كان الأمر كذلك.. فلم لم يفرق بينهما صلى الله عليه وسلم يوم كان بمكة؟ قلنا:

أجاب عنه الناظم بقوله:
(لو أنّه) أي: رسول الله صلى الله عليه وسلم (يحل أو يحرّم بمكة) يعني: لو أنّه يطاع بمكة فيما يأمر به من الحلال، وينهى عنه من الحرام (عنها) أي: عن زينب، متعلق بيحسم (الحليل) مفعول مقدم لقوله: (يحسم) بكسر السين؛ أي: عنها الحليل أبا العاصي، لكن لمّا منّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإطلاق من الأسر بلا فداء.. عهد إليه أن يخلّي سبيل ابنته إليه، وقد فعل.
قال ابن إسحاق: (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحلّ بمكّة ولا يحرّم، مغلوبا على أمره، وكان الإسلام قد فرق بين زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين

وسئل الإيمان كي يحوزا ... مال قريش وبه يفوزا
فهاب أن يبدأ بالخيانه ... إيمانه ويدع الأمانه
فردّها لأهلها وأسلما ... وآب إذ إلى قريش أسلما
أبي العاصي، وكان لا يقدر على أن يفرّق بينهما) .
قال في «البداية» : (قلت: إنّما حرّم الله المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست من الهجرة) .

أمانة أبي العاصي وشرفه وإسلامه:
(وسئل) أبو العاصي (الإيمان) بالله ورسوله (كي يحوزا مال قريش) الذي معه وقوله: (وبه) يتعلق بقوله: (يفوزا) بالنصب، معطوف على يحوزا؛ أي: كي يفوز بالمال.
(فهاب) أبو العاص (أن يبدأ بالخيانة) هي ضد الأمانة (إيمانه ويدع) أي: يترك (الأمانة) ولو من مشرك.
قال ابن هشام: (وحدّثني أبو عبيدة: أنّ أبا العاصي بن الرّبيع لما قدم من الشام، ومعه أموال المشركين.. قيل له:
هل لك أن تسلم وتأخذ هذه الأموال؛ فإنّها أموال المشركين؟
فقال أبو العاصي، بئس ما أبدأ به إسلامي، أن أخون أمانتي) .
(فردها) أي: الأمانة، وهي الأموال (لأهلها) قريش، قال: (يا معشر قريش؛ هل بقي لأحد منكم مال لم يأخذه؟
قالوا: لا، فجزاك الله خيرا، فقد وجدناك وفيّا كريما، قال:
فأنا أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّدا عبده ورسوله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلّا تخوّف أن تظنوا أنّي إنّما أردت

فردّها إليه خير مرسل ... بالعقد الاوّل على القول الجلي
أن آكل أموالكم، فلمّا أدّاها الله إليكم وفرغت منها..
أسلمت) .
فقوله: (وأسلما) أي: دخل في الإسلام قبل الفتح سنة ثمان، كما قال ابن كثير (وآب) أي: رجع إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم معلنا إسلامه (إذ إلى قريش) يتعلق بقوله:
(أسلما) بمعنى: أعطى أمانتهم؛ أي: ورجع إلى المدينة لما أعطى قريشا أموالهم.

رد زوجه زينب إليه:
(ف) لمّا ردّ أبو العاصي إلى قريش أموالهم، وقد مسلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم (ردّها) أي: زوجه زينب (إليه) أي: أبي العاصي (خير مرسل) عليه الصّلاة والسّلام من الإله العلي (بالعقد) الصحيح (الأول) لم يجدد نكاحا لها (على القول الجلي) أي: الظاهر الذي رواه ابن إسحاق عن داوود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس «1» : (أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم ردّ زينب على أبي العاصي على النكاح الأول، ولم يحدث شيئا بعد ست سنين) .
قال السّهيلي: (ويعارض هذا ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده «2» : «أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم ردّها عليه

---

(1) رواه الإمام أحمد وأبو داوود والترمذي وابن ماجه، من حديث محمّد بن إسحاق «بداية» (332) .
(2) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب، عن أبيه

وأمّه هالة أخت صهرته ... والمصطفى رضي عن صهارته
بنكاح جديد» وهذا الحديث هو الذي عليه العمل، وإن كان حديث داوود بن الحصين أصح إسنادا عند أهل الحديث، ولكن لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت؛ لأنّ الإسلام كان فرّق بينهما، قال تعالى: لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ومن جمع بين الحديثين قال في حديث ابن عباس: معنى: ردها عليه على النكاح الأوّل؛ أي: على مثل النكاح الأول في الصّداق والحباء، لم يحدث زيادة على ذلك من شرط ولا غيره) اهـ
ثمّ أراد أن يبين نسبة أبي العاصي لأمّنا خديجة رضي الله عنها فقال:
(وأمه) أي: أم أبي العاص المذكور (هالة) بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ (أخت صهرته) أمنا خديجة من أبيها وأمها واسم أمّ خديجة رضي الله عنها فاطمة بنت زائدة بن الأصم.
قال ابن منده: (روت عائشة عنها حرفا في حديث) كذا اختصر.
قال الحافظ: (وكأنّه أشار إلى ما أخرجه البخاري في «الصحيح» من طريق علي بن مسهر، عن هشام بن عروة،

عن جده، قال الإمام أحمد: (هذا حديث ضعيف واه، لم يسمعه الحجاج من عمرو بن شعيب، إنّما سمعه من محمّد بن عبد الله العرزمي لا يساوي حديثه شيئا، والحديث الصحيح الذي روي: «أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم أقرها على النكاح الأول») اهـ

والمسلمون خيّروا بين الفدا ... وقدرهم في قابل يستشهدا

عن أبيه، عن عائشة قالت: (استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرف استئذان خديجة، فارتاع لذلك، وقال: «اللهمّ هالة «1» » ففزعت.
فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش..) الحديث.
وأصل الحديث في «الصحيحين» من غير ذكر هالة.
(والمصطفى) عليه الصلاة والسّلام (رضي عن صهارته) فقال: «حدّثني فصدقني، ووعدني فوفى لي» وذلك حين خطب عليّ بنت أبي جهل، وفي هذه الخطبة قال صلى الله عليه وسلم: «لا تجتمع بنت نبي الله وبنت عدوّ الله مكانا واحدا» .
قال في «الفتح» : (أخذ منه عدم جواز التزوج على بنت النبيّ، بخلاف التسرّي؛ لأنّ عليّا رضي الله عنه وطئ جارية من الخمس في بعض سراياه) .

فداء أسرى بدر:

ثمّ أراد الناظم أن يشرح الكلام على الفداء فقال:
(والمسلمون) والمراد بهم: أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم البدريون (خيّروا) بالبناء للمفعول (بين) أخذ (الفدا) من الأسرى (و) لكن (قدرهم) عددهم، وهو سبعون (في قابل) عام مقبل (يستشهدا) بالألف المنقلبة عن

(1) بالرفع؛ أي: هذه هالة، أو بالنصب؛ أي: اجعلها هالة.

وبين قتلهم فمالوا للفدا ... لأنّه على القتال عضدا
وأنّه أدّى إلى الشّهادة ... وهي قصارى الفوز والسّعادة

نون التوكيد (وبين قتلهم) أي: الأسرى، والمخيّر لهم النّبيّ صلى الله عليه وسلم بأمر جبريل عليه السّلام، كما روى الترمذي والنّسائي وابن حبّان والحاكم بإسناد صحيح عن عليّ رضي الله عنه قال: (جاء جبريل إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم يوم بدر، فقال: خيّر أصحابك في الأسرى، إن شاؤوا

القتل، وإن شاؤوا الفداء على أن يقتل منهم عاما مقبلا مثلهم قالوا: الفداء، ويقتل منا) .
ورواه ابن سعد من مرسل عبيدة فقالوا: (بل نفاديهم، فنتقوى به عليهم، ويدخل قابلا منا الجنة سبعون) .
(فمالوا للفدا) أي: لقبول الفداء منهم (لأنّه) أي:
الفداء عضد (على القتال) فهو متعلق بقوله: (عضدا) المبني للفاعل بمعنى: أعان.
(وأنّه) أي: الفداء (أدى) أي: أوصل (إلى) الظفر ب (الشهادة) في سبيل الله تعالى (وهي) أي:
الشهادة (قصارى) بضم القاف؛ أي: غاية (الفوز والسعادة) .
ولما اختاروا الفداء استشهد منهم في العام القابل وهو عام أحد، سبعون رجلا.
ثمّ أراد أن يبين مقدار ما كان به الفداء من المال فقال:

(1/186)

وهو بقدر وسعهم والمملق ... من خطّه عشرة يحذّق
ومن مشاهير الأسارى عمرو ... نجل أبي سفيان ثمّ الصّهر
(وهو) أي: الفداء (بقدر وسعهم) أي: طاقة الأسرى، أربعة آلاف درهم، كأبي وداعة، وأبي عزيز، إلى ثلاثة، إلى ألفين، إلى ألف (والمملق) بميمين على صيغة اسم الفاعل، من أملق بمعنى: افتقر؛ أي: والفقير، وقد عرف الخطّ (من خطه) يتعلق بقوله: (يحذق) وقوله:
(عشرة) بالنصب معمول لقوله: (يحذق) بالبناء للفاعل؛ والمعنى: أن من لم يكن عنده مال يفادي به نفسه، علّم عشرة من غلمان أهل المدينة الخطّ، فإذا حذقوا، وتعلّموا.. كان ذلك فداءه؛ لأنّ أهل مكة كانوا يكتبون، وأهل المدينة لا يكتبون، فممّن تعلم الكتابة يومئذ سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه في جماعة من غلمان الأنصار.
واعلم: أنّ جملة من أخذ أسيرا من المشركين ببدر سبعون رجلا، كما أنّ من هلك منهم سبعون، كما في «صحيح البخاري» من حديث البراء بن عازب.
واقتصر الناظم على ذكر المشهورين من الأسرى فقال:

من مشاهير أسرى قريش:

عمرو بن أبي سفيان:

(ومن مشاهير الأسارى) : (عمرو نجل) أي: ابن (أبي سفيان) صخر بن حرب.
قال ابن إسحاق: (وكانت أمه بنت عقبة بن أبي معيط) .

(1/187)

قال ابن هشام: (بل كانت أمه أخت أبي معيط، وكان الذي أسره عليّا بن أبي طالب) .
قال ابن إسحاق: (وحدّثني عبد الله بن أبي بكر قال:
فقيل لأبي سفيان: افد عمرا ابنك، قال: أيجتمع عليّ دمي ومالي؟ قتلوا حنظلة، وأفدي عمرا، دعوه في أيديهم يمسكوه ما بدا لهم. قال: فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة إذ خرج سعد بن النعمان بن أكّال أخو بني عمرو بن عوف، ثمّ أحد بني معاوية معتمرا، وكان مسلما في غنم له بالنّقيع «1» ، فخرج من هنا لك معتمرا، ولم يظن أنّه يحبس بمكّة إذا جاء معتمرا، وقد كان عهد قريش أنّ قريشا لا يعرضون لأحد جاء حاجّا أو معتمرا إلّا بخير، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة، فحبسه بابنه عمرو، وقال في ذلك:
أرهط بن أكّال أجيبوا دعاءه ... تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا
فإنّ بني عمرو لئام أذلّة ... لئن لم يفكّوا عن أسيرهم الكبلا
قال فأجابه حسّان بن ثابت يقول:
لو كان سعد يوم مكّة مطلقا ... لأكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلا

---

(1) موضع قرب المدينة، وأمّا البقيع بالباء.. فهو موضع داخل المدينة وفيه مقبرتها.

والعمّ وابنا أخويه وهما ... عقيل نوفل وبعد أسلما
بعضب حسام أو بصفراء نبعة ... تحنّ إذا ما أنبضت تحفز النبلا
قال: ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبره، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكّوا به صاحبهم، فأعطاهم النّبيّ صلى الله عليه وسلم، فبعثوا به إلى أبي سفيان، فخلّى سبيل سعد) .
قال في «روض النّهاة» : (وليس لعمرو بن أبي سفيان عقب، ولم ير له ذكر بعد هذا بإسلام ولا بغيره) .
وقوله: (ثم الصّهر) أي: للنّبي صلى الله عليه وسلم بنكاحه أخته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فهو معطوف على قوله نجل.

العباس بن عبد المطّلب:
(و) من مشاهير الأسارى (العمّ) للنبيّ صلى الله عليه وسلم سيدنا العباس بن عبد المطّلب، أسره أبو اليسر، بفتح التحتية والسين المهملة، وبالراء، كما ضبطه الحافظ في «الفتح» ، واسمه كعب بن عمرو الأنصاريّ السّلمي بفتحتين.
قال في «المواهب» : (روى الطبراني والبزار من حديث أبي اليسر: وقيل: للعباس بن عبد المطّلب وكان جسيما، كيف أسرك أبو اليسر وهو دميم، ولو شئت.. لجعلته في

كفك؟ فقال: ما هو إلّا أن لقيته، فظهر في عيني كالخندمة، وهي بالخاء المعجمة: جبل من جبال مكة) .
قال في «روض النّهاة» : (واختلف في وقت إسلامه، فقيل: بدر؛ وذلك أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «افد نفسك» فقال: ليس لي مال أفدي به نفسي، فقال: «الذهب الذي تركته عند أم الفضل، وقلت لها: كيت وكيت» فقال:
أشهد أنّك رسول الله، والله ما حضرنا إلّا الله) .

هلاك أبي لهب بالعدسة:
وفي خبر أبي رافع مع أبي لهب دليل على تقدم إسلامه على بدر، وهو ما رواه ابن إسحاق عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس، وأسلمت أم الفضل، وأسلمت، وكان العباس يهاب قومه، ويكره خلافهم، وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه، وكان أبو لهب قد تخلّف عن بدر، فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، وكذلك كانوا صنعوا، لم يتخلف منهم رجل، إلّا بعث مكانه رجلا.
فلمّا جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش.. كبته الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوة وعزّا، قال: وكنت رجلا ضعيفا، وكنت أعمل الأقداح، أنحتها في حجرة زمزم، فوالله إنّي لجالس فيها أنحت أقداحي، وعندي أم الفضل جالسة،

وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر.. إذ أقبل أبو لهب يجرّ رجليه بشرّ، حتى جلس على طنب الحجرة «1» فكان ظهره إلى ظهري.
فبينما هو جالس؛ إذ قال الناس: هذا أبو سفيان واسمه: المغيرة بن الحارث بن عبد المطّلب– قد قدم، قال: فقال له أبو لهب: هلمّ إلي، فعندك لعمري الخبر، قال: فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال يا ابن أخي:
أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلّا أن لقينا القوم، فمنحناهم أكتافنا، يقتلوننا كيف شاؤوا، ويأسروننا كيف شاؤوا، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس.
لقينا رجال بيض، على خيل بلق بين السماء والأرض، والله ما تليق «2» شيئا، ولا يقوم لها شيء.
قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة بيدي، ثمّ قلت:
تلك والله الملائكة، قال: فرفع أبو لهب يده، فضرب بها وجهي ضربة شديدة.
قال: وثاورته «3» ، فاحتملني وضرب بي الأرض، ثمّ برك عليّ يضربني، وكنت رجلا ضعيفا، فقامت

أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة، فأخذته، فضربته به ضربة،

(1) أي: طرفها.
(2) تليق: تبقي.
(3) وثبت إليه.

فلعت «1» في رأسه شجّة منكرة، وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده، فقام مولّيا ذليلا، فوالله ما عاش إلّا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة «2» فقتلته) اهـ
وبقي بعد موته ثلاثا لا تقرب جنازته؛ لأنّ قريشا تتشاءم بالعدسة، كما تتشاءم بالطاعون، فلمّا خاف بنوه السّبة– أي:
العار–.. حفروا له، ودفنوا جنازته بعود في حفرته، وقذفوه بالحجارة من بعيد حتّى واروه.
ويروى عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أنّها كانت لا تمرّ على مكان أبي لهب هذا، إلّا نشرت ثوبها حتى تجوز.
توفي العباس بالمدينة سنة (32) وجزع عليه ابنه سيدنا عبد الله رضي الله عنهما، حتى دخل عليه أعرابي فأنشده:
اصبر نكن بك صابرين فإنّما ... صبر الرعية بعد صبر الراس
خير من العباس صبرك بعده ... والله خير منك للعباس
فكان أجمل عزاء.

عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث:

(و) من مشاهير الأسرى (ابنا أخويه) أي: العباس

(1) شقت.
(2) العدسة: بثرة تخرج في البدن فتقتله.

(وهما عقيل) بفتح العين «1» وترك التنوين للوزن، وهو ابن أبي طالب، أخو علي، وجعفر، وكان الأسنّ «2» ، يكنى عقيل: أبا يزيد، قال له صلى الله عليه وسلم: «يا أبا يزيد؛ إنّي أحبك حبّين: حبّا لقرابتك مني، وحبّا لما أعرف من حب عمي إياك» .
قال الحافظ في «الإصابة» : (وفي «تاريخ البخاري» الأصغر بسند صحيح: أنّه مات في أول خلافة

يزيد قبل الحرّة) .
(نوفل) أي: ونوفل بن الحارث بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف، يكنى: أبا الحارث (وبعد) أي: بعد بدر (أسلما) أي: عقيل، ونوفل.
أمّا عقيل.. فإنّه أسلم عام الفتح، كما قاله في «الإصابة» وضعّف القول بأنّه أسلم بعد الحديبية، وهاجر في أوّل سنة ثمان.
وأمّا نوفل: فذكر في «الإستيعاب» : (أنّه أسلم وهاجر يوم الخندق) وقيل: أسلم يوم فدى نفسه.
واختلفوا أيضا في فدائه، فقيل: فداه العباس، وقيل:
فدى نفسه؛ وذلك: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال

---

(1) كل ما جاء على هذا اللفظ في العرب فبضم العين.. إلّا هذا، وعقيل بن علفة المري، كذا في «روض النّهاة» اهـ
(2) كان أسن من جعفر بعشر سنين، وجعفر أسن من علي بعشر سنين، وطالب أسن من عقيل بعشر سنين، وأمهم كلهم: فاطمة بنت أسد رضي الله عنهم. اهـ من «الروض»

وخالد أخو أبي جهل وقد ... أسلم أيضا وسهيل الأسد
له «افد نفسك» قال: ما لي شيء أفتدي به، قال: «افد نفسك برماحك التي بجدّة» فقال: والله؛ ما علم أحد أنّ لي بجدة رماحا غيري بعد الله، أشهد أنّك رسول الله، ففدى نفسه بها، وكانت ألف رمح.
ذكره الحافظ أبو عمر في «الإستيعاب» عن ابن سعد، وهذا ممّا يقوّي القول بأنّه أسر وفدى نفسه.
توفّي بالمدينة في داره بها سنة خمس عشرة، في خلافة عمر، وصلّى عليه عمر بعد أن مشى معه إلى البقيع، ووقف على قبره حتى دفن رضي الله عنه.

خالد بن هشام المخزومي، وسهيل بن عمرو العامري:

(و) من مشاهير الأسرى ببدر (خالد أخو أبي جهل) إذ ذاك، وقد قطع الإسلام تلك الأخوّة، فإنّه أسلم كما قال:
(وقد أسلم أيضا) مثل سابقيه، وهو ابن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشيّ المخزوميّ، قال الحافظ ابن عبد البرّ: (ذكره بعضهم في المؤلّفة قلوبهم) ، ثم قال:
(وفيه نظر) .
(وسهيل) – بالتصغير– ابن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نضر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي العامريّ، خطيب قريش (الأسد) أي: كالأسد في الشجاعة، فهو تشبيه بليغ، حذف منه الأداة، ووجه الشبه، أو هو الأسدّ، بتشديد

الدال؛ أي: قولا «1» ، والذي أسر سهيلا مالك بن الدّخشم، أخو بني سالم بن عوف، فقال في ذلك:

أسرت سهيلا فلا أبتغي ... أسيرا به من جميع الأمم
وخندف تعلم أنّ الفتى ... فتاها سهيل إذا يظّلم
ضربت بذي الشفر حتى انثنى ... وأكرهت نفسي على ذي العلم

---

(1) قال الحافظ: هو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية، وكلامه ومراجعته للنّبيّ صلى الله عليه وسلم في ذلك في «الصحيحين» وغيرهما. روى حميد بن أبي حسين قال: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكّة، ودخل البيت، ثمّ خرج فوضع يده على عضادتي الباب، فقال: «ماذا تقولون؟» فقال سهيل: نقول خيرا، ونظن خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم، وقد قدرت. فقال: «أقول كما قال أخي يوسف: لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ قال في «روض النّهاة» : (خرج سهيل بجماعة أهله إلى الشام فجاهدوا.. حتى ماتوا كلهم هنا لك، فلم يبق من ولده إلّا فاختة بنت عتبة بن سهيل، قدم بها على عمر، وكانت تسمى الشريدة، فزوجها من عبد الرّحمن بن الحارث بن هشام، وكان أيضا يسمّى الشريد، كان أبوه خرج هو وسهيل حين قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية» قالا: لئن فاتتنا الهجرة وأوّل الإسلام فلا يفوتنا الجهاد، والشهادة، فخرج كل بأهله، فلم يرجع ممّن خرج معهما إلّا عبد الرّحمن الشريد، وفاختة الشريدة، فسمّاهما الناس بالشريدين، قال عمر رضي الله عنه: زوجوا الشريد من الشريدة، لعلّ الله ينشر منهما أمة، وأقطعهما خطة، فأوسعها لهما، فقيل له: أكثرت، فقال: أردت لكي ينشر الله منهما أمة، فأنشر الله منهما رجالا ونساء) ومعنى (الشريد) : الذي لم يبق من أهله غيره. قال في «الإصابة» : (توفي سهيل بالطاعون سنة ثمان عشرة، فيما قاله ابن خيثمة) .

ومكرز ركز في مركزه ... حتّى أتى فداؤه لعزّه

قال ابن إسحاق: (وكان سهيل رجلا أعلم «1» من شفته السفلى) .

(و) لما أسر سهيل.. قدم (مكرز) – بكسر الميم «2» وفتح الراء– ابن حفص بن الأخيف– في فداء سهيل، فلمّا قاولهم فيه مكرز، وانتهى إلى رضاهم.. قالوا: هات الذي لنا، قال: اجعلوا رجلي مكان رجله، وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه، فخلوا سبيل سهيل، و (ركز) مكرز (في مركزه) بفتح الميم وإسكان الراء؛ أي: وضع مكرز نفسه في موضع سهيل في القيد (حتى أتى فداؤه) أي: فداء سهيل، وإنّما فعل ذلك مكرز بسهيل (لعزه) أي: سهيل عندهم.

قال في «روض النّهاة» : (ومكرز هذا هو العامري الذي بعثه أهل مكة يوم الحديبية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلمّا رآه.. قال: «أتاكم رجل فاجر، فلم يغن شيئا» فبعثوا سهيلا، فلمّا رآه صلى الله عليه وسلم.. قال: «سهّل الله لكم من أمركم» ، ولم نجد لمكرز إسلاما، ولا ذكرا في

الصحابة، إلّا أنّ صاحب «نور النّبراس» ذكر: أنّ ابن حبّان ذكر له صحبة) .
قلت: وكذلك ذكر الحافظ ابن حجر في «الإصابة» عن

---

(1) الأعلم: المشقوق الشفة العليا أو أحد جانبيها.
(2) يقال: بكسر الميم وفتحها، ولكن لا يروى في السيرة إلّا بالكسر. اهـ من «الروض» (ص 80)

وابن أبيّ وأبو وداعه ... أوّل مفديّ من الرّباعة
ابن حبان: (أنّه ذكره في الصحابة) والله تعالى أعلم.

عبد الله بن أبيّ بن خلف، وأبو وداعة السهمي:
(و) من الأسرى عبد الله (ابن أبيّ) بن خلف بن حذافة القرشيّ الجمحيّ، أسلم عام الفتح، وقتل يوم الجمل، رضي الله عنه.
(و) منهم الحارث (أبو وداعة) ابن ضبيرة السّهمي، ولما أسر.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ له بمكة ابنا كيّسا، تاجرا، ذا مال، وكأنّكم به قد جاء في طلب فداء أبيه» .
ولمّا قالت قريش: لا تعجلوا بفداء أسراكم، لا يأرب»
عليكم محمّد وأصحابه، قال المطّلب بن أبي وداعة– وهو الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى–: صدقتم لا تعجلوا، وانسلّ من الليل، وقدم المدينة، وأخذ أباه بأربعة آلاف درهم، فانطلق به، فكان أول أسير فدي، كما قال:
(أوّل مفدي) وهو خبر مبتدأ مقدر، كما علم من التقرير، ويصح أن يكون خبر قوله: (وأبو وداعه) ، (من الرّباعه) بكسر الراء؛ أي: من أسارى بدر.
قال السّهيلي (أسلم هو وابنه المطّلب بن أبي وداعة يوم فتح مكّة) .

---

(1) من أرب الدهر: اشتد.

وخالد بن الأعلم الّذي افتخر ... فكان قبل كلّ هوهة عجر
ومن مشاهير الممات حنظله ... منبّه وصنوه وابنان له

خالد بن الأعلم الخزاعي:
(و) منهم: (خالد بن الأعلم) الخزاعيّ، ويقال:

العقيليّ، كما قال ابن هشام (الذي افتخر) يوم بدر بقوله:
ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ... ولكن على أقدمنا تقطر الدّما
(فكان) خالد (قبل كل هوهة) بضم الهاء الأولى وفتح الثّانية بمعنى: جبان، يتعلق بقوله: (عجر) أي: ثنى عنقه، وفرّ سريعا قبل كل جبان، قتل يوم أحد كافرا، كما في «روض النّهاة» وغيره.

مشاهير من القتلى من مشركي قريش:

ثمّ لما فرغ من مشاهير الأسرى ببدر، وهم تسعة حسبما ذكر.. شرع في ذكر مشاهير القتلى من المشركين، فقال:
(ومن مشاهير الممات) بضم الميم من أمات يميت؛ أي: القتلى، والألف واللام للجنس، لا للاستغراق؛ لأنّه لم يستوعب مشاهيرهم (حنظلة) ابن أبي سفيان، قتله زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما ذكره ابن هشام واليعمري، وكذا (منبّه) بصيغة اسم الفاعل المضاعف وهو: ابن الحجاج بن عامر بن حذيفة، من بني سهم بن عمرو، قتله أبو اليسر أخو بني سلمة (و) كذا (صنوه) أي:

وهم نبيه حارث والعاصي ... أحد رهط غير ذي خلاص
من مكّة لكونه مستضعفا ... في زعمه ويوم بدر زحفا
مع قريش وتوفّت ظالمي ... أنفسهم ملائك الملاحم
شقيق منبّه (وابنان له) أي: لمنبّه، ثمّ بيّن أسماء الثلاثة على طريق اللف والنشر المرتب فقال:
(وهم) أي: صنوه وأبناء (نبيه) بالتصغير، ابن الحجاج، وأمه وأم منبه: أروى بنت عميلة، الذي قتله سيدنا حمزة بن عبد المطّلب وسعد بن أبي وقّاص، اشتركا فيه، فيما قاله ابن هشام. قال في «روض النّهاة» : (كان منبه ونبيه من المطعمين في الطريق إلى بدر) و (حارث) بن منبه بن الحجاج، قتله صهيب بن سنان.

المستضعفون بمكة في زعمهم الكاذب:

(والعاصي) بن منبه بن الحجاج، قتله علي بن أبي طالب، فيما قاله ابن هشام (أحد) بالرفع خبر مبتدأ مقدّر؛ أي: والعاصي المذكور أحد (رهط) بالتنوين: هو ما دون العشرة من الرجال، وما فيهم امرأة، كما في «القاموس» (غير ذي خلاص) أي: نجاة (من) أهل (مكة) بالتنوين للوزن (لكونه) أي: ذلك الأحد (مستضعفا في زعمه، و) الحال أنّه (يوم بدر زحفا، مع قريش) لقتال النّبيّ صلى الله عليه وسلم.
وقوله: (وتوفّت ظالمي أنفسهم ملائك الملاحم) جمع

وهم عليّ بن أميّة الرّدي ... والحارث بن زمعة بن الأسود
ملحمة؛ أي: الحرب، يشير إلى قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ قالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها فَأُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَساءَتْ مَصِيراً. إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالْوِلْدانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا. فَأُولئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُوراً.
قال الحافظ السيوطي: (نزلت في جماعة أسلموا، ولم يهاجروا، فقتلوا يوم بدر مع الكفار) اهـ

مقتل علي بن أميّة، وأميّة بن خلف:
ثمّ أراد إتمام عدّ المستضعفين في زعمهم، وهم أربعة سوى العاصي، فقال:
(وهم عليّ بن أميّة) بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح (الردي) أي: الهالك بالموت على الكفر، والعياذ بالله تعالى؛ فإنّه قتل يوم بدر مع أبيه كافرين.
قال ابن إسحاق: (حدّثني يحيى بن عباد وعبد الله بن أبي بكر وغيرهما، عن عبد الرّحمن بن عوف قال: كان أميّة بن خلف لي صديقا بمكة، وكان اسمي عبد عمرو، فتسميت حين أسلمت عبد الرّحمن، فكان يلقاني ونحن بمكة، فيقول: يا عبد عمرو؛ أرغبت عن اسم سمّاكه أبواك؟ فأقول: نعم، فيقول: فإنّي لا أعرف الرّحمن،

فاجعل بيني وبينك شيئا أدعوك به، أمّا أنت.. فلا تجيبني باسمك الأوّل، وأمّا أنا.. فلا أدعوك بما لا أعرف.
قال: وكان إذا دعاني: يا عبد عمرو.. لم أجبه، قال:
فقلت له: يا أبا عليّ؛ اجعل ما شئت، قال: فأنت عبد الإله، قال: فقلت: نعم، قال: فكنت إذا مررت به.. قال: يا عبد الإله، فأجيبه، فأتحدث معه، حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه عليّ، وهو آخذ بيده، قال: ومعي أدراع لي قد استلبتها، فأنا أحملها، فلمّا رآني.. قال: يا عبد عمرو، فلم أجبه، فقال: يا عبد الإله، فقلت: نعم، قال: هل لك فيّ؟ فأنا خير لك من هذه الأدرع التي معك. قال: قلت: نعم، ها الله ذا، قال:
فطرحت الأدراع من يدي، وأخذت بيده وبيد ابنه، وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط! أما لكم حاجة في اللبن؟ ثمّ خرجت أمشي بهما) .
قال ابن إسحاق: (حدّثني عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه عن عبد الرّحمن بن عوف قال: قال لي أميّة بن خلف وأنا بينه وبين ابنه آخذا بأيديهما:
يا عبد الإله؛ من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره؟

قال: قلت: حمزة، قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل، قال عبد الرّحمن: فوالله إنّي لأقودهما إذ رآه بلال معي، وكان هو الذي يعذّب بلالا بمكة على الإسلام، فلمّا رآه.. قال: رأس

(1/201)

الكفر أميّة بن خلف، لا نجوت إن نجا، قال: قلت: أي بلال؛ أبأسيري، قال: لا نجوت إن نجا، قال: ثمّ صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله؛ رأس الكفر أميّة بن خلف، لا نجوت إن نجا، فأحاطوا بنا، حتى جعلونا في مثل المسكة «1» ، فأنا أذبّ عنه قال: فأخلف رجل السيف، فضرب رجل ابنه فوقع، وصاح أميّة صيحة ما سمعت بمثلها قطّ، قال: قلت: انج بنفسك ولا نجاء به، فو الله ما أغني عنك شيئا، قال: فهبروهما بأسيافهم، حتى فرغوا منهما قال: فكان عبد الرّحمن يقول: يرحم الله بلالا، فجعني بأدراعي وبأسيريّ) .
وهكذا رواه البخاريّ في «صحيحه» قريبا من هذا السياق.

مقتل الحارث بن زمعة:
(والحارث بن زمعة بن الأسود) بن المطّلب بن أسد، وزمعة أبوه، ويكنى: أبا حكيمة، قتل هو وأخوه عقيل بن الأسود يومئذ، والأسود أحد المستهزئين، وأصابه في الدنيا ما أشار له العارف البوصيري بقوله:
فدهى الأسود بن مطّلب أيّ ... عمى ميّت به الأحياء

---

(1) المسكة بالتحريك: السوار؛ أي: جعلونا في حلقة كالسوار وأحدقوا بنا. اهـ «نهاية»

(1/202)

فإنّه دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن يعمي الله بصره، ويثكله ولده. فخرج الأسود يستقبل ولده زمعة، فبينا هو قاعد بظل شجرة جعل جبريل يضرب عينيه بورقة من ورقها، أو بشوكة منها، فاستغاث بغلامه فقال: لا أحد يصنع بك شيئا غير نفسك، فهلك من ذلك.

نواح الأسود بن المطّلب على بنيه:
قال ابن إسحاق: (حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير، عن أبيه عبّاد قال: ناحت قريش على قتلاهم، ثمّ قالوا: لا تفعلوا، فيبلغ محمّدا وأصحابه، فيشمتوا بكم، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا بهم، لا يأرب عليكم محمّد وأصحابه في الفداء) .
قال ابن إسحاق: (وكان الأسود بن المطّلب قد أصيب له ثلاثة من ولده: زمعة بن الأسود، وعقيل بن الأسود، والحارث بن زمعة، وكان يحب أن يبكي على بنيه، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من

الليل، فقال لغلام له وقد ذهب بصره: انظر هل أحلّ النحب؟ هل بكت قريش على قتلاها؟
لعلّي أبكي على أبي حكيمة- يعني زمعة- فإنّ جوفي قد احترق، قال: فلمّا رجع إليه الغلام.. قال:
إنّما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلّته، فذاك حين يقول الأسود:
أتبكي أن يضلّ لها بعير ... ويمنعها من النوم السّهود

(1/203)

فلا تبكي على بكر ولكن ... على بدر تقاصرت الجدود
على بدر سراة بني هصيص ... ومخزوم ورهط أبي الوليد
وبكّي إذ بكيت على عقيل ... وبكّي حارثا أسد الأسود
وبكّيهم ولا تسمي جميعا ... وما لأبي حكيمة من نديد
ألا قد ساد بعدهم رجال ... ولولا يوم بدر لم يسودوا)

إسلام عمير بن وهب:

قال في «الإمتاع» : (وناحت قريش على قتلاها بمكّة شهرا، وجزّ النساء شعورهنّ، وجعل صفوان بن أميّة لعمير بن وهب إن قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتحمل بديته، ويقوم بعياله، وحمله على بعير، وجهّزه، فقدم عمير المدينة، ودخل المسجد متقلّدا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأدخله عمر بن الخطّاب رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:
«ما أقدمك يا عمير؟» قال: قدمت في أسير عندكم تقاربونا فيه، قال: «فما بال السيف؟» قال:
قبحها الله من سيوف! وهل أغنت من شيء؟ إنّما أنسيته حين نزلت، وهو في

(1/204)

وابنان للفاكهي والوليد ... وأين هم من ابنه المجيد
رقبتي، فقال: «أصدق، ما أقدمك يا عمير؟» قال:
ما قدمت إلّا في أسيري، قال: «فما شرطت لصفوان في الحجر؟» ففزع عمير، فقال: ماذا شرطت؟!
قال له:
«تحملت له بقتلي على أن يقضي دينك، ويعول عيالك، والله حائل بينك وبين ذلك» قال عمير:
أشهد أنّك رسول الله، وإنّك صادق، وأسلم، فقال صلى الله عليه وسلم: «علّموا أخاكم القرآن،
وأطلقوا له أسيره» فعاد عمير إلى مكّة يدعو الناس إلى الإسلام، فأسلم بشر كثير) .
(وابنان) أحدهما (للفاكهي) وهو أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم (و)
الآخر ل (الوليد) وهو أبو قيس بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم.
فهؤلاء الخمسة قتلوا ببدر، ونزل فيهم من القرآن، كما ذكره ابن هشام: إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ

ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ قالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها فَأُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَساءَتْ مَصِيراً وذلك: أنّهم كانوا أسلموا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكّة، فلمّا هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.. حبسهم آباؤهم وعشائرهم بمكة، وفتنوهم فافتتنوا، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر، فأصيبوا جميعا.
قال في «حاشية الجلالين» : (وهل ماتوا عصاة، أو

(1/205)

سميّه وأخوي فرعونا ... شقيق او للأمّ ذاقا الهونا
كفارا؟ خلاف؛ لأنّ الهجرة كانت ركنا أو شرطا، قال الله تعالى: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا وهذا كان قبل الفتح، ثم نسخ بعده، والقاتل لهؤلاء الملائكة؛ لعلمهم بأنّ الله لم يقبل منهم الإسلام؛ لفقد شرطه وهو الهجرة، مع قدرتهم عليها، وليس التخلّف من أجل صيانة المال، والعيال عذرا، والمتبادر من ذلك أنّهم ماتوا كفارا) .

المستضعفون بمكّة حقا رضي الله عنهم:
(وأين هم) أي: هؤلاء الخمسة المستضعفون بالزعم الكاذب (من ابنه) أي: الوليد (المجيد سميّه) أي: الموافق له في الاسم، وهو الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، المستضعف حقا، أخو خالد بن الوليد، حضر بدرا مع المشركين فأسر، فافتداه أخواه هشام وخالد، ولمّا أسلم.. حبسه أخواله، فكان النّبيّ صلى الله عليه وسلم يدعو له في القنوت، كما ثبت في الصحيح، ثمّ أفلت من أسرهم، ولحق بالنّبيّ صلى الله عليه وسلم في عمرة القضية.
قال الحافظ: ذكر الزّبير بن بكار عن محمّد بن الضحّاك، عن أبيه: لما هاجر الوليد بن الوليد.. قالت أمّه:
قد هاجر الوليد ربع الساقه ... فاشتر منها جملا وناقه
واسم بنفس نحوهم توّاقه

(1/206)

سلمة عيّاش المستضعفين ... قنت لاستنقاذهم طه الأمين
وفي شعرها إشعار بأنّها أسلمت.
(وأخوي) بالتّثنية مجرورا بالعطف على (ابن) أي:
وأين أولئك الذين توفتهم الملائكة ظالمي أنفسهم من ابن الوليد ومن أخوي (فرعون) أبي جهل شقيقه، وهو سلمة بن هشام، ولأمه وهو: عياش بن أبي ربيعة؟ وهذا مراده بقوله:
(شقيق أو للأم ذاقا) أي: الأخوان (الهونا) بضم الهاء:

الهوان من مشركي مكّة.
وقوله: (سلمة) و (عياش) يعود على قوله: (شقيق أو للأم) ، على سبيل اللف والنشر المرتب، ثم وصف الثلاثة الوليد وسلمة وعياشا بقوله: (المستضعفين) أي: حقا فلأجل ذلك (قنت لاستنقاذهم) أي: خلوصهم من أيدي المشركين (طه) عليه الصّلاة والسّلام (الأمين) فكان يقول:
«اللهمّ؛ أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة.
وفي «صحيح البخاري» بسنده إلى أبي هريرة: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّي العشاء إذ قال: «سمع الله لمن حمده» ثمّ قال قبل أن يسجد: «اللهمّ؛ أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهمّ؛ أنج سلمة بن هشام، اللهمّ؛ أنج الوليد بن الوليد، اللهمّ؛ أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهمّ؛ اشدد وطأتك على مضر، اللهمّ؛ اجعلها عليهم سنين كسني يوسف» .

(1/207)

أمّا الوليد.. فإنّه أفلت من أسرهم، ولحق بالنّبي صلى الله عليه وسلم في عمرة القضية، ويقال: إنّه مشى على رجليه لما هرب وطلبوه، فلم يدركوه، ويقال: إنّه مات ببئر أبي عتبة على ميل من المدينة المنورة قبل أن يدخل المدينة، ذكر هذا في «الإصابة» .
وأمّا سلمة.. فقال ابن عبد البرّ: (ذكر الواقديّ: أنّه لما لحق بالنّبيّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة– وذلك بعد الخندق– قالت له أمّه ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن بشير:
لا همّ ربّ الكعبة المحرّمه ... أظهر على كلّ عدوّ سلمه
له يدان في الأمور المبهمه ... كفّ بها يعطي، وكفّ منعمه
فلم يزل سلمة مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم.. إلى أن توفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج مع المسلمين إلى الشام حين بعث أبو بكر رضي الله عنه الجيوش لقتال الروم، فقتل سلمة شهيدا بمرج الصّفّر، في المحرم، سنة أربع عشرة، وذلك في أوّل خلافة عمر رضي الله عنه) .
وأمّا عيّاش بن أبي ربيعة.. فقال في «روض النّهاة» :
(لمّا أفلت الوليد منهم.. دخل مكّة ليلا، فلم يزل يتجسّس الأخبار عن صاحبيه عياش وسلمة بن هشام.. حتى لقي امرأة تحمل طعاما، فقال: أين تريدين يا أمة الله؟ قالت: أريد

(1/208)

واستشهدت ستّ من المهاجرين ... عبيدة المذكور في المبارزين
هذين المعذّبين– تعني عياشا وسلمة– فتبعها حتى عرف مكانهما، فأخرجهما من الحبس، فكسر القيد) .
وذكر الحافظ أبو عمر عن ابن سعد: أنّ عيّاشا قتل يوم اليرموك.

تنبيه:
الأصح– كما يستفاد من «الإستيعاب» وغيره–: أنّ أم سلمة بن هشام، ضباعة بنت عامر بن قرط بن قيس، من بني عامر بن صعصعة القائلة:
اليوم يبدو بعضه أو كلّه ... وما بدا منه فلا أحلّه
.. لا أمّ أبي جهل أسماء بنت مخرمة.
فعليه: لا يكون سلمة شقيقا لفرعون الأمة أبي جهل، ويتأيد بما في بعض نسخ النظم الصحيحة، من قوله: (للأب أو للأم ذاقا الهونا) .

شهداء بدر من المهاجرين والأنصار:
ثمّ لما كان جملة من استشهد يوم بدر أربعة عشر رجلا..
أراد أن يبيّن عدد المهاجرين منهم، وعدد الأنصار رضي الله عنهم أجمعين فقال:
(واستشهدت ستّ من المهاجرين) الأول: (عبيدة) بن الحارث بن المطّلب (المذكور في) عدد الثلاث (المبارزين)

ثمّ عمير بن أبي وقّاص ... وابن البكير عاقل ألشّاصي
وذو الشّمالين ومهجع عمر ... صفوان بيضاء الّذي بها اشتهر
لثلاثة من قريش أبناء عمهم، ضربه عتبة بن ربيعة، فقطع رجله، فمات بالصفراء.
(ثمّ) الثّاني: (عمير) بالتصغير (بن أبي وقاص) بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، ذكر الواقديّ كما في «الروض» : (أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم كان قد ردّه في ذلك اليوم؛ لأنّه استصغره، فبكى عمير، فلمّا رأى النّبيّ صلى الله عليه وسلم بكاءه.. أذن له في الخروج معه، فقتل وهو ابن ستّ عشرة سنة، قتله العاص بن سعيد) .
(و) الثّالث: (ابن البكير) بوزن الزّبير، واسمه:
(عاقل) والبكير: هو ابن عبد ياليل الليثي، حليف بني عديّ بن كعب، وكان عاقل من السابقين الأوّلين.
قال الحافظ: (شهد بدرا هو وإخوته إياس، وخالد، وعامر، واستشهد عاقل ببدر) قاله موسى بن عقبة، وابن إسحاق، وغيرهما.
وقوله: (الشاصي) أي: الميت، يقال: شصى الميت شصيّا: ارتفعت يداه ورجلاه.
(و) الرابع: (ذو الشمالين) عمير بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي، حليف بني زهرة، وهو غير ذي اليدين الخرباق بن عبد عمرو السّلمي، صاحب حديث: (أقصرت

واثنان للأوس ابن عبد المنذر ... مبشّر سعد ابن خيثم الجري

الصلاة؟) ؛ لأنّ ذا الشمالين استشهد ببدر، وحديث السهو حضره أبو هريرة، وإسلامه تأخر عن بدر بست سنين.

(و) الخامس: (مهجع) بوزن منبر مولى عمر بن الخطاب؛ فلذا أضافه إلى قوله: (عمر) .

قال ابن إسحاق: (وقد رمي مهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل، فكان أول قتيل من المسلمين، رضي الله عنه) .

وقال السهيلي: (أول قتيل من المسلمين حارثة بن سراقة) .

والسادس: (صفوان بيضاء) بحذف حرف العطف (الذي بها) أي: بيضاء أمّه؛ أي: بالنسبة إليها، يتعلق بقوله: (اشتهر) فقيل: صفوان بن بيضاء؛ يعني: إنّما نسب لأمّه لذلك، لا لكونه لا يعرف له أب، وإلّا.. فأبوه كما في «الإستيعاب» – وهب بن ربيعة، وأخواه سهل وسهيل ابنا وهب، المعروفون ببني البيضاء، أمّا سهيل..

فهاجر الهجرة الأولى إلى الحبشة، وشهد بدرا مع صفوان، وأمّا سهل.. فتأخّر إسلامه عن بدر، واسم أمهم البيضاء دعد.

(واثنان) ممّن شهد بدرا منسوبان (للأوس) :

الأوّل: (ابن عبد المنذر) واسمه: (مبشر) من بني عمرو بن عوف.

وستّة الخزرج هم يزيد ... عوف معوّذ أخوه الصّيد

والثاني: (سعد بن خيثم) «1» بوزن جعفر، من بني عمرو بن عوف أيضا، وحذفت التاء من خيثم للضرورة (الجري) الشجاع، تتميم حذفت منه الهمزة للوزن.

(وستة الخزرج هم يزيد) بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الحارث بن الخزرج، قتله طعيمة بن عدي، والثّاني منهم: (عوف) .

والثّالث: (معوذ) بفتح الواو المشددة (أخوه) لأنّهما ابنا الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار، وأخوه معاذ أيضا، قال أبو عمر: (وسمى بعضهم عوفا عوذا بالذال، وعوف أكثر) كذا قال، وذكر في «الإصابة» عن ابن إسحاق: (حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، قال: لمّا التقى الناس يوم بدر، قال عوف بن عفراء:

يا رسول الله؛ ما يضحك الربّ من عبده؟ قال: «أن يراه قد غمس يده في العدوّ حاسرا» فنزع عوف درعه، وتقدم فقاتل، حتى قتل شهيدا، رضي الله عنه) .

وقوله: (الصّيد) جمع أصيد: وهو اسم من أسماء السبع، شبههم به لشجاعتهم.

---

(1) قال الحافظ: (يكنى أبا خيثمة، وكان أحد النقباء بالعقبة، ذكره ابن إسحاق وغيره) وقال ابن إسحاق في «المغازي» : (نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء على كلثوم بن الهدم، وكان إذا

خرج من منزله.. جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة، وكان يقال له: بيت العزاب، واختلف في قاتله، فقيل: طعيمة، وقيل: غيره) اهـ

(1/212)

حارثة وابن المعلّى رافع ... ثمّ عمير بن الحمام النّازع

والرابع: (حارثة) بن سراقة بن الحارث بن عديّ بن مالك بن عامر بن غنم بن عديّ بن النجار. قال في «الإستيعاب» : (رماه حبان بن العرقة بسهم، وهو يشرب من الحوض، وكان خرج نظارا، فأصاب حنجرته فمات وجاءت أمه الرّبيع– بالتصغير– بنت النضر، عمة أنس بن مالك فقالت: يا رسول الله؛ قد علمت موضع حارثة مني، فإن يكن في الجنة.. أصبر، وأحتسب، وإن يكن غير ذلك.. فسترى ما أصنع، فقال: «أو جنّة واحدة هي؟! إنّما هي جنات، وإنّ ابنك فيها لفي الفردوس») .

قال الناظم في «عمود النسب» :

حارثة البرّ «1» رأى جبريلا ... مع النبيّ ووعى ترتيلا

---

(1) قوله: (البر) كذلك سماه صلى الله عليه وسلم، فروى النسائي من طريق الزّهري عن عروة عن عائشة عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: دخلت الجنة فسمعت قراءة، فقلت: «من هذا؟» فقيل: حارثة بن النّعمان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذلك البر» وكان برا بأمّه. وقال في «الإصابة» : (روى الإمام أحمد، والطبراني من طريق الزّهري، أخبرني عبد الله بن عامر عن حارثة بن النعمان قال: مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل جالس في المقاعد، فسلمت عليه، فلمّا رجعت.. قال: «هل رأيت الذي كان معي» قلت: نعم، قال: «فإنّه جبريل وقد ردّ عليك السّلام» إسناده صحيح) . وذكره موسى بن عقبة، وابن سعد فيمن شهد بدرا، فقيل: إنّه توفي في خلافة معاوية كما ذكره في «الإستيعاب» عن خليفة، ولم يذكره الناظم هنا؛ وإنّما ذكرته للتنبيه على أنّه بصري، وأنّه غير ابن سراقة، ولكون الناظم في «عمود النسب» ربط بينهما. اهـ

(1/213)

في جنة الخلد له النبيّ ... وهكذا سمّيه الأبيّ

حارثة القتيل بعد مهجع ... وأمّه عليه ذات جزع

(و) الخامس: (ابن المعلّى) بن لوذان بن حارثة بن عديّ بن زيد بن ثعلبة بن زيد مناة بن حبيب بن عبد بن حارثة بن مالك بن عضب بن جشم بن الخزرج، واسمه:

(رافع) قتله عكرمة.

(ثمّ) السادس: (عمير) بالتصغير (بن الحمام) بوزن غراب، كما في «الإصابة» وبوزن سحاب كما في «روض النهاة» والميم مخففة على كل، وهو ابن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب

بن سلمة الأنصاريّ، السلمي، قتله خالد بن الأعلم.
قال ابن إسحاق: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«والذي نفسي بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا، محتسبا، مقبلا غير مدبر.. إلّا أدخله الله الجنة» فقال عمير أخو بني سلمة وفي يده تمرات يأكلهنّ: بخ بخ، فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلّا أن يقتلني هؤلاء، فقذف التمر من يده، وأخذ سيفه، فقاتل حتى قتل وهو يقول:
ركضا إلى الله بغير زاد ... إلّا التّقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد»

(1/214)

لربّه وهو يقول أفما ... بيني وبين جنّة إلّا الحما
وإلى هذا أشار بقوله: (النازع) أي: المشتاق (لربه) عزّ وجلّ (وهو يقول: أفما بيني وبين جنة إلّا الحما) بكسر الحاء؛ أي: الموت.

تنبيه:
في حديث «الصحيحين» : أنّ هذه القصة كانت أيضا يوم أحد، لكن لم يسمّ فيها عمير ولا غيره، فالله أعلم، كذا في «الروض» للسهيلي، قال في «الفتح» : (الذي يظهر أنّهما قصتان وقعتا لرجلين) والله أعلم.

تكملة:
علم ممّا تقدم: أنّ عدد الشهداء البدريّين أربعة عشر، واقتصر الناظم عليهم، ولم يذكر أسماء من حضر بدرا، غير من استشهد فيها، وقد استوفى ذلك كلّه اليعمريّ في «العيون» ومن قبله ابن إسحاق، وسرد أسماء من شهدها من المهاجرين، ثمّ من الأنصار ثمّ قال: فجميع من شهد بدرا من المهاجرين والأنصار من شهدها، ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلاث مئة رجل وأربعة عشر رجلا، من المهاجرين ثلاثة وثمانون، ومن الأوس أحد وستون، ومن الخزرج مئة وسبعون رجلا، وقد سردهم الحافظ ابن كثير في «البداية» مبتدأ بسيدهم وسيد ولد آدم سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم مرتبا على حروف المعجم فانظره.

(1/215)

التبشير بنصر الله للمؤمنين وهزيمة المشركين:
ولما فرغ المسلمون من بدر.. قدم زيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهما إلى المدينة مبشّرين بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونصره، وهزيمة المشركين، فتلقى الناس بالروحاء

«1» رسول الله صلى الله عليه وسلم مهنّئين له بالفتح والنصر، فدخلها منصورا، مؤيّدا، مظفرا، أعلى الله كلمته، ومكّن له، وذلك من ثنيّة الوداع يوم الأربعاء، الثّاني والعشرين من رمضان، وتلقاه الولائد بالدفوف ينشدن:

طلع البدر علينا ... من ثنيّات الوداع

وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع

وتهيّأ لسيدنا عمير بن عدي الأنصاري الخطمي أن يفي بنذره فقد ذكر المقريزي في «إمتاع الأسماع» : (إنّ عصماء بنت مروان كانت تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحرض على النّبيّ صلى الله عليه وسلم، فنذر عمير بن عدي: لئن ردّ الله رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر إلى المدينة.. ليقتلنّها، فلمّا رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(1) الروحاء: هي المعروفة اليوم ببئر الراحة.

من بدر إلى المدينة جاءها عمير ليلا حتى دخل عليها بيتها، وحولها نفر من ولدها نيام منهم من ترضعه في صدرها، فجسّها بيده، وكان ضرير البصر، ونحّى الصبي عنها ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها، وأتى وصلّى الصبح مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم، فلمّا انصرف.. نظر إليه وقال: «أقتلت ابنة مروان؟» قال: نعم يا رسول الله، قال:

«نصرت الله ورسوله يا عمير» فقال: هل عليّ شيء من شأنها يا رسول الله؟ فقال: «لا ينتطح فيها عنزان «1» » فكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال لأصحابه: «إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله بالغيب.. فانظروا إلى عمير بن عدي» فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: انظروا إلى هذا الأعمى الذي تشرّى «2» في طاعة الله تعالى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«لا تقل الأعمى، ولكنه البصير» فلمّا رجع عمير.. وجد بنيها في جماعة يدفنونها، فقالوا: يا عمير؛ أنت قتلتها؟

قال: نعم، فكيدوني جميعا ثمّ لا تنظرون، فوالّذي نفسي بيده؛ لو قلتم بأجمعكم ما قالت.. لضربتكم بسيفي هذا حتى أموت أو أقتلكم، فيومئذ ظهر الإسلام في بني خطمة) .

---

(1) أي: لا يعارض فيها معارض.

(2) أي: باع نفسه في طاعة الله تعالى.

فلسليم فلقينقاع ... المتصدّين إلى القراع

(6) غزوة بني سليم

(ف) بعد أن انتهى صلى الله عليه وسلم والصحب الكرام من بدر بسبع ليال، كما جزم به ابن إسحاق.. خرج (لسليم) بضم المهملة، وفتح اللام، في مئتي رجل؛ لما بلغه صلى الله عليه وسلم: أنّ جمعا من بني سليم وغطفان، بماء يقال له:

(الكدر) بضم الكاف وسكون المهملة، فأقام عليه- عليه الصّلاة والسّلام- ثلاثا، فلم يلق كيدا، وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة، وحمل اللّواء علي بن أبي طالب.

تنبيه:

جعل الناظم غزوة بني سليم غير غزوة قرقرة الكدر؛ لما سيأتي فهما غزوتان، تبعا لأصله «العيون» وجعلهما صاحب «المواهب» غزوة واحدة، وتبعه تلميذه الشامي.

(7) غزوة بني قينقاع

(ف) - بعدها خرج صلى الله عليه وسلم يوم السبت في نصف شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة (ل) قتال بني (قينقاع) بفتح القافين وسكون التحتية وتثليث النون، والضم أشهر: بطن من يهود المدينة، وهم رهط سيدنا عبد الله بن

هم كشفوا إزارها عن مسلمه ... فهاج حرب بينهم والمسلمه

سلام رضي الله عنه، قال السمهودي في «الوفاء» : (منازلهم عند جسر بطحان ممّا يلي العالية، ولهم شجاعة) ولذا وصفهم بقوله: (المتصدّين) أي: المتعرضين (إلى القراع) بكسر القاف؛ أي: المقارعة والمضاربة.

قال في «القاموس» : (قرع رأسه بالعصا: ضربه) .

سبب هذه الغزوة:

وسبب ذلك: نقضهم العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقد روى ابن هشام: (أنّ امرأة من العرب قدمت بجلب لها من إبل، وغنم، وغيرهما فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ يهوديّ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها، فعقده إلى ظهرها، فلمّا قامت.. انكشفت سوءتها، فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديا، فشدّت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم على اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشرّ بينهم وبين بني قينقاع) .

وهذا هو مراد الناظم بقوله: (هم) أي: يهود بني قينقاع (كشفوا إزارها) أي: المسلمة، فالضمير يعود على المجرور في قوله: (عن) امرأة (مسلمة) المتعلّق مع جاره بقوله:
(كشفوا) .

(1/219)

(فهاج حرب بينهم) أي: اليهود (و) بين (المسلمة) أي: المسلمين، وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم «ما على هذا أقررناهم» .

براءة عبادة بن الصامت من حلفهم:
وتبرّأ عبادة بن الصامت من حلفهم، وكان أحد بني عمرو بن عوف لهم من حلفه، مثل الذي لهم من عبد الله بن أبيّ، فخلفهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله؛ أتولّى الله ورسوله، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار، وتشبّث به عبد الله بن أبيّ ابن سلول، وقام دونهم، وفيه نزلت: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ* فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلى ما أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نادِمِينَ إلى فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ.
فجمعهم صلى الله عليه وسلم، وقال لهم: «يا معشر يهود؛ احذروا من الله مثل ما أنزل بقريش من النقمة– أي:
ببدر– وأسلموا؛ فإنّكم قد عرفتم أنّي نبيّ مرسل، تجدون ذلك في كتابكم، وعهد الله تعالى إليكم» قالوا: يا محمّد؛ إنّك ترى أنا مثل قومك، ولا يغرّنّك أنّك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنّا والله لو حاربناك لتعلمنّ أنا نحن الناس.

(1/220)

فتحصنوا في حصونهم، فسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولواءه بيد عمه حمزة رضي الله عنه، واستخلف على المدينة أبا لبابة، وحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار، وكانوا أربع مئة حاسر، وثلاث مئة دارع «1» ، حتى نزلوا على حكمه.
قال ابن إسحاق: (فقام عبد الله بن أبيّ ابن سلول حين أمكن الله رسوله منهم، فقال: يا محمّد؛ أحسن في مواليّ وكانوا حلفاء الخزرج– فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمّد؛ أحسن في مواليّ فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرسلني» وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى رأوا لوجهه ظلالا «2» ، قال: «ويحك! أرسلني» قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في مواليّ أربع مئة حاسر

وثلاث مئة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة، إنّي والله امرؤ أخشى الدوائر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هم لك») .

---

(1) الحاسر: الذي لا درع له، والدارع: الذي له درع.
(2) هكذا في نسخة الشيخ مصححا عليه، وفي غيرها: ظللا جمع ظلة، وقد تجمع فعلة على فعال، كبرمة وبرام، فمعنى الروايتين واحد، والظلة: ما حجب عنك ضوء الشمس وصحو السماء، وكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مشرقا بسّاما، فإذا غضب.. تلون ألوانا، فكانت حائلة دون الإشراق والضياء المنتشر عند تبسّمه صلى الله عليه وسلم. اهـ قاله السهيلي في «الروض الأنف»

(1/221)

لو آمنت من اليهود كلّها ... زهاء عشرة اهتدوا لأجلها

إصرار اليهود على الكفر، وعداوة المسلمين:
(لو آمنت) برسول الله، وبما جاء به من عند الله (من اليهود كلّها) بالمدينة (زهاء) بضم الزاي؛ أي: قدر (عشرة) بسكون الشّين للوزن؛ أي: من رؤسائهم، أو من أحبارهم، كما قاله الإمام النووي في «شرحه صحيح مسلم» ، وإلّا.. فإنّه آمن من اليهود أكثر من هذا العدد على عهده عليه الصّلاة والسّلام (اهتدوا) أي: اهتدى كل اليهود إلى الدخول في دين الله (لأجلها) أي: العشرة المذكورين.
يشير الناظم بهذا إلى ما رواه الشيخان– واللفظ للبخاري– عن أبي هريرة مرفوعا: «لو آمن بي عشرة من اليهود.. لآمن بي اليهود» .
قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» نقلا عمّا أخرجه ابن سعد في «شرف المصطفى» : (قال كعب: هم الذين سمّاهم الله في سورة المائدة، فعلى هذا فالمراد عشرة مختصة، وإلّا.. فقد آمن به أكثر من عشرة، ثمّ قال: والّذي يظهر أنّهم الذين كانوا حينئذ رؤساء في اليهود، ومن عداهم كان تبعا لهم، فلم يسلم منهم إلّا القليل، كعبد الله بن سلام رضي الله عنه.
وكان من المشهورين بالرياسة في اليهود عند قدوم النّبيّ صلى الله عليه وسلم المدينة من بني النضير: أبو ياسر بن أخطب، وأخوه حييّ بن أخطب، وكعب بن الأشرف، ورافع بن أبي الحقيق.

(1/222)

ومن بني قينقاع: عبد الله بن حنيف، وفنحاص، ورفاعة بن زيد.
ومن بني قريظة: الزّبير بن باطا، وكعب بن أسد، وشمويل بن زيد، فهؤلاء لم يثبت إسلام أحد منهم، وكان كل واحد منهم رئيسا في اليهود، ولو أسلم.. لاتّبعه جماعة منهم، فيحتمل أن يكونوا المراد.
وقد روى أبو نعيم في «الدلائل» من وجه آخر الحديث بلفظ: «لو آمن بي الزّبير بن باطا، وذووه من

رؤساء يهود..
لأسلموا كلهم» اهـ منه
ثمّ قال: وأخرج يحيى بن سلام في «تفسيره» من وجه آخر عن محمّد بن سيرين، عن أبي هريرة هذا الحديث فقال:
(قال كعب: إنّما الحديث اثنا عشر؛ لقول الله تعالى:
وَبَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً، فسكت أبو هريرة، قال ابن سيرين: أبو هريرة عندنا أولى من كعب، قال يحيى بن سلام: وكعب أيضا صدوق؛ لأنّ المعنى عشرة بعد الاثنين، وهما عبد الله بن سلام، ومخيريق كذا قاله) اهـ

فساد طبيعة اليهود، وإفسادهم، ووعيد الله لهم:
والحاصل:
أنّ رسول الله عليه الصّلاة والسّلام أفادنا بذلك اليأس من إيمان اليهود كلهم، وأنّه لم يبلغ من آمن منهم؛ أي: من

عادوا للافساد فعاد الله ... وقينقاع العمّه العزاه
رؤسائهم مبلغ العشرة، وقد عرف من عادة اليهود في معاملتهم المكر، ونقض العهد، والإصرار على العناد والباطل، وتحريف ما أنزل الله على أنبيائهم ورسلهم، وتكذيب الأنبياء صلى الله عليهم وسلم، وقتلهم بغير حق، والإفساد في الأرض، كما قال الناظم:
(عادوا للافساد) بمقتضى اتصافهم بهذه الصفات الذميمة فأصرّوا على الكفر، وإظهار آثاره؛
فلذلك: عاملهم الله تعالى بالمثل، بمقتضى العدل، كما قال الناظم:
(فعاد الله) مشيرا إلى قوله تعالى في (سورة الإسراء) :
وَقَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً. فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَكانَ وَعْداً مَفْعُولًا. ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً. إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً. عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنا وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً.
قال الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير في تفسير هذه الآيات: (يخبر تعالى: أنّه قضى إلى بني إسرائيل في الكتاب؛ أي: تقدم إليهم، وأخبرهم في الكتاب الذي أنزله عليهم، أنّهم سيفسدون في الأرض مرتين، ويعلون علوّا

كبيرا؛ أي: يتجبّرون ويطغون ويفجرون على الناس.
وقوله: فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما أي: أولى الإفسادتين بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ أي: سلّطنا عليكم جندا من خلقنا اولي بأس شديد؛ أي: قوة وعدّة، وسلطة شديدة، فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ أي: تملّكوا بلادكم، وسلكوا خلال بيوتكم؛ أي: بينها ووسطها، وانصرفوا ذاهبين وجائين، لا يخافون أحدا، وكان وعدا مفعولا.
واختلفوا في هؤلاء المسلّطين عليهم: فقيل: جالوت وجنوده، سلّط عليهم أولا، ثمّ اديلوا عليه بعد ذلك، وقتل داود جالوت؛ ولهذا قال: ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وقيل: سنحاريب وجنوده، وقيل: بختنصّر ملك بابل، ثم قال: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها أي:
فعليها، كما قال تعالى: مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَساءَ فَعَلَيْها وقوله: فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ أي: الكرّة الآخرة؛ أي: إذا أفسدتم الكرّة الثّانية، وجاء أعداؤكم لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ أي يهينوكم، ويقهروكم، وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ أي: بيت المقدس كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ أي: في التي جاسوا فيها خلال الديار وَلِيُتَبِّرُوا أي: يدمّروا ويخرّبوا ما عَلَوْا أي ما ظهروا عليه تَتْبِيراً* عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ فيصرفهم عنكم وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنا أي: متى عدتم إلى الإفساد عدنا إلى الإدالة عليكم في الدنيا، مع ما ندّخره لكم في الآخرة

أوّل من غدر من يهودا ... وابن أبيّ سأل القرودا
من العذاب والنكال؛ ولهذا قال: وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً أي: مستقرّا، محصرا، وسجنا لا محيد لهم عنه.
قال قتادة: قد عاد بنو إسرائيل، فسلّط الله عليهم هذا الحيّ، محمّدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه، يأخذون منهم الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صاغِرُونَ) اهـ

بنو قينقاع أول من غدر من اليهود:

(وقينقاع) من يهود المدينة (العمّه) بضم العين وتشديد الميم المفتوحة، جمع عمه: بكسر الميم المخففة وعامه، وهو المتحيّر في أودية الضلال، لا يعرف له جهة (العزاه) جمع عزه بالكسر وككتف: اللئيم، صفة ثانية لقينقاع الواقع مبتدأ، وخبره قوله: (أوّل من غدر من يهودا) وذلك بعد كتاب النّبيّ صلى الله عليه وسلم الذي كتبه بينه وبينهم، يؤمنهم فيه على أنفسهم وأهليهم وأموالهم، وقوله عليه الصّلاة والسّلام لهم وهم مجتمعون بسوق بني قينقاع كما تقدم:
«يا معشر يهود؛ احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النّقمة، وأسلموا، فإنّكم قد عرفتم أنّي نبيّ مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم» وإجابتهم بما تقدم ذكره عنهم قبّحهم الله.
قال الحافظ اليعمري في «عيون الأثر» عن ابن إسحاق:

(فحدّثني مولى لآل زيد بن ثابت، عن سعيد بن جبير، أو عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ما نزل هؤلاء الآيات إلّا فيهم:

(1/226)

نبيّنا وهم أسارى سطوته ... فأطلقوا وطردوا من طيبته
قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهادُ. قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتا أي: أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش فِئَةٌ تُقاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرى كافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشاءُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ.
قال: وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة: أنّهم كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحاربوا فيما بين بدر وأحد، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتّى نزلوا على حكمه) اهـ

إلحاح رئيس المنافقين في إطلاق بني قينقاع:
(و) عبد الله (ابن أبيّ) ابن سلول– هذه أمه، وأبوه أبيّ، ولذلك يكتب (ابن سلول) بالألف وإن كان بين علمين؛ لأنّ سلول لم يكن أبا لأبيّ، كما قرّر ذلك في محله– (سأل القرودا) أي: سأل عبد الله المذكور لأجل القرود إخوانه بني قينقاع، سمّاهم قرودا جمع قرد؛ لأنّه أخسّ الحيوانات وأقبحها؛ أو لأنّ طائفة من بني إسرائيل إخوانهم مسخوا قردة، قال تعالى: فَقُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ، وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنازِيرَ.
(نبيّنا) صلى الله عليه وسلم مفعول سأل (وهم) أي:
والحال أنّ أولئك اليهود (أسارى) بضم الهمزة، جمع أسير (سطوته) وقهره؛ أي: سأله أن يطلقهم له من الأسر، وكان

(1/227)

عرف من عاداته صلى الله عليه وسلم: أنّه لا يسأل شيئا إلّا أعطاه (فأطلقوا وطردوا من طيبته) إلى أذرعات، وقال عليه الصّلاة والسّلام: «خلّوهم له، لعنهم الله ولعنه معهم» وتركهم من القتل، وأمر أن يجلوا من المدينة، وتولى ذلك عبادة بن الصامت، فلحقوا بأذرعات، فما كان أقل بقاءهم بها.

فائدة: طيبة: اسم من أسماء المدينة المنوّرة،
سميت بذلك لكمال المناسبة بين الاسم والمسمّى، وقد أخبر عليه الصّلاة والسّلام بأنّه ينصع طيبها وتنفي الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد، والمشاهدة لمن نوّر الله بصيرته أكبر شاهد على ذلك، ولقد صدق والله القائل حيث يقول:

بطيبة عرّج إنّ بين قبابها ... حبيبا لأدواء القلوب طبيب
إذا لم تطب في طيبة عند طيب ... به طيبة طابت فأين تطيب؟
عزاه أبو سالم العياشي في «رحلته» إلى الشيخ إبراهيم بن الشيخ خير الدين، من علماء المدينة المنوّرة الذين أخذ عنهم، قال العياشي: وقد تطفلت عليه في ذلك فقلت:
بطيبة طاب الطيّبون لطيبها ... بأطيب طيب طيّب لمطيّب

(1/228)

وفي بعض الأخبار عن كعب الأحبار قال: (إنّا نجد في التوراة: يقول الله للمدينة: «يا طيبة، يا طابة، يا مسكينة؛ لا تقبلي الكنوز، ارفعي أجاجيرك على أجاجير القرى») «1» .
وكانت تسمى قبل ذلك بيثرب، اسم رجل من العماليق أول ما نزلها؛ ولما في هذا الاسم من التثريب نهى الشارع عن هذه التسمية؛ إذ لا يليق بها ذلك.
وأمّا قوله تعالى في (سورة الأحزاب) : وَإِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ.. فذلك حكاية عن طائفة من المنافقين قالت: يا أهل يثرب؛ لا مقام لكم، فنبه بما حكى عنهم، أنّهم قد رغبوا عن اسم سمّاها الله به، وأبوا إلّا ما كانوا عليه في جاهليتهم، والله تعالى سمّاها المدينة، فقال غير حاك عن أحد: ما كانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرابِ الآية.
وقد ذكر العلّامة البركة العارف بالله عزّ وجلّ، الشيخ محمّد بن عبد رب النبيّ الأنصاري القشاشيّ كثيرا من أسماء المدينة، في مؤلّفه المسمى «الدرّة الثمينة فيما لزائر المدينة» فانظره.

---

(1) جمع إجار، بكسر الهمزة فتشديد الجيم بلغة أهل الشام والحجاز: هو سطح ليس حواليه ما يرد الساقط عنه، وفي الحديث: «من بات على إجار.. فقد برئت منه الذمة» وفي حديث محمّد بن مسلمة: (فإذا جارية من الأنصار على إجار لهم) اهـ «نهاية»

(1/229)

ومنهم الشّاهد عبد الله ... نجل سلام العظيم الجاه

إسلام عبد الله بن سلام:
(ومنهم) من يهود بني قينقاع (الشاهد) المعنيّ في الآية الآتية (عبد الله نجل) أي: (سلام) بتخفيف اللام، ابن الحارث الإسرائيلي، ثمّ الأنصاريّ الخزرجيّ (العظيم الجاه) والقدر.
قال الإمام النوويّ في «التهذيب» : (وهو من ولد يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم، وكان اسمه في الجاهلية حصينا، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم: عبد الله، أسلم أول قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك: أنّه لمّا بلغه مقدم النّبيّ صلى الله عليه

وسلم المدينة.. أتاه يسأله عن أشياء، فقال: إنّي سائلك عن ثلاث لا يعلمهنّ إلّا نبيّ: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه، أو إلى أمّه؟ قال: «أخبرني بها جبريل آنفا» قال ابن سلام: ذلك عدوّ اليهود من الملائكة، قال: «أمّا أول أشراط الساعة:
فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأمّا أول طعام يأكله أهل الجنة: فزائد كبد الحوت، وأمّا الولد: فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة.. نزع الولد «1» ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل.. نزعت الولد» قال: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّك رسول الله، قال: يا رسول الله؛ إنّ اليهود قوم

---

(1) بالنصب على المفعولية؛ أي: جذبه إليه.

بهت «1» ، فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي، فجاءت اليهود، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أيّ رجل عبد الله بن سلام فيكم؟» قالوا؛ خيرنا، وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا، فقال النّبيّ صلى الله عليه وسلم:
«أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟» قالوا: أعاذه الله من ذلك، فأعاد عليهم، فقالوا: مثل ذلك.
فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّدا رسول الله.
قالوا: شرّنا وابن شرّنا، وتنقّصوه، قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله) هكذا رواه الإمام البخاريّ في «صحيحه» في (باب هجرته عليه الصّلاة والسّلام وأصحابه إلى المدينة) .
ووصفه الناظم بعظم الجاه والمنزلة؛ لأنّه كان كذلك في قومه، وبعد إسلامه عند المسلمين أيضا، ونزل في فضله قوله تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، وقوله تعالى: قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ.
قال في «التهذيب» : (روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وعشرون حديثا، اتفقا على حديث، وانفرد البخاريّ بآخر، روى عنه ابناه محمّد، ويوسف، وروى عنه

---

(1) بضم الباء الموحدة والهاء، ويجوز إسكانها على القاعدة المعروفة، جمع: بهيت، كقليب وقلب، وقضيب وقضب: وهو الذي يبهت السامع بما يفتري عليه من الكذب.

فغزوة السّويق في إثر أبي ... سفيان أن حرّق نخل يثرب
أيضا أبو هريرة، وأنس، وعبد الله بن مغفّل المزني، وكذا جماعات من التابعين، وشهد مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح بيت المقدس والجابية.

روينا في صحيحي «البخاريّ» و «مسلم» عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحيّ يمشي على الأرض: «إنّه من أهل الجنة» إلّا لعبد الله بن سلام، قال: وفيه نزلت وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ الآية.
وتوفي سنة (43) بالمدينة المنوّرة، ومناقبه كثيرة مشهورة) .

(8) غزوة السويق

السويق: هو قمح أو شعير يقلى، ثم يطحن، فيتزود به ملتوتا بماء أو سمن أو عسل، سميت الغزوة بذلك لما سيأتي، وكانت في ذي الحجة، يوم الأحد لخمس خلون منها، على رأس اثنين وعشرين شهرا من الهجرة، فهي بعد غزوة بني قينقاع؛ فلذلك قال: (فغزوة السويق) .
خرج صلى الله عليه وسلم في مئتين من المهاجرين والأنصار (في إثر) بكسر الهمزة (أبي سفيان) ومعه مئتان من قريش، واستخلف على المدينة أبا لبابة بشير بن عبد المنذر

وغال نفسين وكان آلى ... لا يقرب النّساء أو ينالا
(أن) بفتح الهمزة؛ أي: لأجل أنّه (حرق) بالتخفيف للراء، وبالتشديد مبالغة، وضميره يعود على أبي سفيان (نخل يثرب، وغال) أي: قتل (نفسين) على حين غفلة، أحدهما: معبد بن عمرو من الأنصار، كما حكاه الشاميّ عن «الإمتاع» ، ولما فعل ذلك أبو سفيان.. رأى أن قد انحلت يمينه (وكان آلى) من الإيلاء؛ أي: حلف أنّه (لا يقرب النساء) كناية عن عدم وطئهنّ (أو) أي: حتى (ينالا) غرضه من الأخذ بثأر المشركين الذين قتلوا ببدر، والألف للإطلاق.
وهذا الذي في النظم لازم قول أبي سفيان، كما في «ابن إسحاق» قال: (لما رجع أبو سفيان إلى مكّة، ورجع فلّ «1» قريش من بدر.. نذر ألّا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمّدا صلى الله عليه وسلم، فخرج في مئتي راكب من قريش، ليبرّ يمينه، فسلك النجديّة حتى نزل بصدر قناة «2» ، إلى جبل يقال له: نيب «3» من المدينة على بريد أو نحوه، ثمّ

---

(1) بفاء مفتوحة، فلام مشددة: القوم المنهزمون.
(2) بفتح القاف وخفة النون: واد بالمدينة.
(3) قال الزرقاني: (بنون فتحتية فموحدة، قال البرهان: كذا في نسخة– أي: من «العيون» وأصولها– ولم أره، فلعلّه تصحيف ينيب بفتح التحتية، بوزن يغيب: جبل بالمدينة، ذكره في «القاموس» أوتيت بفوقيتين أولاهما مفتوحة بينهما تحتية ساكنة أو مشددة، كميت وميت: جبل قرب المدينة، ذكره في «الذيل» و «القاموس») اهـ ملخصا والذي يظهر: أنّ ذا الأخير هو المراد بقوله: (على بريد ونحوه من المدينة) لأنّ الرسم لا يخالفه، ينيب الذي بزنة يغيب. اهـ

وكان يلقي جرب السّويق ... مخافة اللّحوق في الطّريق

خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل، فأتى حييّ بن أخطب، فضرب عليه بابه فخافه، ولم يفتح له الباب، فانصرف عنه إلى سلّام بن مشكم، وكان سيّد بني النضير في زمانه ذلك، وصاحب كنزهم، فاستأذن عليه، فأذن له، فقراه وسقاه، وبطن له من خبر الناس، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه، فبعث رجالا من قريش إلى المدينة، فأتوا ناحية منهم يقال لها: العريض «1» ، فحرقوا في أصوار «2» من نخل بها ووجدوا بها رجلا من الأنصار، وحليفا له في حرث لهما، فقتلوهما، ثمّ انصرفوا راجعين، ونذر «3» بهم الناس؛ أي: علموا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم) .

(وكان) أبو سفيان حين انصرف راجعا لمكّة (يلقي) أي: يطرح بالأرض (جرب السويق) بضمّتين: جمع جراب ككتاب وكتب: الوعاء، وكان ذلك عامة أزوادهم؛ وإنّما فعل ذلك (مخافة) أي: لأجل خوف (اللحوق) أي: أن يلحقه (في الطريق) من نصر بالرعب صلى الله عليه وسلم، فأخذها المسلمون.

---

(1) بزنة حسين مصغرا: واد بالمدينة.

(2) جمع صور: نخل مجتمع.

(3) بفتح النون وكسر الذال المعجمة.

فسمّيت بذاك ثمّ بعدها ... قرقرة الكدر لقوم عندها

(فسمّيت) الغزوة من أجل هذا (بذاك) أي: بغزوة السّويق، فرجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وصلّى صلاة الأضحى بالمصلّى، وضحّى، وهو أول عيد ضحّى فيه النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وكانت غيبته خمسة أيام، وقال المسلمون حين رجعوا: يا رسول الله؛ أتطمع أن تكون لنا غزوة؟ قال: «نعم» .

(9) غزوة ذي قرقرة

بفتح القافين، وحكي ضمها، قال الدميريّ، كما في «شرح المواهب» : والمعروف فتحهما، قال ابن سعد:

ويقال: قرارة الكدر. وفي «الصّحاح» : قراقر، بضم القاف: اسم ماء، ومنه: غزاة قراقر، ففيها ثلاثة أوجه.

كانت في نصف المحرم، على رأس ثلاثة وعشرين شهرا من مهاجره، كما ذكره في «العيون» عن ابن سعد؛ فهي بعد غزوة السّويق؛ فلذا قال الناظم: (ثمّ بعدها قرقرة الكدر) وبهذا ترجمها اليعمريّ في «العيون» والسهيليّ.

والقرقرة: أرض ملساء، والكدر: طير في ألوانها كدرة، عرف بها ذلك الموضع الذي هو قرقرة؛ لاستقرار هذه الطيور به، ويقال: قرقرة الكدر: ماء لبني سليم، وغطفان، وهم المراد بالقوم في قوله: (لقوم عندها) .

(1/235)

قال في «العيون» : (ولمّا بلغه صلى الله عليه وسلم أنّ بهذا الموضع جمعا من بني سليم، وغطفان.. استخلف على المدينة سيدنا عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه، وسار إليهم، وحمل لواءه صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، فلم يجد في المحالّ «1» أحدا، وأرسل نفرا من أصحابه في أعلى الوادي، واستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في بطن الوادي، فوجد رعاء «2» ، منهم غلام يقال له: يسار، فسأله عن الناس فقال: لا علم لي بهم، إنّما أورد الخمس «3» ، وهذا يوم ربعي، والناس قد ارتفعوا في المياه؛ ونحن عزاب في الغنم.
فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ظفر بالنّعم، فانحدر به إلى المدينة، واقتسموا غنائمهم بصرار «4» ، على ثلاثة أميال من المدينة. وكانت النعم خمسمئة بعير، فأخرج خمسه، وقسم أربعة أخماسه على المسلمين، فأصاب كلّ رجل منهم بعيران، وكانوا مئتي رجل، وصار يسار في سهم

---

(1) بفتح الميم وتشديد اللام جمع محلة: منزل القوم.
(2) بالكسر: جمع راع.
(3) بكسر المعجمة من إظماء الإبل؛ أي: ترعى ثلاثة أيام، وترد اليوم الرابع.
(4) قال الزرقاني: (بكسر المهملة، وراء مهملة مخففة، فألف فراء ثانية، كما قيده الدارقطني وغيره، ووقع للحمودي والمستملي: بضاد معجمة، وهو وهم كما في «المطالع» : موضع قريب من المدينة، وقيل: بئر قديمة، على ثلاثة أميال منها، من طريق العراق) اهـ

(1/236)

النّبيّ صلى الله عليه وسلم، فأعتقه؛ وذلك أنّه رآه يصلّي، وغاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة) .
قال السّهيلي: (وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يذكر مسيره مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة، فقال لعمران بن سوادة، حين قال له: إن رعيتك تشكو منك عنف السّياق، وقهر الرعية، فذقّن على الدّرة «1» وجعل يمسح سيورها، ثمّ قال: قد كنت زميل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قرقرة الكدر، فكنت أرتع فأشبع «2» ، وأسقي فأروي، وأكثر النّجر «3» ، وأقلّ الضرب، وأردّ العنود «4» ، وأزجر العروض، وأضم اللّفوت «5» ، وأشهر بالعصا، وأضرب باليد، ولولا ذلك.. لأغدرت فتركت «6») يذكر حسن سياسته فيما ولي من ذلك.

(1) ذقن بالقاف والنون، قال في «شرح القاموس» : (ذقن على يده أو على عصاه: وضع ذقنه عليها واتّكأ، وفي حديث: فوضع الدرة، ثمّ ذقن عليها، وفي رواية: فذقن بسوطه يستمع، والدرة بالكسر: التي يضرب بها، عربية معروفة، والجمع درر: نقول: حرمتني درك فاحمني دررك) اهـ
(2) أترك الماشية ترعى حيث شاءت.
(3) هو أن تضم في كفك برجمة الإصبع الوسطى ثمّ تضرب بها رأس أحد، قاله في «القاموس» اهـ
(4) العنود: الخارج عن الطريق، والعروض: المستصعب من الناس والدواب. اهـ «سهيلي»
(5) اللفوت بوزن صبور: العسر الخلق، كما في «القاموس» .
(6) لأغدرت: لضيعت.

وبعدها ذو أمر وغطفان ... كلاهما تدعى به وتستبان
لغطفان وجموع ثعلبه ... جمعها دعثور صاحب الظّبه

(10) غزوة ذي أمر وغطفان

بفتح الهمزة والميم، وشدّ الراء: موضع من ديار غطفان، قاله ابن الأثير، وغطفان، بفتح المعجمة، والطاء المهملة: قبيلة من مضر، قال الزّرقاني: (أضيفت لها الغزوة؛ لأنّ بني ثعلبة الذين قصدهم من غطفان) .
قال في «المواهب» : (وسمّاها الحاكم: غزوة أنمار، وهي بناحية نجد، وكانت لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأوّل، على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة) فهي بعد غزوة قرقرة الكدر.
فلذا قال: (وبعدها ذو أمر) بتخفيف الراء للوزن (وغطفان كلاهما) أي: الاسمين (تدعى) بالبناء للمفعول؛ أي: تسمى (به) هذه الغزوة (وتستبان) أي: تعرف.
(لغطفان) يتعلق بقوله بعد: (جمعها) ، وقوله:
(وجموع ثعلبة) بن سعد بن خصفة أخي غطفان بن سعد، مبتدأ خبره جملة: (جمعها دعثور) بضم الدال وسكون العين المهملتين، وهو ابن الحارث الغطفاني المحاربيّ (صاحب الظّبة) بوزن ثبة: حدّ السيف، ويشير بهذا إلى سببها.

سبب هذه الغزوة:

وهو: أنّ دعثورا جمع الجموع من بني ثعلبة، يريدون أن

وهو الّذي وجد خير مرسل ... يجفّ ثوبين له بمعزل

يصيبوا من أطراف بلاده صلى الله عليه وسلم، فلمّا علم ذلك.. ندب صلى الله عليه وسلم المسلمين، فخرج في أربع مئة وخمسين رجلا، ومعهم أفراس، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه فلمّا سمعوا بمهبطه صلى الله عليه وسلم.. هربوا في رؤوس الجبال، فأصابوا رجلا منهم من بني ثعلبة اسمه: جبّار «1» ، وبالجيم وشدّ الموحدة، فأدخله الصحابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره من خبر القوم، وقال: لن يلاقوك، ولما سمعوا بمسيرك إليهم..

هربوا في رؤوس الجبال، وأنا سائر معك، فدعاه إلى الإسلام، فأسلم، وضمّه إلى بلال ليعلّمه الشرائع.

إسلام دعثور بن الحارث:

(وهو) أي: دعثور (الذي وجد خير مرسل) صلى الله عليه وسلم (يجف) بكسر الجيم؛ أي: ييبّس على شجرة (ثوبين له بمعزل) أي: بموضع بعيد عن أصحابه لمطر أصابهم، واضطجع صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة، وذهب كل من المسلمين في شأنه، وقد كان المشركون بمرأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا لدعثور- وكان فيهم شجاعا-: قد انفرد محمّد، فعليك به، فأقبل ومعه الظّبة.

---

(1) هذا هو الصواب، خلافا لمن قال: اسمه حبان، كما ذكره في «شرح المواهب» .

فسلّها وقال من يمنعكا ... فصدّه جبريل عمّا انتهكا

وفيه أو في غورث أو النّضير ... إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أنزلت على البشير

(فسلّها وقال من يمنعكا) مني اليوم؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «الله» (فصدّه) أي: منعه (جبريل عمّا) أي:

الحرمة التي (انتهكا) أي: أراد أن ينتهكها، بأن دفع في صدره، فوقع السيف من يده، فأخذه صلى الله عليه وسلم فقال: «من يمنعك مني؟» قال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّك رسول الله.

قال في شرح «المواهب» : (وزاد ابن فتحون في الذيل: فأعطاه صلى الله عليه وسلم سيفه، ثمّ أقبل بوجهه فقال: أما والله لأنت خير مني، فقال صلى الله عليه وسلم:

«أنا أحق بذلك منك» ثمّ أتى قومه، فقالوا له: مالك ويلك! فقال: نظرت إلى رجل طويل أبيض، قد دفع في صدري، فوقعت لظهري، فعرفت أنّه ملك، وشهدت أنّ محمّدا رسول الله، لا أكثر عليه جمعا، فدعاهم إلى الإسلام) .

(وفيه) أي: في دعثور، على ما ذكره الواقديّ وابن سعد وطائفة (أو في غورث أو) في (النّضير) قاله قتادة ومجاهد، ف (أو) لتنويع الخلاف آية: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ (إِذْ هَمَّ قَوْمٌ) أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ

أي: بالقتل، والإهلاك فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (أنزلت على البشير) صلى الله عليه وسلم.

(1/240)

وبعدها غزوة بحران إلى ... أمّ القرى أو لسليم الجهلا
وقيل كما في «شرح المواهب» : (أنزلت والمصطفى صلى الله عليه وسلم بعسفان لما أراد المشركون الفتك بالمسلمين، وهم في الصلاة، فأنزل الله صلاة الخوف قال القشيريّ: وقد تنزل الآية في قصة، ثمّ تنزل في أخرى، لادّكار ما سبق) .
ثمّ أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يلق حربا.

(11) غزوة بحران

بضم الموحّدة، وسكون المهملة، فراء، فألف، فنون، على المشهور، وهو موضع بناحية الفرع، بضمتين «1» ، من المدينة، وفيها عينان يقال لهما: الرّبض والنجف، تسقيان عشرين ألف نخلة، كانت لحمزة بن عبد الله بن الزّبير، وكانت هذه الغزوة في السنة الثّالثة، لستّ خلون من جمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهرا من الهجرة، كما قال ابن سعد.
وقال الناظم: (وبعدها) أي: ذي أمرّ (غزوة بحران) بالتنوين؛ لأنّه مصروف، فخرج صلى الله عليه وسلم في ثلاث مئة من أصحابه الكرام بعد أن استعمل على المدينة ابن

---

(1) وأمّا بفتحتين: فموضع بين الكوفة والبصرة، هذا الصواب الذي نبّه عليه السهيلي وغيره.

(1/241)

أم مكتوم (إلى أمّ القرى) يريد قريشا عند ابن إسحاق (أو لسليم) يريدها عند غيره، وتسمى: غزوة بني سليم أيضا، بضم السين، وفتح اللام، قال في «شرح المواهب» : (لأنّ الذين اجتمعوا، وبلغ خبرهم النّبيّ صلى الله عليه وسلم منهم) ف (أو) في كلام الناظم لتنويع الخلاف.
ولمّا سار صلى الله عليه وسلم إليهم.. وجدهم تفرّقوا في مياههم، فرجع ولم يلق كيدا، وكانت غيبته عشر ليال، ووصفهم بقوله: (الجهلا) لعدم إسلامهم إذ ذاك، ثم وفّقوا للإسلام بعد، حتى كانوا من أكثر العرب إسلاما، وحتى غزت مكة ألف أو تسع مئة منهم، مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم، قاله في «روض النّهاة» .

(12) غزوة أحد

بضم الهمزة والحاء، وبالدال المهملة، مصروف، وأحد: جبل مشهور بالمدينة، سمّي بذلك لتوحده

وانقطاعه عن جبال أخر هناك، قال فيه صلى الله عليه وسلم، كما أخرجه الشيخان: «أحد جبل يحبّنا ونحبّه» وهذه المحبة حقيقية؛ فقد خاطبه صلى الله عليه وسلم مخاطبة من يعقل، فقال لما اضطرب: «اسكن أحد؛ فإنّما عليك نبيّ، وصدّيق، وشهيدان» فوضع الله الحب فيه، كما وضع التسبيح

فأحد بربح عير صخر ... تأهّبوا ليتروا من بدر
في الجبال مع داوود، وكما وضع الخشية في الحجارة التي قال فيها: وَإِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وكما حنّ الجذع لمفارقته صلى الله عليه وسلم، حتى سمع الناس حنينه، فلا ينكر وصف الجماد بحب الأنبياء، وقد سلّم عليه الشجر والحجر، وسبّحت الحصاة في يده الشريفة، وكلّمه الذراع، إلى غير ذلك.
وكانت عند هذا الجبل هذه الوقعة سنة ثلاث من الهجرة في شوال، يوم السبت، لإحدى عشرة ليلة خلت منه على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة؛ فلذلك قال: (فأحد) أي:
بعد بحران غزوة أحد. (بربح) بكسر الراء، يتعلق بقوله:
(تأهّبوا) وهو مضاف إلى (عير) بكسر العين، والمراد:
التجارة التي تحملها العير، وأضيف ذلك إلى أبي سفيان (صخر) بن حرب؛ لأنّه المقدّم فيهم إذ ذاك (تأهبوا) أي:
أعدّوا ذلك الربح (ليتروا) أي: ليأخذوا بثأرهم (من بدر) .

سبب هذه الغزوة:

وحاصل ما أشار إليه الناظم من سبب هذه الغزوة:
ما ذكره ابن إسحاق بزيادة توضيح: أنّ قريشا لما رجعوا من بدر إلى مكّة وقد أصيب أصحاب القليب، ورجع أبو سفيان بعيره.. لم يكن شغلها الشاغل إلّا الأخذ بالثأر من المسلمين:
فأبو سفيان ينذر أن لا يمس طيبا، ولا يمس رأسه ماء من

جنابة حتى يغزو محمّدا، وينال من المسلمين ما يشفي غليله، ويجهد أن يرسل البعوث والرسل تسير في بطحاء مكّة ونواحيها؛ للتحريض على مؤازرته ونصرته.
وعبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، في جماعة ممّن قتل آباؤهم وإخوانهم وأبناؤهم يوم بدر يحثّون إخوانهم على ذلك ويقولون: يا معشر قريش؛ إنّ محمّدا قد وتركم، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه ويعنون عير أبي سفيان، أو من كانت له في تلك العير تجارة «1» – لعلّنا ندرك منه

ثأرنا، فأجابوا لذلك، فباعوها، وكانت ألف بعير، والمال خمسون ألف دينار «2» .
وأمضت سنة كاملة تعدّ خيلها ورجلها، وقضّها وقضيضها، وجدّها وحديدها، ومن يتبعها من بني كنانة وتهامة، وفيهم أنزل الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ.
فاجتمعت قريش، ومن حالفها لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال من السنة الثّالثة، وكان سيدنا العباس بمكّة على علم تام من هذه الحركات لقريش، فكتب كتابا يخبر

---

(1) وكانت موقوفة بدار الندوة.
(2) فسلموا إلى أهل العير رؤوس أموالهم، وأخرجوا أرباحهم، وكانوا يربحون في تجارتهم لكل دينار دينارا.

وخرجوا ب (يه) ظعن وهم ... جيم ألوف والخيول لهم
راء وما للمسلمين فرس ... وفي زروع قيلة إحتبسوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم مع رجل من بني غفار، وشرط عليه أن يأتي المدينة في ثلاثة أيام بلياليها، فقدم عليه وهو بقباء، فقرأه عليه أبيّ بن كعب، واستكتم أبيّا، ونزل صلى الله عليه وسلم على سعد بن الرّبيع، فأخبره بكتاب العباس، فقال: «والله؛ إنّي لأرجو أن يكون خيرا، فاستكتمه» .

العدد والكراع في الجيشين:

(وخرجوا) أي: المشركون (ب «يه») أي: بهذا العدد المشار إليه، بالياء والهاء» ، وذلك خمسة عشر من النساء، وهو المعنيّ بقوله: (ظعن) : جمع ظعينة، يقال للهودج، وللمرأة ما دامت فيه، وإنما خرجوا بهنّ التماس الحفيظة «2» ، وأن لا يفرّوا (و) أمّا (هم) أي: الرجال من قريش ف (جيم ألوف) أي: ثلاثة آلاف عددهم، كما جزم به ابن إسحاق، وتبعه اليعمري، فيهم مئتا دارع، (والخيول) :
جمع خيل لجماعة الأفراس، ولا واحد له من لفظه، (لهم) أي: لقريش (راء) أي: مئتان (و) الحال أنّه (ما) أي:
ليس (للمسلمين فرس) واحد، وقد جزم موسى بن عقبة

---

(1) بحساب الجمل، فالياء بعشرة، والهاء بخمسة، وكذا الجيم بثلاثة، والراء بمئتين.
(2) بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء، قال السهيلي: (أي: الغضب للحرم) انظر في «سيرة ابن إسحاق» أسماءهنّ.

وقيل: فيهم فرس تحت أبي ... بردة النّدب وأخرى للنّبي
وقد رأى في نومه خير الأمم ... أن كان في ذباب سيفه ثلم
بذلك، كما في «الفتح» وأمّا عدد من خرج معه صلى الله عليه وسلم فألف رجل، كما عند ابن إسحاق (وفي زروع) يتعلق بقوله: (احتبسوا) وهو مضاف إلى (قيلة) وهي أم الأوس والخزرج.
قال الناظم في «عمود النسب» :
أوس وخزرج هم الأنصار ... وقيلة أمّهم واختاروا
(إحتبسوا وقيل فيهم) أي: المسلمين (فرس تحت أبي بردة) هانئ بن نيار (النّدب) أي: الظريف النجيب (و) فرس (أخرى للنّبيّ) صلى الله عليه وسلم.
قال الحافظ في «الفتح» : (وقع في «الهدي» : أنّه كان معهم خمسون فرسا، وهو غلط بيّن، وقد جزم موسى بن عقبة بأنّه لم يكن معهم في أحد شيء من الخيل، ووقع عند الواقديّ: كان معهم فرس له عليه الصّلاة والسّلام، وفرس لأبي بردة) .
رؤيا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وتأويلها:
(وقد رأى) قبل هذه الوقعة ليلة الجمعة، كما عند عقبة وابن عائذ (في نومه) رؤيا (خير الأمم) صلى الله عليه وسلم، ورؤياه حق لا يتسلط عليها شيطان، وهي: (أن)

وأنّه أدخل في درع يده ... وبقرا يذبح أيضا وجده
فالثّلم ألعمّ وأمّا البقر ... يذبح فهو النّفر المعفّر
من صحبه ودرعه الحصينه ... أدخل فيها يده المدينه
بفتح الهمزة مخففة من الثقيلة؛ أي: أنّه (كان في ذباب) بضم الذال المعجمة: طرف (سيفه) أو حده (ثلم) : كسر، وهو من باب ضرب، وفرح.
قال في «روض النّهاة» : (وهذا السيف هو ذو الفقار بالفتح، سيف العاص بن منبّه، الذي سلب منه يوم بدر، وكان هو والصّمصامة سيف عمرو بن معد يكرب من حديدة وجدت في أساس الكعبة، ثمّ أعطاه صلى الله عليه وسلم عليّا رضي الله عنه) .
(و) رأى في منامه هذا أيضا: (أنّه أدخل في درع) حصينة (يده) الشريفة (وبقرا يذبح أيضا وجده) صلى الله عليه وسلم في منامه هذا.
إذا سمعت ما تلوته عليك من الرؤيا، وأردت تعبيرها حقا (فالثّلم) الذي رآه في السيف: (العم) فكان سيدنا حمزة بن عبد المطّلب استشهد فيها (وأمّا البقر يذبح فهو النّفر) من أصحابه صلى الله عليه وسلم يقتلون، ووصفهم بقوله:

(المعفّر) وهو المضروب بالعفر، وهو ظاهر التراب (من صحبه) بيان للنفر، وهو عدة رجال، من ثلاثة إلى عشرة، ففيه مسامحة (ودرعه الحصينة) أي: المحكمة التي (أدخل فيها يده) هي (المدينة) المنوّرة.

(1/247)

قال في «شرح المواهب» : (ووجه التأويل: أنهم كانوا أشبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية، وجعلوا فيها الآطام والحصون، فهي حصن) .
وهذا المذكور في النظم من المرفوع، قال ابن هشام:
(وحدّثني بعض أهل العلم: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: رأيت بقرا لي تذبح، قال: فأمّا البقر.. فهي ناس من أصحابي يقتلون، وأمّا الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي.. فهو رجل من أهل بيتي يقتل) .

استشارة الرسول صلّى الله عليه وسلّم أصحابه في الخروج أو البقاء بالمدينة:
قال ابن إسحاق: (قال: – أي: الرسول صلى الله عليه وسلم–: فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها.
وكان رأي عبد الله بن أبيّ ابن سلول مع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم، يرى ألّا يخرج إليهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج، فقال رجل من المسلمين ممّن أكرم الله بالشهادة يوم أحد، وغيره ممّن كان فاته بدر:
يا رسول الله؛ اخرج بنا إلى أعدائنا؛ لا يرون أنّا جبنّا عنهم وضعفنا، فقال عبد الله بن أبيّ: يا رسول الله؛ أقم بالمدينة، لا تخرج إليهم، فو الله ما خرجنا منها إلى عدوّ لنا قطّ إلّا أصاب منا، ولا دخلها علينا إلّا أصبنا منه، فدعهم

(1/248)

واستكرهوا خير الورى فأخرجوه ... وبعد ما استلأم فيها استثبطوه
يا رسول الله، فإن أقاموا.. أقاموا بشرّ محبس، وإن دخلوا.. قاتلهم الرجال في وجوههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤوا.
فلما يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين كان من أمرهم حبّ لقاء القوم.. حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته ومعه صاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ورأى الخروج، فعمّماه، وألبساه، وصفّ الناس ما بين حجرته إلى منبره، ينتظرون خروجه عليه الصّلاة والسّلام، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة) .

عزم الرسول صلّى الله عليه وسلّم على القتال:

وخرج عليهم عازما على القتال، لابسا لأمته، وقد ندم الناس وقالوا: استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لنا ذلك، فلمّا خرج عليهم صلى الله عليه وسلم..
قالوا: يا رسول الله؛ استكرهناك، ولم يكن لنا ذلك، فإن شئت.. فاقعد، فقال صلى الله عليه وسلم: «ما ينبغي لنبيّ إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل» .
واللأمة بالهمزة وقد تترك تخفيفا، وجمعه لأم، كتمرة وتمر: هي الدرع، أو السلاح، أو أداة الحرب.
وإلى هذه الإشارة بقوله: (واستكرهوا) أي: أكرهوا، فالسين زائدة للتأكيد (خير الورى) صلى الله عليه وسلم على

الخروج إلى العدوّ بقولهم المتقدم: اخرج بنا إلى عدونا، والناس بين راغب في الشهادة، آسف على فوات بدر (فأخرجوه) صلى الله عليه وسلم من بيته وقد لبس اللأمة (وبعد ما استلأم) أي: لبس لأمته، أي: أداة الحرب (فيها) أي: المدينة (استثبطوه) أي: طلبوا لبثه بالمدينة على رأيه الأوّل صلى الله عليه وسلم، وقالوا ما تقدم ذكره.
قال في «شرح المواهب» : (فإن قيل: لم عدل صلى الله عليه وسلم عن رأيه الذي لا أسدّ منه، وقد وافقه عليه أكابر المهاجرين والأنصار، وابن أبيّ– وإن كان منافقا لكنه من الكبار المجرّبين للأمور؛ لذا أحضره صلى الله عليه وسلم واستشاره– إلى رأي «1» هؤلاء الأحداث؟
قلت: لأنّه صلى الله عليه وسلم مأمور بالجهاد، خصوصا وقد فجأهم العدوّ، فلمّا رأى تصميم أولئك على الخروج لا سيّما وقد وافقهم بعض الأكابر من المهاجرين: كحمزة، والأنصار: كابن عبادة..
ترجح عنده موافقة رأيهم، وإن كرهه ابتداء؛ ليقضي الله أمرا كان مفعولا، وهذا ما ظهر لي ولم أره لأحد) اهـ
قال العبد الضعيف كان الله له: ويمكن أن يقال في الجواب: إنّ المسألة لم يكن فيها وحي من الله تعالى يتبع، بل كان الأمر فيه إلى اجتهاده صلى الله عليه وسلم، قد أعلمه الله

---

(1) يتعلق بقوله: (عدل) اهـ

فراح نحو أحد وابتكرا ... وخام عنه ابن أبيّ وامترا
تعالى بمقتضى تلك الرؤيا، من استشهاد بعض أصحابه، وما يصيبهم من التمحيص في ذلك اليوم، وكان ذلك مرتبا على الخروج إلى العدوّ. وهذا ما ظهر، والعلم عند الله تعالى.
(فراح) أي: ذهب صلى الله عليه وسلم بعد الزوال وصلاة الجمعة، ولبس لأمته (نحو) أي: جهة جبل (أحد، وابتكرا) أي: سار بكرة، ومعه صلى الله عليه وسلم ألف من أصحابه، وعقد ثلاثة ألوية:

لواء للأوس، بيد أسيد بن الحضير، ولواء للخزرج بيد الحباب بن المنذر، ولواء المهاجرين، بيد مصعب بن عمير.
واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه على الصلاة بالناس.
ثمّ ركب فرسه، وتقلد القوس، والمسلمون عليهم السلاح، وخرج السعدان يعدوان أمامه، والناس عن يمينه، وعن شماله، حتى انتهى إلى رأس الثّنيّة، حتى إذا كان بالشيخين «1» .. التفت فنظر إلى كتيبة خشناء لها زجل فقال:
«ما هذه؟» فقالوا: هؤلاء حلفاء ابن أبيّ من يهود، فقال:
«لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك» .

---

(1) اسم موضع بطريق أحد، فإنّ شيخا وشيخة كانا يجلسان عليه يتناجيان هناك، وهو مشهور عند أهل المدينة بهذا الاسم.

قال في «الإمتاع» : (ولبس عليه الصّلاة والسّلام من الشيخين درعا واحدة حتى انتهى إلى أحد فلبس درعا أخرى، ومغفرا، وبيضة فوق المغفر، ولمّا نهض عليه الصّلاة والسّلام من الشيخين.. زحف المشركون على تعبئة، وقد ترأس فيهم أبو سفيان لقتل أكابرهم ببدر، ووافى عليه الصّلاة والسّلام أحدا وقد حانت الصلاة وهو يرى المشركين فأذّن بلال وأقام، فصلّى عليه الصّلاة والسّلام بأصحابه الصبح صفوفا) .

انخزال المنافقين:
وانخزل ابن أبيّ عن المسلمين بثلث الناس كما قال الناظم:
(وخام) أي: نكص، ورجع (عنه) صلى الله عليه وسلم عبد الله (ابن أبيّ) ابن سلول في ثلاث مئة من قومه المنافقين (وامترا) أي: شكّ، وقال: أطاعهم وعصاني، علام نقتل أنفسنا؟! فاتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه– وكان خزرجيا كابن أبيّ– فقال: يا قوم؛ أذكركم الله ألّا تخذلوا قومكم ونبيّكم بعد ما حصر من عدوّهم، فقالوا: لو نعلم أنّكم تقاتلون.. لما أسلمناكم، ولكنّا لا نرى أنّه يكون قتال، فلمّا أبوا.. قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيه.
فلمّا انخزل ابن أبيّ بمن معه.. سقط في أيدي طائفتين من المسلمين، وهمّا أن يقتتلا، وهما بنو حارثة من الخزرج،

واستلّ سيف رجل ذبّ فرس ... فقال شم سيفك والحرب افترس

وبنو سلمة من الأوس، وفي الصحيح عن جابر: نزلت هذه الآية فينا: إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُما وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ بني سلمة، وبني حارثة، وما أحبّ أنّها لم تنزل، والله يقول: وَاللَّهُ وَلِيُّهُما.

قال الحافظ: أي: أنّ الآية، وإن كان في ظاهرها غضّ منهم.. لكن في آخرها غاية الشرف لهم، فبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع مئة وجعل أحدا خلف ظهره، واستقبل المدينة المنوّرة.

تفاؤله صلى الله عليه وسلم:

(واستلّ سيف رجل) بالنصب مفعول ل (استل) ، مقدم على فاعله الذي هو (ذبّ) أي: دفع (فرس) بذنبه؛ يعني:

أنّه من عادة الفرس أن يذب بذنبه ما يؤذيه، وكان رجل من الصحابة حاملا سيفه في غمده، فدفع الفرس بذنبه السيف، فأخرجه من غمده (فقال) عند ذلك صلى الله عليه وسلم للرجل: (شم سيفك) أمر من شام يشيم: إذا سلّه أو أغمده، والمراد هنا الثّاني (والحرب) أي: القتال، بالنصب معمول مقدم لقوله: (افترس) بمعنى: تفرّس «1» ، وفاعله النّبيّ صلى الله عليه وسلم.

---

(1) قال صاحب «الروض» : (وافترس: افتعل من الفراسة؛ أي: تفرس صلى الله عليه وسلم الحرب، ويؤيده: أنّه رتب عليه قوله: «وكان لا يعتاف») اهـ قلت: وهو إنّما يصح لو وجد افترس بمعنى الفراسة، وقد قال في «القاموس» : (الفراسة: اسم من التفرس) اهـ

وكان لا يعتاف إلّا أنّه ... يعجبه الفأل إذا عنّ له

قال ابن إسحاق: (ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.. حتى سلك في حرّة بني حارثة، فذبّ فرس بذنبه، فأصاب كلّاب «1» سيف فاستلّه، فقال صلى الله عليه وسلم وكان يحب الفأل ولا يعتاف «2» – لصاحب السيف: «شم سيفك؛ فإنّي أرى السيوف اليوم ستسل») وفي هذا دليل ظاهر للقول بأنّ معهم فرسا، ولم يكن هذا منه عليه الصّلاة والسّلام تطيّرا، كيف وقد نهى عن الطّيرة؟! فلذلك قال الناظم:

(وكان) صلى الله عليه وسلم (لا يعتاف) من العيف؛ أي: لا يتشاءم، يقال: عفت الطير، واعتفتها عيافة، واعتيافا، قاله السّهيليّ.

(إلّا أنّه يعجبه الفأل) الحسن (إذا عنّ) أي: عرض (له) .

ذكر السهيليّ في «الروض الأنف» : (أنّه صلى الله عليه وسلم مرّ في غزوة بدر بجبلين، فسأل عن اسميهما؟ فقيل له: أحدهما اسمه مسلح، والآخر اسمه مخزىء «3» فعدل عن طريقهما، وقال: ليس هذا من باب الطّيرة التي نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن من باب كراهة الاسم

---

(1) كلاب السيف: الحديدة العقفاء، وهو التي تلي الغمد.
(2) جملة معترضة بين القول ومقوله.
(3) ضبطه في «الشامية» بصيغة اسم الفاعل في الاسمين.

(1/254)

القبيح، فقد كان عليه الصّلاة والسّلام يكتب إلى أمرائه: إذا أبردتم لي بريدا فاجعلوه حسن الوجه، حسن الاسم، ذكره البزّار من طريق بريدة) .
قلت: وذكر الحافظ ابن عبد البرّ في «الإستيعاب» بسنده إلى عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: كان النّبيّ صلى الله عليه وسلم لا يتطيّر، ولكن يتفاءل، فركب بريدة في سبعين راكبا من أهل بيته من بني سهم، فتلقّى النّبيّ صلى الله عليه وسلم فقال له نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: «من أنت؟» قال: أنا بريدة، فالتفت إلى أبي بكر، فقال: «يا أبا بكر؛ برد أمرنا وصلح» قال: ثمّ قال لي: «ممّن أنت؟» قلت: من أسلم، قال لأبي بكر: «سلمنا» . ثمّ قال لي: «من بني من؟» قلت: من بني سهم، قال: «خرج سهمك» .
وقال الإمام مالك في «الموطأ» : عن يحيى بن سعيد، قال صلى الله عليه وسلم في لقحة: «من يحلب هذه؟» فقام رجل فقال: أنا، فقال له: «ما اسمك؟» قال: مرّة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجلس» ، ثمّ قال:
«من يحلب هذه؟» فقام رجل فقال: أنا، فقال له:
«ما اسمك؟» قال: حرب، قال: «اجلس» ثمّ قال:
«من يحلب هذه؟» فقام آخر، فقال: «ما اسمك؟» قال:
يعيش، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احلب» .
قال الشمس الشامي– لما ذكر نحو ذلك عن ابن سعد في

(1/255)

ومرّ في طريقه بالحاثي ... في أوجه القوم وكان راثي
الطبقات–: وفي رواية ابن وهب: فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله؛ كنت نهيتنا عن التطيّر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تطيرت، ولكني آثرت الاسم الحسن» أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

ما كان من المنافق مربع بن قيظي حين سلك النبي صلّى الله عليه وسلّم حائطه:
(ومرّ) صلى الله عليه وسلم (في طريقه) إلى أحد (بالحاثي) أي: الرامي التراب (في أوجه القوم) المسلمين؛ وذلك: أنّه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: «من رجل يخرج بنا على القوم من كثب–

أي: من طريق قريب- لا يمر بنا عليهم؟» فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة بن الحارث: أنا يا رسول الله، فنفذ به في حرّة بني حارثة، وبين أموالهم، حتّى سلك في حائط لمربع بن قيظيّ، وكان رجلا منافقا أعمى البصر؛ فلمّا سمع صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين.. قام يحثي في وجوههم التراب ويقول:
إن كنت رسول الله فإنّي لا أحلّ لك أن تدخل حائطي.
قال ابن إسحاق: وقد ذكر لي: أنّه أخذ حفنة من تراب في يده، ثمّ قال: والله لو أنّي أعلم أنّي لا أصيب بها غيرك يا محمّد.. لضربت بها وجهك، فابتدره القوم ليقتلوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب، أعمى البصر» وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل قبل نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربه بالقوس في رأسه فشجّه، (وكان) بهذه الفعلة الشنيعة

أجاز أبناءيه واستصغرا ... من دونهم والجيش ذالا انبرى
(راثي) أي: أحمق ووقف به على لغة ربيعة.
ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشّعب من أحد، في عدوة الوادي إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، واستقبل المدينة وجعل جبل عينين- وهو جبل الرماة- على يساره.

إجازته صلى الله عليه وسلم أبناء خمس عشرة وردّه من دونهم:
(أجاز) صلى الله عليه وسلم في الخروج لميدان القتال في أحد (أبناءيه) أي: أبناء خمس عشرة سنة؛ لما عرضوا عليه (واستصغرا) بألف الإطلاق (من دونهم) في السن، وردّهم؛ لأنّه لم يرهم بلغوا، منهم: أسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت، وأبو سعيد الخدري، وأسيد بن ظهير، وعرابة بن أوس «1» ، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وسعد بن حبتة «2» ، وزيد بن جارية، ورافع بن خديج.

---

(1) عرابة هذا هو الذي يقول فيه الشماخ الأسدي:
رأيت عرابة الأوسي يسمو ... إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقّاها عرابة باليمين
وهو بفتح العين المهملة، صحابي جليل.
(2) بفتح المهملة وسكون الموحدة وفتح الفوقية: هي أمه، واسم أبيه بجير مصغرا. ذكر الحافظ ابن عبد البر في «الإستيعاب» عن جابر بن عبد الله: (أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم نظر إلى سعد بن حبتة يوم الخندق يقاتل قتالا شديدا وهو حديث السن، فدعاه وقال له: «من أنت يا فتى؟» قال: سعد بن حبتة، فقال له النّبيّ صلى الله عليه وسلم: «أسعد الله جدك، اقترب مني» فاقترب منه، فمسح على رأسه، قال: ولا يختلفون أنّ-

وقال من يأخذ هذا السّيفا ... بحقّه فناله واستوفى
ثمّ أجاز رافعا لما قيل له: إنّه رام، فقال سمرة بن جندب الفزاري لزوج أمه– مري بن سنان– أجاز رافعا وردّني وأنا أصرعه، فأعلمه صلى الله عليه وسلم، فقال: تصارعا، فصرع سمرة رافعا، فأجازه (والجيش) أي: جيش المسلمين المخلصين (ذالا) أي: سبع مئة (انبرى) أي: اعترض.
أمّا المشركون.. فثلاثة آلاف رجل كما تقدم، وتلك صورة من إيمان الصحابة الصادق، وبطولتهم الحقّة حيث نافسوا بأنفسهم، وأرواحهم، وتسابقوا إلى ميدان القتال، وهم في هذه السن الصغيرة رضوان الله عليهم وجعلنا من محبيهم وحزبهم، آمين.

إعطاء الرسول صلّى الله عليه وسلّم السيف لأبي دجانة:
(وقال) صلى الله عليه وسلم لأصحابه وقد أخذ سيفا:
(من يأخذ هذا السيفا بحقّه) «1» فقام إليه رجال، من أبطال المسلمين كل واحد يريد أن يأخذه منهم غمير والزّبير، فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دجانة، فقال: وما حقه

أبا يوسف القاضي هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبتة الأنصاري) . قال في «الحلبية» : (وقد دعا النّبيّ صلى الله عليه وسلم له بالبركة، ما مات حتى كان أبا لعشرين، وعمّا لأربعين، وخالا لأربعين) اهـ
(1) ذكر أبو الربيع في «الإكتفاء» – كما في «شرح المواهب» –: (أنّه كان مكتوبا في إحدى صفحتيه:
في الجبن عار وفي الإقدام مكرمة ... والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

أبو دجانة وخال إذ مشى ... ومشيه من بغضه جلّ حشا
يا رسول الله، قال: «أن تضرب به في وجه العدو حتى ينحني» فقال: أنا آخذه بحقه يا رسول الله (فناله واستوفى أبو دجانة) سماك ابن خرشة الأنصاريّ الساعديّ، المتفق على شهوده بدرا؛ فإنّه كان رجلا شجاعا «1» (وخال) أي: تكبّر (إذ مشى) في ميدان القتال، (ومشيه من بغضه) أي: الله عزّ و (جلّ حشا) هذا الموطن؛ فإنّ الله لا يبغض هذه المشية فيه؛ لدلالتها على احتقار العدوّ، وعدم الاكتراث به، وحشا: لغة في حاشا.
قال الزّبير بن العوام: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فمنعنيه، وأعطاه أبا دجانة وقلت: أنا ابن صفية عمته، ومن قريش، وقد قمت إليه، وسألته إياه قبله، فأعطاه أبا دجانة وتركني، فقلت:

والله لأنظرنّ ما يصنع أبو دجانة، فاتبعته، فأخذ عصابة له حمراء، قال في «المواهب» : مكتوب في أحد طرفيها:
نصر من الله وفتح قريب، وفي طرفها الآخر: الجبانة في الحرب عار، ومن فرّ لم ينج من النار، فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج عصابة الموت، فخرج وهو يقول:

---

(1) قال في «الإستيعاب» : (كان أبو دجانة بهمة من البهم الأبطال، استشهد يوم اليمامة، وهو ممّن اشترك في قتل مسيلمة يومئذ مع عبد الله بن زيد بن عاصم ووحشي، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين أبي دجانة وعتبة بن غزوان) اهـ وسيأتي له ذكر في هذه الغزوة أيضا، فارتقب.

أنا الذي عاهدني خليلي ... ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر في الكيّول «1» ... أضرب بسيف الله والرسول
قال ابن إسحاق: (فجعل لا يلقى أحدا من المشركين إلّا قتله، وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحا إلّا ذفّف «2» عليه، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه، فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقيا فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دجانة، فاتّقاه بدرقته، فعضت بسيفه «3» ، فضربه أبو دجانة فقتله، ثمّ رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند، ثمّ عدل السيف عنها؛ يعني: إكراما لسيف رسول الله أن يضرب به امرأة) .
قال الزّبير فقلت: الله ورسوله أعلم.
وبدأت نار الحرب تشتعل وأوّل من أشبّها أبو عامر الفاسق «4» .
قال في «الإمتاع» : (طلع في خمسين من قومه مع عبدان

---

(1) الكيول- بفتح الكاف، وتشديد المثنّاة التحتية المضمومة-: مؤخر الصفوف.
(2) بالذال المعجمة والمهملة، وشد الفاء الأولى مفتوحات: أسرع قتله.
(3) عض به عضا: مسكه ولامسه.
(4) هو عبد بن عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان، أحد بني ضبيعة، وكان يسمى في الجاهلية: الراهب، فسمّاه الرسول صلى الله عليه وسلم: الفاسق.

واستأصلوا أهل اللّوا فانهزموا ... وشمّرت عن سوقهنّ الحرم
قريش فنادى يا للأوس أنا أبو عامر، فقالوا له لا مرحبا بك ولا أهلا يا فاسق: فقال لقد أصاب قومي بعدي شر، فترامو بالحجارة ساعة حتى ولّى) اهـ

استئصال أهل اللواء من المشركين:

ودعا أهل اللواء إلى المبارزة، فاستأصلهم المسلمون كما قال الناظم:

(واستأصلوا أهل اللّوا فانهزموا) أي: أتى المسلمون على جميع أهل اللواء قتلا، وهم آل أبي طلحة بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار، واللواء: أحد الخمسة التي أتحف بها قصيّ ابنه الكبير عبد الدار لمّا لم تبلغ همّته همّتهم، قال الناظم في «عمود النسب» :

حجابة سقاية رفاده ... لواء النّدوة بالقلاده

أتحف عبد الدار إذ رآه ... دون مدى إخوته مداه

تحريض أبي سفيان قريشا على الحرب:

قال في «روض النّهاة» : (لمّا ورد المشركون أحدا..

قام أبو سفيان، فحرّض الناس، فقال: يا بني عبد الدار؛ إنّكم قد وليتم لواءنا يوم بدر، فأصابنا ما قد رأيتم وإنّما يؤتى الناس من قبل راياتهم، إذا زالت.. زالوا، فإمّا أن تكفونا

لواءنا، وإمّا أن تخلوا بيننا وبينه.. فنكفيكموه، فهمّوا به وتوعّدوه، وقالوا: نحن نسلم إليك لواءنا؟! ستعلم غدا إذا التقينا ما نصنع! وذلك ما أراده أبو سفيان) .

تحريض هند والنسوة قريشا على الحرب:

فلمّا التقى الناس.. قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال، فقالت هند:

ويها بني عبد الدار ... ويها حماة الأدبار

ضربا بكلّ بتّار

وقالت:

إن تقبلوا نعانق ... ونفرش النّمارق

أو تدبروا نفارق ... فراق غير وامق

فاقتتل الناس، وحميت الحرب، والرماة يرشقون «1» خيل المشركين، كما أمرهم صلى الله عليه وسلم، يردونها هوارب، فصاح طلحة بن أبي طلحة صاحب اللواء: من يبارز؟ فقام إليه عليّ فقتله، وهو كبش الكتيبة- أي: رئيسها-

---

(1) أي: يرمونها بالنبل، وهو من (باب نصر) .

مولولات إثرهم ورغبا ... في المغنم الرّماة حين استلبا
ثمّ حمل اللواء أخوه عثمان «1» ، فحمل عليه حمزة، فقطع جناحه، حتى انتهى إلى مؤتزره، وبدا سحره، ثمّ حمله أبو سعد أخوهما، فقتله سعد بن أبي وقاص، ثم حمله مسافع بن طلحة بن أبي طلحة فقتله عاصم بن ثابت. ثمّ حمله الحارث أخوه، فقتله عاصم أيضا. ثمّ حمله كلاب أخوهما، فقتله الزّبير، ثمّ حمله الجلاس أخوهم، فقتله طلحة بن عبيد الله، ثمّ حمله أرطاة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف، فقتله عليّ، ثمّ حمله شريح بن قارظ، فلا يدرى من قتله. ثمّ حمله غلام اسمه صؤاب، فقيل: قتله عليّ، وقيل: سعد بن أبي وقّاص، وقيل: قزمان العبسيّ، وهو أثبت الأقاويل «2» .
فهؤلاء عشرة.
(وشمّرت) أي: رفعت (عن سوقهنّ) جمع ساق:
ما بين الكعب إلى الرّكبة (الحرم) بضم ففتح: جمع حرمة، وهي ما يحمى ويقاتل عليه، والمراد به هنا: نساء قريش:
هند وصواحباتها الخارجات؛ لئلّا يفرّ الناس.
(مولولات) أي: فعلن ذلك حال كونهنّ داعيات بالويل، وهو حلول الشر للجد في الهروب (إثرهم) أي:
خلف رجالهنّ الفارين. ولما كانت تلك الهزيمة عليهم، بقتل

---

(1) أي: وهو يقول:
إنّ على أهل اللواء حقا ... إن يخضبوا الصعدة أو تندقا
(2) هكذا في «شرح المواهب» وبه جزم ابن إسحاق.

حاملي لوائهم.. بقي اللواء ملقى في الأرض لا يلتفت إليه.
ثمّ أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية «1» ، ورفعته لهم، فاستداروا به، واجتمعوا عنده، وفي ذلك يعيّرهم سيدنا حسان رضي الله عنه بقوله:
ولي البأس منكم إذ رحلتم ... أسرة من بني قصيّ صميم
عمرة تحمل اللواء وطارت ... في رعاع «2» من القنا مخزوم
لم تطق حمله العواتق منكم ... إنّما يحمل اللواء النجوم

اشتغال الرماة بالغنائم عن الحرب:

ثمّ تبعهم المسلمون حتى أزالوهم، ووقفوا ينتهبون العسكر، ويأخذون ما فيه من الغنائم، واشتغلوا عن الحرب (ورغبا في المغنم) بفتح الميم الأولى؛ أي: في أخذ الغنمية (الرماة) جمع رام بالنبل وهم الخمسون الذين أمرهم الرسول عليه الصّلاة والسّلام أن يثبتوا في مركزهم على جبل عينين، وأميرهم

عبد الله بن جبير (حين استلبا) بالبناء للمفعول؛ أي: أخذ اللواء من أيدي المشركين، وبقي ملقى بالأرض، حتّى أخذته عمرة الحارثية.

---

(1) قال في «شرح المواهب» عن البرهان: (لا أعلم لها إسلاما، والظاهر: هلاكها على دينها) اهـ
(2) الرعاع: الأحداث الطغام.

وخالف الرّماة أمر المصطفى ... بالصّبر والثّبات خلف الحنفا
فتركوا ظهورهم لخالد ... فكرّ راجعا بكلّ حارد

(وخالف الرماة) أي: أكثرهم (أمر المصطفى) صلى الله عليه وسلم (بالصبر) في موطن الحرب، (والثبات خلف الحنفا) المجاهدين، وقال عليه الصّلاة والسّلام: «إن رأيتمونا تخطّفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا، حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم، فلا تبرحوا حتّى أرسل إليكم» لكن رئيس الرماة عبد الله بن جبير في أقل من عشرة من أصحابه لم يخالف، بل ذكّرهم أمره صلى الله عليه وسلم بالصبر والثبات فقالوا: لم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا، وقد انهزم المشركون، فما بقاؤنا هنا؟ فانطلقوا يتبعون العسكر، وينتهبون معهم، وأخلوا الجبل، حتى كان من شؤم المخالفة له صلى الله عليه وسلم في أمره ما أشار له الناظم بقوله:

حملة خالد على من بقي من الرّماة:
(فتركوا) أي: المسلمون (ظهورهم لخالد) بن الوليد، وقد أسلم رضي الله عنه بعد الحديبية مرجع النبي صلى الله عليه وسلم منها (فكرّ) بتشديد الراء، يتعدّى بعلى، بمعنى عطف، وبعن: بمعنى رجع، فقوله: (راجعا) حال مؤكدة على الثّاني، والمعنى: أنّه لما نظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل من الرّماة، وقلة أهله.. كرّ بالخيل (بكل) رجل (حارد) أي: غضبان، فحملوا على من بقي من الرماة

وحالت الرّيح ودارت الرّحى ... وذاق من خالفه ما اجترحا
فقتلوهم، وقتلوا أميرهم عبد الله بن جبير، وانتقضت صفوف المسلمين.

شؤم مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم:
(وحالت الريح) قلت: يصح قراءته بالجيم المعجمة، من الإجالة بمعنى الإدارة، والمراد بالريح: القوة؛ أي:
ودارت القوة للعدوّ على المسلمين بشؤم المخالفة، ويصح قراءته بالحاء المهملة؛ أي: حالت الريح،

وتغيرت إلى دبور، بعد أن كانت صبا، والله أعلم (ودارت الرحى) أي:
رحى الحرب.
قال في «روض النّهاة» : (إن أراد بها حومة الحرب..
فحسّية، وإن أراد الرحى المعروفة.. فاستعارة عن انقلابها إلى الهزيمة، إكراما وتمحيصا للمسلمين، أكرم الله تعالى من أكرم منهم بالشهادة) .
روى الإمام أحمد والحاكم عن ابن عباس: أنّهم لما رجعوا.. اختلطوا بالمشركين، والتبس العسكران، فلم يتميزوا؛ أي: حتى صاروا يقاتلون من غير شعارهم الذي هو: (أمت أمت) فوقع القتل في المسلمين بعضهم في بعض (وذاق من خالفه) صلى الله عليه وسلم عاقبة (ما اجترحا) أي: اكتسب من المخالفة.

وصرخ الصّارخ أن مات النّبي ... فارتهبوا لذاك كلّ الرّهب
وقال إذ ذلك: «لو كان لنا» ... من دهش قائلهم فافتتنا
(وصرخ) أي: صاح (الصارخ) إبليس اللعين وقد تصور في صورة جعال بن سراقة (أن مات النّبي) صلى الله عليه وسلم؛ ليرهب بذلك المؤمنين (فارتهبوا لذاك) الخبر المشؤوم (كل الرّهب) الخوف، وقيل: إنّ الصارخ هو عبد الله بن قميئة بوزن سفينة، لما قتل مصعب بن عمير، فظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنّه كان يشبهه إذا لبس اللأمة، فصاح: أن قتلت محمّدا.
قال موسى بن عقبة: ولما فقد عليه الصّلاة والسّلام قال رجل منهم: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل، فارجعوا إلى قومكم؛ ليؤمّنوكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم، فإنّهم داخلوا البيوت.
وقال آخرون: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل، أفلا تقاتلون على دينكم، وعلى ما كان عليه نبيّكم، حتى تلقوا الله عزّ وجلّ شهداء؟ منهم أنس «1» بن مالك، شهد له بهذه المقالة عند النّبيّ صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ.
(وقال إذ ذلك) أي: وقت صرخ الصارخ: أن مات النّبيّ صلى الله عليه وسلم: (لو كان لنا) من الأمر شيء ما قتلنا

---

(1) قال اليعمري في «عيون الأثر» : (كذا وقع في هذا الخبر أنس بن مالك، وإنّما هو أنس بن النضر، عم أنس بن مالك بن النضر) اهـ

ونجل مطعم جبير إذ قتل ... حمزة عمّه طعيمة احتفل
لقتله بأن عليه ذمّرا ... وحشيّه يومئذ وحرّرا

ههنا، قولا صادرا (من دهش) وتحيّر، وفاعل قال:
(قائلهم) معتّب بن قشير، وكان يرمى بالنفاق، وقيل: كان منافقا (فافتتنا) أي: وقع في الفتنة بتلك المقالة، وقيل: لم يكن منافقا؛ لأنّه شهد بدرا، ولم يشهدها منافق.

استشهاد سيدنا حمزة:
(ونجل مطعم) بن عدي بن نوفل بن عبد مناف (جبير) بدل من نجل (إذ قتل حمزة) بن عبد المطلب، فاعل قتل، والمفعول (عمّه طعيمة) بن عديّ؛ يعني: أنّ حمزة عم النّبيّ صلى الله عليه وسلم، لما قتل ببدر طعيمة عم جبير..
(احتفل) أي: تهيّأ نجل مطعم (لقتله) أي: حمزة، وذلك (بأن عليه) يتعلق بقوله: (ذمّرا) بألف الإطلاق؛ أي: بأن حضّ عليه (وحشيّه) غلامه المدعو وحشيا بن حرب الحبشيّ؛ فلذلك أضافه إلى ضميره (يومئذ) أي: يوم أحد (وحرّرا) أي: جعله حرّا إن هو قتله.
روى الإمام البخاريّ في «صحيحه» بسنده إلى جعفر بن عمرو بن أميّة الضمريّ قال: (خرجت مع عبيد الله بن عدي بن الخيار، فلمّا قدمنا حمص.. قال عبيد الله بن عدي:
هل لك في وحشيّ نسأله عن قتل حمزة؟ قلت: نعم، وكان وحشيّ يسكن حمص، فسألنا عنه، فقيل لنا: هو ذاك في ظل

قصره، كأنّه حميت «1» ، قال: فجئنا حتى وقفنا عليه بيسير، فسلّمنا، فردّ السلام، قال: وعبيد الله معتجر «2» بعمامته، ما يرى وحشيّ إلّا عينيه ورجليه، فقال عبيد الله: يا وحشيّ؛ أتعرفني؟ قال:
فنظر إليه، ثمّ قال: لا والله، إلّا أنّي أعلم:
أن عديّ بن الخيار تزوج امرأة يقال لها: أمّ قتال بنت أبي العيص، فولدت له غلاما بمكة، فكنت أسترضع له، فحملت ذلك الغلام مع أمّه، فلكأنّي إذ نظرت إلى قدميك..
نظرت إليه «3» قال: فكشف عبيد الله عن وجهه، ثمّ قال: ألا تخبرنا بقتل حمزة؟ قال: نعم.
إنّ حمزة قتل طعيمة بن عديّ بن الخيار ببدر، فقال لي مولاي جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمّي.. فأنت حرّ، قال: فلمّا أن خرج الناس عام عينين– وعينين: جبل بحيال «4» أحد، بينه وبينه واد– خرجت مع الناس إلى القتال، فلمّا اصطفوا للقتال.. خرج سباع– يعني ابن عبد العزّى الخزاعيّ ثم الغبشانيّ– فقال: هل من مبارز؟ فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فقال: يا سباع؛ يا ابن أم أنمار، مقطعة

(1) بوزن رغيف: زق كبير للسمن، يشبه به الرجل السمين.
(2) بجيم معجمة مكسورة، بأن يلف العمامة على الرأس من غير أن يديرها على حنكه.
(3) قال الشهاب القسطلاني: (إنّه شبه قدميه بقدم الغلام الذي حمله، فكأنّه هو هو، وكان بين

الرؤيتين نحو من خمسين عاما) اهـ
(4) بكسر الحاء المهملة؛ أي: من ناحيته.

(1/269)

البظور «1» ، أتحادّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال: ثمّ شدّ عليه، فكان كأمس الذاهب.
قال: وكمنت لحمزة تحت صخرة، فلمّا دنا مني.. رميته بحربتي، فأضعها في ثنّته- يعني عانته- حتى خرجت من بين وركيه؛ قال: فكان ذلك آخر العهد به، فلمّا رجع الناس..
رجعت معهم، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام. ثمّ خرجت إلى الطائف، فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا، فقيل لي: إنّه لا يهيج الرّسل، قال: فخرجت معهم، حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلمّا رآني.. قال: «أنت وحشيّ؟» قلت: نعم، قال: «أنت قتلت حمزة؟» قلت: قد كان من الأمر ما قد بلغك، قال عليه الصّلاة والسّلام: «فهل تستطيع أن تغيّب وجهك عني؟» قال: فخرجت.
فلمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج مسيلمة الكذّاب، قلت: لأخرجنّ إلى مسيلمة، لعلّي أقتله، فأكافىء به حمزة، قال: فخرجت مع الناس، فكان من أمره ما كان، فإذا رجل في ثلمة جدار، كأنّه جمل أورق «2» ، ثائر الرأس، قال: فرميته بحربتي، فأضعها بين ثدييه، حتى خرجت من

---

(1) جمع بظر، وهو اللحمة التي تقطع من فرج المرأة، الكائنة بين أسكتيها عند ختانها، وكانت أمه ختانة، تختن النساء بمكة، فعيره بذلك.
(2) أي: لونه مثل الرماد، وكان ذلك من غبار الحرب. اهـ «فتح»

(1/270)

ودقّه في شدقه ابن حرب ... فقال «ذق عقق» أي ذق حربي
أبلى بلاء حسنا قزمان ... على الحفاظ فله الخسران
بين كتفيه، قال: ووثب إليه رجل «1» من الأنصار، فضربه بالسيف على هامته) اهـ
قال ابن هشام: (فبلغني: أنّ وحشيّا لم يزل يحدّ في الخمر، حتى خلع من الديوان، فكان عمر بن الخطاب يقول: قد قلت: إنّ الله لم يكن ليدع قاتل حمزة) .

استنكار فعلة أبي سفيان بحمزة بعد استشهاده:

(و) بعد ما قتل وحشيّ سيدنا حمزة رضي الله عنه (دقّه في شدقه) أي: جانب فمه بزجّ رمحه أبو سفيان صخر (بن حرب فقال: ذق عقق) بوزن عمر، وهو فاعل العقوق، ضد البر؛ أي: ذق يا عاق جزاء فعلك؛ فلذا قال: (أي: ذق حربي) .

قال ابن إسحاق: (إنّ سيد الأحابيش الحليس بن زبّان مرّ بأبي سفيان وهو يضرب بزج لرمح في شدق سيدنا حمزة، ويقول: ذق عقق، فقال الحليس: يا بني كنانة؛ هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لحما، فقال: ويحك! اكتمها عني، فإنّها كانت زلّة.

مقتل قزمان العبسي منافقا كما أخبر الرسول صلّى الله عليه وسلّم بذلك:
(أبلى) بالبناء للفاعل؛ أي: اختبر نفسه في الحرب (بلاء) أي: اختبارا (حسنا قزمان) بضم القاف ابن الحارث

---

(1) هو عبد الله بن زيد بن عاصم المازني، على الأشهر الذي جزم به الواقدي وغيره.

وعكسه الأصيرم المخردل ... ليس له غير القتال عمل
العبسي، حليف الأنصار، فقد قتل في ذلك اليوم سبعة أو ثمانية من المشركين، ووصف البلاء بالحسن باعتبار ما يؤول إليه من الظفر والغنيمة أو الشهادة، لكن لم يتم ذلك لقزمان؛ لأنّه إنّما كان يقاتل (على الحفاظ) بكسر الحاء المهملة؛ أي: الحمية، والذب عن المحارم؛ فلذلك قال الناظم:
(فله الخسران) فهو من أهل النار، كما أخبر بذلك عليه الصّلاة والسّلام.
وجاء في قزمان هذا قوله صلى الله عليه وسلم: «إنّ الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» ولما قتل ذلك العدد.. هنّىء به فقال: كلا، إن قاتلت إلّا عن أحساب قومي، فلمّا آذته الجراحات.. عمد إلى نفسه فقتلها، فجاء رجل إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم كان شقّ عليه قول النّبيّ صلى الله عليه وسلم: «إنّ قزمان من أهل النار» مع ما يرى من فعله، فقال: أشهد أنّك رسول الله، قال: «وما ذاك؟» قال:
الذي قلت لنا: «إنّه من أهل النار» قتل نفسه.

استشهاد أصيرم بني عبد الأشهل:

(وعكسه) أي: عكس قزمان عمرو بن ثابت بن وقش بن عبد الأشهل (الأصيرم) بالتصغير، المقاتل في سبيل الله لا حمية، فإنّه لما خرج إلى أحد.. وقع الإسلام في قلبه، فجاء النّبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله؛ أسلم أم أقاتل؟ فقال: «أسلم وقاتل» فأسلم، وأخذ سلاحه،

وقاتل حتى أثبتته الجراحات، فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة.. إذا هم به، فقالوا: والله إنّ هذا للأصيرم، ما جاء به؟ لقد تركناه وإنّه لمنكر لهذا الحديث.

فسألوه: ما جاء بك يا عمرو هنا؟ أحدبا على قومك، أم رغبة في الإسلام؟ قال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله وبرسوله، وأسلمت، ثمّ أخذت سيفي، فغدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني، ثمّ لم يلبث أن مات في أيديهم، فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إنّه من أهل الجنة» .

(المخردل) بالخاء المعجمة والدال المهملة؛ أي:

المقطع لحمه في الله (ليس له غير القتال) في سبيل الله (عمل) من أعمال الإيمان، فدخل الجنة بمجرد الإيمان، ومن ثمّ كان أبو هريرة يقول: حدّثوني عن رجل دخل الجنة لم يصلّ قطّ، فإذا لم يعرفه الناس قال: أصيرم بني عبد الأشهل.

ثبات رسول الله صلى الله عليه وسلم والثابتون معه:

ولمّا انكشف المسلمون بسبب مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم.. ثبت صلى الله عليه وسلم بإجماع، فروى البيهقي عن المقداد: (فو الّذي بعثه بالحق؛ ما زالت قدمه شبرا واحدا، وإنّه لفي وجه العدوّ، تفيء إليه طائفة من أصحابه مرة،

وثبتت مع النّبيّ اثنا عشر ... بين مهاجر وبين من نصر
منهم أبو دجانة وابن أبي ... وقّاص الّذي افتداه بالأب

وتفترق مرة، فربّما رأيته قائما يرمي عن قوسه، ويرمي بالحجر، حتى انحازوا عنه) .

(وثبتت مع النّبي اثنا عشر) رجلا، ولا ثبوت الجبال الرواسي (بين مهاجر وبين من نصر) من الكماة الأشاوس لحديث البراء في «البخاريّ» : (لم يبق مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا) .

(منهم أبو دجانة) سماك بن خرشة المتقدم؛ فإنّه ترّس بنفسه دونه صلى الله عليه وسلم، يقع النّبل في ظهره وهو منحن عليه، حتى كثر فيه النّبل. (و) سعد (بن أبي وقّاص) بن أهيب بن عبد مناف «1» (الذي افتداه)

---

(1) يكنى أبا إسحاق، دعا له صلى الله عليه وسلم بقوله: «اللهمّ؛ استجب لسعد إذا دعاك» رواه الترمذي وابن حبان والحاكم، فكان دعاؤه أسرع الدعاء إجابة، وممّا شوهد في إجابة دعائه: ما رواه الإمام البخاري بسنده إلى جابر بن سمرة قال: (شكا أهل الكوفة سعدا إلى عمر رضي الله عنه، فعزله واستعمل عليهم عمارا، فشكوا حتى ذكروا أنّه لا يحسن يصلي، فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق؛ إنّ هؤلاء يزعمون أنّك لا تحسن تصلي، قال أبو إسحاق: أمّا أنا والله.. فإنّي كنت أصلّي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخرم عنها، أصلّي صلاة العشاء فأركد– أي: أطول– القيام في الأوليين، وأخفف في الأخريين، قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلا أو رجالا إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدع مسجدا إلّا سأل عنه، ويثنون عليه معروفا، حتى دخل

مسجدا لبني عبس، فقال رجل منهم، يقال له: أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة قال: أما إذ نشدتنا.. فإنّ سعدا كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية، قال سعد: أما والله؛ لأدعونّ بثلاث: اللهمّ؛ إن كان عبدك هذا كاذبا قام رياء وسمعة.. فأطل-

(1/274)

وطلحة وفيه شلّت يده ... إذ اتّقى النّبل بها يصمده

رسول الله صلى الله عليه وسلم (بالأب) ففي «صحيح البخاريّ» بسنده إلى عبد الله بن شدّاد قال: سمعت عليّا يقول: ما سمعت النّبيّ صلى الله عليه وسلم جمع أبويه لأحد إلّا لسعد بن مالك، فإنّي سمعته يقول يوم أحد: «يا سعد؛ ارم، فداك أبي وأمي» .

(و) منهم (طلحة) بن عبيد الله الجواد بنفسه، الفياض بماله، من قضى نحبه، وأرضى ربه، ففي الصحيح بسنده إلى قيس قال: رأيت يد طلحة شلّاء، وقى بها النّبيّ صلى الله عليه وسلم يوم أحد؛ فقد قاتل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتالا شديدا حين أحدق به المشركون من كل ناحية، وصار يذبّ بالسيف من بين يديه ومن ورائه، وعن يمينه، وعن شماله، يدور حوله، ويترّس بنفسه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن هو إلّا جنة بنفسه عن رسول الله حتى انكشفوا (وفيه) أي: النّبيّ صلى الله عليه وسلم (شلّت يده) بالبناء للفاعل والمفعول: أصابها الشلل، وهو فساد اليد (إذ اتّقى) أي: لأنّ طلحة كان اتقى (النبل) والسهام (بها) أي: بيده

عمره، وأطل فقره، وعرضه للفتن. قال: أي: عبد الملك بن عمير أحد الرواة-: وكان بعد إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد، قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنّه ليتعرض للجواري في الطريق يغمزهنّ) اهـ ورواه أيضا مسلم، وأبو داوود، والنسائي. مات سعد بالعقيق من المدينة المنوّرة، ودفن بالبقيع سنة بضع وخمسين من الهجرة. رضي الله تعالى عنه. اهـ

(1/275)

وتحته جلس أن جهضه ... درعاه والجراح فاستنهضه

حال كون النبل (يصمده) بضم الميم؛ أي: يقصد النّبيّ صلى الله عليه وسلم.

(وتحته) صلى الله عليه وسلم (جلس) أي: طلحة، فرفعه حتى استوى على الصخرة (أن جهضه درعاه) أي: غلبه عن الصعود درعاه، وكان ظاهر عليه الصّلاة والسّلام بين درعين (و) غلبته (الجراح) التي أصابته ذلك اليوم عن الصعود (فاستنهضه) أي: أراد منه بذلك الفعل: أن ينهض عليه الصّلاة والسّلام، ويقوى على الصعود.

وفي طلحة يقول سيدنا أبو بكر رضي الله عنه:

حمى نبيّ الهدى والخيل تتبعه ... حتى إذا ما التقوا حامى على الدّين
صبرا على الطعن إذ ولّت جماعتهم ... والناس ما بين مهزوم ومفتون
يا طلحة بن عبيد الله قد وجبت ... لك الجنان وكم زوّجت من عين
يشير بقوله: (يا طلحة بن عبيد الله قد وجبت) إلى قوله صلى الله عليه وسلم لطلحة في ذلك اليوم: «أوجب طلحة» أي: أحدث أمرا يستوجب به الجنة، قالوا: وكان لطلحة يومئذ المقام المحمود.
وفي هذا اليوم سمّاه طلحة الخير؛ رضي الله تعالى عنه، قال في «الهمزية» :

(1/276)

والعمران وعليّ وعفا ... إلهنا عن الّذي منهم هفا
وثبتت نسيبة المبايعه ... قبل وعن خير الورى مدافعه
طلحة الخير المرتضيه رفيقا ... واحدا يوم فرّت الرّفقاء
فقد كان رضي الله عنه أعظم الناس غناء ودفاعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
(و) ثبت معه صلى الله عليه وسلم (العمران) : أبو بكر وعمر (وعليّ) بن أبي طالب (وعفا إلهنا) بقوله تعالى:
إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ بِبَعْضِ ما كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (عن الذي منهم هفا) أي: زلّ، يقال: هفا الرجل: زل، وهي الهفوة، للزلة والسقطة، ومنه لكل عالم هفوة، والإنسان كثير الهفوات، والزلّة في قول المؤمنين الذين جالوا يومئذ: لَوْ كانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا وأولى بالعفو من لم يقل، وهذا بناء على ما قيل: إنّ الآية نزلت في جميع المؤمنين الذين جالوا، وقيل: نزلت في الذين جالوا دون الذين قالوا تلك المقالة، كعثمان بن عفان، وسعد بن عثمان، وعقبة بن عثمان من بني زريق، وعليه فهفا: بمعنى أسرع.
قال في «القاموس» : هفا يهفو هفوا وهفوة: أسرع وخفّ.
(وثبتت) مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم (نسيبة) بالتكبير، كما ضبطه غير واحد، وهي أم عمارة بنت كعب

(1/277)

المازنية «1» (المبايعة) رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زوجها زيد بن عاصم (قبل) أي: قبل أحد، وذلك بالعقبة الثانية، ولم يشهدها من النساء إلّا هي وأختها، كما قاله في «الإصابة» .
(وعن خير الورى مدافعه) بالسيف ضربا، والقوس رميا، دفاع الكماة الأبطال رضي الله عنها، فإنّها قالت:
خرجت أوّل النهار، حتى انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقمت أباشر القتال، وأذبّ عنه صلى الله عليه وسلم بالسيف، وأرمي عن القوس، حتى خلصت- أي: وصلت- الجراح إليّ،

أصابني ابن قمئة أقمأه الله، لما ولّى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.. أقبل يقول: دلّوني على محمد، فلا نجوت إن نجا، قالت: فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممّن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربني هذه الضربة، ولكن ضربته على ذلك ثلاث ضربات، ولكن عدوّ الله كان عليه درعان.

قالت أم سعد بنت سعد بن الرّبيع: فرأيت على عاتقها

---

(1) من بني مازن بن النجار الأنصارية، قال أبو عمر: (شهدت العقبة وأحدا مع زوجها زيد بن عاصم وولديها حبيب، وعبد الله، وشهدت بيعة الرضوان، وجرحت يوم اليمامة اثنتي عشرة جراحة، وقطعت يدها، وحبيب هو الذي أرسله النّبيّ صلى الله عليه وسلم إلى مسيلمة الكذاب بكتاب، فقال له: أتشهد أنّ محمّدا رسول الله؟ فيقول: نعم، فقال: أتشهد أنّي رسول الله؟ فيقول: أنا أصم، قال له ذلك مرارا، فقطعه- لعنه الله- عضوا عضوا) اهـ

وجرحت فيه وشلّت يدها ... وللتّبرّك الورى تقصدها

في حفرة وقع خير مرسل ... فناشه طلحة والصّهر علي

جرحا أجوف له غور، وكان معها يقاتل ابناها، عبد الله وحبيب ابنا زيد بن عاصم، قال عليه الصّلاة والسّلام لابنها عبد الله: «بارك الله عليكم من أهل بيت، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان، ومقام ربيبك- يعني غزية بن عمرو زوج أمه- خير من مقام فلان وفلان، ومقامك خير من مقام فلان وفلان رحمكم الله أهل بيت» .

قالت أم عمارة: ادع الله أن نرافقك في الجنة، قال:

«اللهمّ؛ اجعلهم رفقائي في الجنة» . قالت: ما أبالي ما أصابني من الدنيا أو جرحت.

(وجرحت فيه) أي: في دفاعها ذلك المحمود اثني عشر جرحا، ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف

(وشلّت) أي:

يبست (يدها) وعاشت بعد ذلك دهرا يقصدها الناس تبرّكا، كما قال (وللتبرّك الورى تقصدها) من مسافة بعيدة، فتمسح يدها الشّلاء على العليل، وتدعو له، فيشفيه الله تعالى.

ما لقيه الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد:

(في حفرة) من الحفر التي حفرها أبو عامر الفاسق ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون (وقع خير مرسل) صلى الله عليه وسلم (فناشه) أي: تناوله (طلحة) بن عبيد الله التيميّ السابق (والصّهر علي) بن أبي طالب رضي الله عنهما، فأخذ

إذ عتبة هشّ رباعيته ... وشقّ من شقوته شفته
عليّ بيده، واحتضنه طلحة حتى استوى قائما.
(إذ عتبة) أي: وقع صلى الله عليه وسلم في حفرة حين عتبة بن أبي وقاص (هشّ) أي: ضرب فكسر (رباعيته) بفتح الراء وتخفيف الياء، السن التي بين الثنيّة والناب؛ لأنّه رماه بأربعة أحجار، فكسر حجر منها رباعيته اليمنى السفلى، كما في رواية ابن هشام.
قال في «شرح المواهب» : (والمراد: أنّها كسرت فذهب منها فلقة، ولم تقع من أصلها، قاله في «الفتح») .
(وشق) عتبة (من شقوته) مثلث الشين؛ أي: من شقائه (شفته) صلى الله عليه وسلم السفلى.
روى ابن إسحاق عن سعد بن أبي وقاص: ما حرصت على قتل رجل قطّ حرصي على قتل أخي عتبة لما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد كفاني منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشتدّ غضب الله على من دمّى وجه رسوله» .
واعلم: أنّه ليس في شيء من الآثار ما يدل على إسلامه، بل فيها ما يصرح بموته على الكفر، قاله في «شرح المواهب» .
قال السهيلي في «الروض» : (لم يولد من نسله ولد فيبلغ الحلم إلّا وهو أبخر، أي منتن الفم، أو أهتم، أي

وشجّه ابن قمئة وابن شهاب ... صلّى عليه الله ما سحّ سحاب
مكسور الثنايا من أصلها، يعرف ذلك في عقبه) اهـ
قلت: وهذا من شؤم الآباء على الأبناء، نسأل الله السلامة والعافية بمنّه وكرمه.
(وشجه) عليه الصّلاة والسّلام عبد الله (بن قمئة) ويقال: ابن قميئة، في وجنته، فدخلت فيها حلقتان من المغفر، وقال حين ذاك: خذها وأنا ابن قمئة، فقال صلى الله عليه وسلم: «أقمأك الله» أي: أذلّك وصغّرك «1» .
(و) عبد الله (ابن شهاب) الزّهريّ، وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه، وهو جدّ الإمام محمّد بن مسلم بن عبد الله بن عبيد الله بن شهاب الزّهري، شيخ الإمام مالك، قيل له:
أكان جدك عبد الله شهد بدرا؟ فقال: نعم، ولكن في الجانب الآخر، وأخو عبد الله هذا عبد الله الأكبر من مهاجرة الحبشة، ومات بمكة قبل الهجرة رضي الله عنه.
قال في «الهمزية» معربا أنّ هذه الشجة زادته حسنا وجمالا على حسنه وجماله:
مظهر شجّة الجبين على البر ... ء كما أظهر الهلال البراء

---

(1) قد استجاب الله دعاءه صلى الله عليه وسلم فيه؛ فإنّه بعد الوقعة خرج إلى غنمه، فوافاها على أعلى الجبل، فأخذ يعترضها، فشدّ عليه كبشها، فنطحه نطحة أردته من شاهق الجبل، فتقطع.

وازدرد الدّمّ أبو الخدريّ ... وانتزع الحلقة في النّبيّ
ستر الحسن منه بالحسن فاعجب ... لجمال له الجمال وقاء
فهو كالزّهر لاح من سجف ... الأكمام والعود شقّ عنه اللّحاء
وقال سيدنا حسان رضي الله عنه، في وصف جبينه الشريف وأحسن:
متى يبد في الداجي البهيم جبينه ... يلح مثل مصباح الدّجى المتوقد
فمن كان أو من قد يكون كأحمد ... نظاما لحقّ أو نكالا لملحد
(صلّى عليه الله) وسلّم (ما سحّ) صبّ (سحاب) بالمطر، واتصلت عيون بنظر، والمقصود: الدعاء المستمر.
(وازدرد) أي: ابتلع (الدم) من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أي: دم جراحاته مالك بن سنان رضي الله عنه، وهو (أبو) أبي سعيد (الخدريّ) وحين امتصه قال عليه الصّلاة والسّلام: «من مسّ دمي دمه لم تصبه النار» .
وفيه من الفقه أنّ دم رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالف غيره من الدماء في التحريم، وأنّ دمه طاهر، حيث لم يغسل منه فمه، ولم يأمره بذلك.

أبو عبيدة فكان أثر ما ... بساقط الثّنيّتين أعلما
بملء درقة من المهراس ... جاء ليشرب شفيع النّاس
(وانتزع الحلقة) من المغفر (في) جرح (النّبيّ) صلى الله عليه وسلم الذي جرحه ابن قمئة، وهما حلقتان، وفاعل انتزع هو قوله: (أبو عبيدة) عامر بن الجراح انتزع إحداهما، فسقطت ثنيته، ثمّ انتزع الأخرى، فسقطت ثنيته الأخرى (فكان) أبو عبيدة (أثرما) بفتح الهمزة وهو ساقط الثنيتين أو إحداهما، والرّباعيات، وهو هنا ساقط الثنيتين، فلذلك قال: (بساقط الثنيتين) والباء سببية.
وقوله: (أعلما) خبر بعد خبر لكان.
والأعلم كأحمر: الرجل المشقوق الشفة العليا، ومؤنثه علماء، ويقابله الأفلح، وهو: مشقوق الشفة السفلى، قال العلّامة الزمخشري في أبيات:
ومذ أفلح الجهّال أيقنت أنّني ... أنا الميم والأيام أفلح أعلم
(بملء درقة) بالتحريك وقد تسكن الراء كما هنا:
الجحفة «1» (من المهراس) بيان لقوله: (بملء) المتعلق بقوله: (جاء) والمهراس، بكسر الميم: صخرة منقورة تمسك الماء فيتوضّأ منه، شبه بالمهراس الذي هو الهاون، قال السّهيليّ: (وهم المبرّد، فجعل المهراس اسما علما